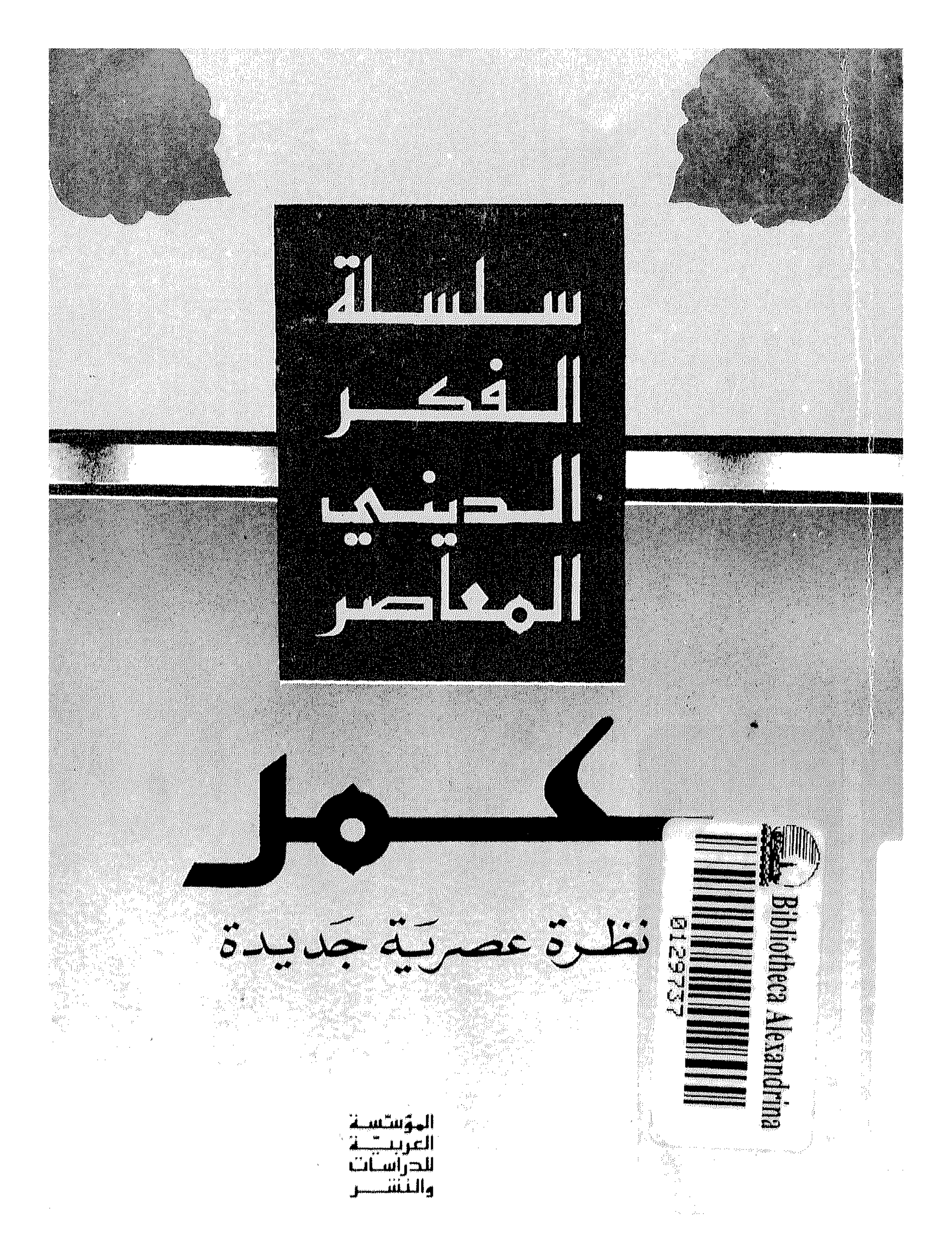
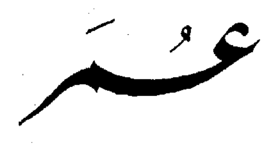

سلسلة
الفكر
الديني
المعاصر
عمر
نظرة عصرية جديدة
المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر



عُمَر

نظرة عصريّة جديدة





نظرة عصرية جديدة

بأقلام :

الدكتور محمد محمد الفحام
شيخ الجامع الأزهر

الدكتور محمد أحمد خلف الله
الدكتور أحمد شلبي
محمد عمارة
الدكتور محمود اسماعيل
صلاح أبو اسماعيل
عبد العزيز حافظ دنيا
حسنين كروم
الدكتور جودة عبد الله مصطفى
عبد المجيد وافي
الدكتور محمد الطيب النجار

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير -
ت ٨٠٧٩٠٠/١ برقياً : موكيالي :
بيروت - ص.ب : ٥٤٦٠/١١ بيروت
تلكس : LE/DIRKAY - ٤٠٠٦٧

الطبعة الثانية ١٩٨٨م

تقــــديم

يمثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثاني الخلفـــاء الراشدين ، شخصية اسلامية عربية فذة فقد لعب دورا مرموقا في نشر الدعوة الاسلامية وفي تنظيم أسس الدولة الاسلاميـة وتثبيتهـا على أسس العـدالة (حتى لقب بالفاروق) .

وفي هـذا الكتـاب نقـدم نظـرة عصريـة جديـدة عن هذه الشخصية العظيمـة . ويشترك في هـذه الدراسات مجموعة من أكبر المفكرين والعلماء في الوطن العربي وعلى رأسهم الدكتور محمد الفحام شيخ الجامع الازهر بالاضافة الى عدد من أساتذة الجامعات والمختصين في الدراسات الاسلامية والتاريخية . ولنا وطيد الامل أن تلقي هذه الدراسات أضواء جديدة على بطل من أبطال العروبة والاسلام .

النـاشر



العلاقة بين عمر وعلي

بقلم
الدكتور محمد محمد الفحام
شيخ الجامع الازهر

لا نذكر في هذا المقام عن صراع واقع بين علي وعمر مثلا ويخطىء من يظن انه كان بينهما أي لون من ألوان العداوة والخصام ·

ولقد أثبت الخلفاء الراشدون أنهم على مثال عال من التضحية كل التضحية في سبيل اعلاء كلمة الله وكان هدفهم الاول هو دفع الدين الاسلامي الى الامام وان ظهر بينهم بعض الخلاف فليس لمصلحة ذاتية أو شخصية وانما اجتهاد منهم نحو الغاية التي يتوجهون اليها جميعا ·

وقصور نظرنا وما فينا من عيوب جعلنا ننظر على أنه كان هنـــاك بعض الخلاف بين علي وعمر حول ارث الخلافة ·· ومن أحق بها ·

وندلل على وجهة نظرنا بما نسوقه الآن من مواقف كل منهما من الآخـر حتى ندرك في وضوح ما كان يدور بينهما لا من خـــلاف وانما من اتفاق حول الهدف الذي اجتمع قلبهما عليه ·

لما أحس عمر بنهايته وانه قادم على الله لم يشأ أن يحمل تبعاتها كما قال فجعل الامر في ستة يختارون أحدهم ، وكان منهم علي ·· وهم : ـ

عثمان ، علي ، طلحة ، الزبير ، عبد الرحمن بن عوف ، سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم · ولم يدخل في هذا الامر ابنه عبد الله مع أنه أحب الناس اليه ·

وقال : يحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمـــة محمد صلى الله عليه وسلم .

هذا موقف من مواقف عمر من علي ، اننا نشغل أنفسنا في عصرنا هـــذا بأسباب للفرقة والتحزب والتحيز وذلك أمر لم يفعله الصحابة رضوان الله عليهم.

فلم يكن بين عمر وعلي من خلاف ، فكم استفتى عمر عليا في أقضيته وكان علي عند حسن الظن به لا يتخلف ولا يتخلى عن أمير المؤمنين ـ كما كان يناديه ـ .

وكم من قضايا يذهب عمر الى علي فيها ومعه الخصوم ، فيقول علي رضي الله عنـــه أنا كنت أولى أن آتيك ، فيقول عمر رضي الله تعالى عنه أنا صاحب الحاجة .

ولا أدل على صفاء بين الصاحبين من أن عليا يناديـــه يا أمـــير المؤمنـــين ولم يقد ثورة ضده ، ولم يقم بحركة انعزالية عن المجتمع المتماسك .

وعمر قد خرج في كثير من السفرات ، وكان يستخلف عليا رضي الله تعالى عنه على المدينة ، أو رديفا كما كانوا يعبرون يومئذ فهل كان عمر يختص نفسه بالخلافة ، ثم يطلب الى علي أن يقوم مقامه عند سفره ، وعلي صاحب الحق كما يقال ؟ أكان يقبل على نفسه أن يؤخذ الامر منه ثم يستناب ؟

تلك أوهام ما كانت تخطر لهما على بال ، أو تدار في فاكهم بمثل ما تدار به بيننا الآن .

كيف يتهم عمر بمثل ما اتهم به في علي من المزاحمة على الخلافة وهو على ما كان عليه من حب لابناء علي ـ الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ؟

لقد واعد الحسين رضي الله عنه مرة أن يأتيه ، وجاء الحسين رضي الله عنه في ميعاده فلقي عبد الله بن عمر راجعا فقال : من أين أتيت ..؟ قال : استأذنت على أمير المؤمنين فلم يؤذن لي ، فرجعا معا .

ثم لقي عمر الحسين رضي الله عنهما ، فقال ما منعك يا حسين أن تأتيني ؟ فقال : قد أتيتك ولكن أخبرني عبد الله بن عمر أنه لم يؤذن له عليك فرجعت ، فعز ذلك على عمر رضي الله عنه وقال له : وأنت عندي مثله ؟ : وكررها ثم قال: وهل أنبت الشعر على الرأس غيركم ؟؟..

ان صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرفون أقدار بعضهم ولو

كان علي رضي الله عنه حاقدا أو ناقما على عمر رضي الله عنه ما قام يوما محتدما في الرد على من انتقص أقدار أبي بكر وعمر • أما مواقف علي من عمر فهي كثيرة ، نذكر منها ما ياتي : فقد قال بعد موته :

(ـ خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ، وخير الناس بعد أبي بكر عمر) قد بكى علي على موت عمر فقيل له في ذلك فقال (أبكي على موت عمر ان موت عمر ثلمة في الاسلام لا ترتق الى يوم القيامة) •

ولقد جاء أهل نجران الى علي رضي الله عنه فقالوا : يا أمير المؤمنين شفاعتك بلسانك وكتابك بيدك ، أخرجنا عمر من أرضنا فردنا اليها فقال : ويلكم ان كان عمر رشيد الامر فلا أغير من شيء صنعه ، وهذا قليل من كثير ، فعلي يرفع قدر عمر ويذكر أن بموته أصبح في الاسلام هوة الى يوم القيامة وأنه خير الناس بعد أبي بكر ، ولا يغير شيئا بعد وفاته وما ذلك الا من احترامه الشديد له ولمبدئه الاصيل ، وأظن أنه لو كان في قلب علي شيء نحو عمر لم يقل هذا القول •

يروى أن عليا سمع برجلين من أصحابه ـ لما قامت الحرب بين علي رضي الله تعالى عنه ومعاوية بن سفيان ـ غضب غضبا شديدا حتى استدر عرق بين عينيه ، وكانت تلك حاله اذا غضب وتأثرت نفسه من الغضب •

ثم نودي بالصلاة جامعة ، وصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : تحفدت عليّ الجنود ، ووردت عليّ الوفود ، عند مستقر الخطوب ، وعند نوائب الدهر ، ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش ، وأبوي المؤمنين ، بما ليسا من هذه الامة بأهل وبما أنا عنه منزه ومنه بريء ، وعليه معاقب ، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبها الا مؤمن تقي ، ولا يبغضها الا منافق رضي ، صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدق والوفاء يأمران وينهيان ، وما يحاقدان فيما يضمان على راي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بمثل رأيهما رايا ، ولا يحب كحبهما أحدا •

مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عنهما راض ومضيا والمؤمنون عنهما راضون ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر بصلاة المؤمنين ، فصلى

بهم سبعة أيام في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم واختار له ما عنده ، ولاه المؤمنون أمرهم ، وفوضوا اليه الزكاة لانهما مقرونتان ، ثم أعطوه البيعة طائعين غير كارهين ، أنا أول من سن ذلك من بني المطلب ، وهو لذلك كاره يود لو أحدنا كفاه ذلك ، وكان والله خير من اتقى ، ارحمه رحمة ، وأرأفه رأفة ، وأثبته ورعا ، وأقدمه سنا واسلاما، شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بميكائيل رأفة ورقة ، وبابراهيم عفوا ووقارا ، فسار فينا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مضى على ذلك ...

ثم تولى عمر الامر بعده ، فمنهم من رضي ومنهم من كره فلم يفارق الدنيا حتى رضي به من كان كرهه ، فأقام الامر على منهاج النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، يتبع آثارهما كتباع الفصيل أمه ، وكان والله رفيقا رحيما ، وللمظلومين عزا وراحما وناصرا ، لا يخاف في الله لومة لائم ، ثم ضرب الله بالحق على لسانه ، وجعل الصدق من شأنه ، حتى كنا نظن أن ملكا ينطق على لسانه ، أعز باسلامه الاسلام وجعل هجرته للدين قواما ، ألقى الله له في قلوب المنافقين الرهبة ، وفي قلوب المؤمنين المحبة ، شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل فظا غليظا على الاعداء ، وبنوح عليه السلام حنقا مغتاظا ، الضراء على طاعة الله آثر عنده من السراء على معصية الله فمن لكم بمثلهما رضي الله عنهما ، ورزقنا المضي على سبيلهما ، فانه لا يبلغ مبلغنا الا اتباع آثارهما ، والحب لهما، ألا من أحبني فليحبهما ، ومن لم يحبهما فقد أبغضني ، وأنا منه بريء ، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة ، ولكن لا ينبغي أن أعاقبه قبل التقدم . الا فمن أثبت به يقول هذا بعد اليوم فان عليه ما على المفتري ، ألا وخير هذه الامة أبو بكر وعمر ، ولو شئت لسميت الثالث لكم ، واستغفر الله لي ولكم .

هذه خطبة علي رضي الله عنه مؤنبا على القول في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ومثل هذا كان يظن بعلي كرم الله وجهه .

وما ذلك الا عن حب لعمر ووفاء عمر وايمان عمر واخلاص عمر فلا يصح لنا اليوم أن نفرق بين رجال سبقوا في الايمان .

الدكتور : محمد محمد الفحام —

شيخ الجامع الازهر

عمر وقضية الخلافة

بقلم : الدكتور محمد أحمد خلف الله

لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من قضية الخلافة ، أو قضية رياسة الدولة العربية الاولى التي اتخذت من الاسلام عقيدة لها ونظاما موقفان مختلفان : ـ

كان أحدهما يوم وفاة النبي عليه السلام واجتماع الانصار وحدهم ثم مع المهاجرين في سقيفة بني ساعدة · فقد جرى في هذا الاجتماع حوار قوي عنيف بين المهاجرين والانصار حول من يكون خليفة للمسلمين ، وهل يكون من الانصار أو يكون من المهاجرين ·

ففي ذلك اليوم كان لعمر بن الخطاب موقف انتهى باختيار أبي بكر رضي الله عنه خليفة للمسلمين ·

وكان الثاني قبيل وفاة عمر نفسه بيوم أو بأيام قلائل · فبعد أن طعنه أبو لؤلؤ المجوسي بالخنجر ، وشعر بانه مفارق الحياة لا محالة ، فكر فيمن يخلفه من بعده · وانتهى به التفكير الى وضع قاعدة لاختيار من يخلفه من الصحابة فجاءت هذه القاعدة مغايرة في صيغتها للقاعدة التي جرى عليها عمر نفسه يوم اختيار أبي بكر الصديق ·

لقد كان موقفه من قضية الخلافة في اختيار الخليفة السابق عليه غير موقفه من نفس القضية في اختيار الخليفة الذي جاء من بعده ·

وموقف عمر في الحالتين يدل على حقائق نحن في حاجة اليها في هذه الايام

التي نحرص فيها على العودة الى تراثنا ، نختار منه ما يصلح لقيام نظرية جديدة نسميها اليوم بالنظرية الثالثة ·

وأول هذه الحقائق أن عمر رضي الله عنه كان يعلم ، وكان يعلم غيره من المهاجرين والانصار ، أن هذه القضية ـ قضية الخلافة أو رياسة الدولة ـ ليس فيها نص ، لا من القرآن الكريم ولا من الحديث النبوي الشريف ·

كان الكل يعلمون ذلك · ومن هنا جرى بينهم ذلك الحوار القوي العنيف الذي نتعرض له بشيء من التفصيل فيما يلي :

وموقف عمر من هذا الحوار ، وفي هذه المرحلة التاريخية كان موقف المجتهد الذي يتخذ من المصلحة العامة أساسا وهدفا · أساسا يقيم عليه الاجتهاد ، وهدفا تتحقق به المصلحة العامة لجماعة المسلمين ·

واختار أبا بكر على هذا الاساس · اختاره لانه الرجل الذي تتحقق به المصلحة العامة لجماعة المسلمين ·

لقد راعى عمر رضي الله عنه ظروف الحياة في المجتمع الذي يعيش فيه يوم اختياره لخليفة رسول الله ·

وثاني هذه الحقائق : أن ظروف الحياة كانت قد تغيرت عند التفكير فيمن يخلفه ، وكان الصالح العام في ذلك الوقت غيره في الوقت الذي أعمل فيه فكره يوم اختيار أبي بكر ·

ان تغير ظروف الحياة في المجتمع الاسلامي ، وادراك حقيقة الصالح العام في الظروف الجديدة هو الذي جعل عمر رضي الله عنه ينتهي من اعمال فكره الى وضع قاعدة جديدة في اختيار الخليفة الذي يجيء من بعده ·

وهذه القاعدة سنعرض لها بعد قليل ·

وثالث هذه الحقائق · أن المجتهد لا يثبت على رأي واحد ، فمن حقه أن يراعي ظروف الزمان وظروف المكان عند اجتهاده · ومن هنا كان لعمر هذان الموقفان المختلفان من قضية رياسة الدولة العربية الاولى التي اتخذت من الاسلام عقيدة لها ونظاما ـ عقيدة ، نؤمن بها ، ونظاما نمارس الحياة على أساس منه ·

ويترتب على هذه الحقيقة حقيقة رابعة ، هي أن الاجماع الذي وصل اليه السابقون نتيجة اجتهادات لهم ، يمكن العدول عنه في أيامنا هذه لان ظروف

الحياة في مجتمعاتنا الحديثة غير ظروف الحيـــاة في المجتمعات التي عـــاصرت الاجتهادات وانتهت فيها الاجتهادات الى رأي مجمع عليه ٠

يمكن العدول عنه الى اجتهادات تتخذ من الصالح العام في الظرف الذي نعيش فيه هدفا لها وأساسا ٠

★★★

ونأخذ الآن في تصوير الموقف في كل من الظرفين ــ ظرف الحياة في الوقت الذي بايع فيه عمر الخليفة الذي جاء قبله ، وظرف الحياة في الوقت الذي عهد فيه عمر الى بضعة نفر من المسلمين اختيار الخليفة الذي يجيء من بعده ٠

عند وفاة النبي عليه السلام اجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة وقام سعد ابن عبادة الزعيم الخزرجي فيهم خطيبا ، موضحا لهم أحقيتهم في خلافة الرســول الكريم ، فكان مما قال : ــ

« يا معشر الانصار ، ان لكم لسابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ٠

ان محمدا عليه السلام لبث في قومه بضع عشرة سنة ، يدعــوهم الى عبادة الرحمن وخلع الانداد ، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل ٠ وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ولا يعزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم حينمـــا عموا به ٠

فلما أراد لكم ربكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة فرزقكم الله الايمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والاعزاز له ولدينه ، والجهاد لاعدائه ٠ فكنتم أشد الناس على عدوه منكم ، وأثقله على عدوه من غيركم ــ حتى استقامت العرب لامر الله طوعا وكرها ، وأعطى البعيد المقادة صاغرا ٠ وحتى أنحن الله عز وجل لرسوله بكم الارض ، ودانت بأسيافه لكم العرب ٠

وقد توفاه الله وهو عنكم راض ، ونام قرير عين ٠ فاستبدوا بهذا الامــر دون الناس فانه لكم دون الناس » ٠

وقام أبو بكر رضي الله عنه ليرد على سعد بن عبادة قوله ، فكان ممـــا قـال :

« عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه ، والايمان به ، والمواساة له ، والصبر معه ـ على شدة أذى قومهم لهم ، وتكذيبهم اياهم • وكل الناس مخالف لهم ، زار عليهم • فلم يستوحشوا لقلة عددهم ، وشنف الناس لهم ، واجماع قومهم عليهم •

فهم أول من عبـد الله في الارض ، وآمن بالله وبالرسول • وهـم أوليـاؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامر من بعده ـ ولا ينازعهم ذلك الا ظالم •

وأنتم يا معشر الانصار ، من لا ينكر فضلهم في الدين ، ولا سابقتهـم العظيمة في الاسلام • رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله ، وجعل اليكم هجرتـه ، وفيكم جلة أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الاولين عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء وأنتم الوزراء ولا تفتاتون بمشورة ، ولا تقضى دونكم الامور »

ولكن ذلك لم ينه الحوار فقد قام أحد الانصار ليرد على أبي بكر رضي الله عنه قوله فكان مما قال :

« أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دفت دافة منقومكم واذ هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ، ويغضبونا الامـر » •

« أيها الناس ، نحن المهاجرين أول النـــاس اسلاما ، أكرمهم أحسابا ، وأوسطهم دارا ، وأحسنهم وجوها ، وأكثرهم ولادة في العرب ، وأمسهم رحمـا برسول الله •

أسلمنا قبلكم ، وقدمنا القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان فنحن المهاجرون وأنتم الانصـار

اخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الفيء ، وأنصارنا على العدو • أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، وأنتم أجدر الناس بالثناء من أهل الارض جميعـا •

فأما العرب فلن تعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش فمنا الامراء ، ومنكم الوزراء » .

وهنا قام الحباب بن المنذر خطيبا ، ووجه القول الى قومه من الانصار ، فكان مما قال : —

« يا معشر الانصار ، أملكوا عليكم أمركم فان الناس في فيئكم ، ولن يجتري مجترىء على خلافكم ، ولن يصدر الناس الا عن رأيكم .

أنتم أهل العز والثروة ، وأولو العدة والمنعة والتجربة ، وذوو البأس والنجدة ، وانما ينظر الناس الى ما تصنعون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقص عليكم أمركم .

أبى هؤلاء الا ما سمعتم .

فمنا أمير ، ومنهم أمير » .

ورفض عمر بن الخطاب هذا الرأي رفضا باتا ، وخاطب الحاضرين من المهاجرين والانصار قائلا :

هيهات هيهات . لا يجتمع اثنان في قرن .

والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ـ ولكن العرب لا تمتنع ان تولي أمرها من كانت النبوة فيهم ، وولي أمورهم منهم . ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبني .

من ذا ينازعنا سلطان محمد وامارته ـ ونحن أولياؤه وعشيرته الا مدل بباطل ، أو متجانف لاثم ، أو متوسط في ملكه » .

ثم اشتد الجدل وعنف الحوار حين رد الحباب على عمر قائلا :

« يا معشر الانصار ، املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر ، فان أبوا عليكم ما سألتموهم فأجلوهم عن البلاد وتولوا عليهم هذه الامور .

فأنتم والله أحق بهذا الامر منهم فان بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين .

أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب

أما والله ان شئتم لنعيدها جذعة » .

واستبد الغضب بعمر ، وقال موجها القول للحباب :

اذن يقتلك الله .

انتضى الحباب سيفه ، واضطر عمر الى انتزاعه منه ، وعندئذ تدخل أبو عبيدة بن الجراح في الجدل والحوار ، وقال موجها الخطاب الى الانصار :

« يا معشر الانصار ، كنتم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير » .

ومال نفر من الانصار الى جانب المهاجرين أمام هذه الحجج القوية ، وهذا الموقف العنيف من عمر .

وقال بشير بن سعد وهو زعيم خزرجي :

« انا والله وان كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين ، وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به الا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لانفسنا ، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغي من الدنيا عرضا ، فان الله ولي النعمة علينا بذلك .

الا أن محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش.وقومه أحق به وأولى .

وأيم الله ، لا يراني الله أنازعهم في هذا الامر أبدا .

فاتقوا الله ، ولا تخالفوهم ، ولا تنازعوهم » .

وانتهز عمر ميل الخزرج الى حجج المهاجرين ، وعمد الى حسم الخلاف فقال لابي بكر :

« أبسط يدك يا أبا بكر .

ولما بسط أبو بكر يده بايعه عمر وهو يقول : ألم يامرك النبي بأن تصلي أنت يا أبا بكر بالمسلمين فأنت خليفة الله .

ونحن نبايعك لنبايع خير من أحب رسول الله منا جميعا » وبايع الحاضرون بعد ذلك أبا بكر ـ الا سعد بن عبادة ٠

وفي صباح اليوم التالي ذهب أبو بكر الى المسجد ومعه عمر ، وقال عمر للنـــاس : ـ

« ان الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليـــه وسلم وثاني اثنين اذ هما في الغار ٠

فقوموا فبايعوا » ٠

وبادر الناس في المسجد الى مبايعة أبي بكر ٠

★★★

كشفت هذه الاعمال عن تفوق عمر سياسيا ، وعن المواهب العديدة التي يملكها ، وعن العبقرية الخالدة التي لا تزال تضيء أمامنا الطريق في العديد من مشكلات الحياة الاسلامية ٠

كشفت لنا عن بصيرته النافذة وكيف مكنته من ادراك الابعاد المختلفة للقضية التي يعالجها أو للمشكلة الاولى من مشكلات الخلافة ـ تلك المشكلة التي عمـــل جاهدا على أن يصل فيها الى حل ٠

وكشفت لنا عن حكمته البالغة وكيف أعانته على تصور الآثار المترتبة على تلك الحلول التي تقترح في ذلك الحوار العنيف الذي يدور بين الانصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة ٠

انها آثار قد تجلب خيرا ، وقد تجلب شرا ، والمستفيد والخاسر في القضية هي المصلحة العامة ٠

انه في رفضه لذلك الاقتراح الذي تقول به الحباب بن المنذر وهو أن يكون من الانصار أمـــير ومن المهـــاجرين أمير قد أدرك وحقق لصـــالح المسلمين الامور التاليـــة : ـ

_ **أولا :** ادراكه لروح الاسلام من أنه الدين الذي جاء ليحقق الوحدة ، ويقضي على الفرقة والانقسام ٠

انه الدين الذي يقضي على التعدد في أيـــة صور من صوره ٠ انه ينكر الاثنينية وهي أقل صور التعدد ، فقد قال الله تعالى : « لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد » ٠

وامتن على المسلمين بالوحدة الفكرية والتماسك الاجتماعي حين قال تعالى: (واذكروا اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم) ٠

وامتن على محمد عليه السلام حين قال له : « لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم » ٠

فان يجيء الحباب ويطلب فرض أميرين في دولة واحدة أمر لا يقبله مسلم بحال من الاحوال ٠

هناك أمير واحد والا اختلت الامور : « فلو كان فيهما آلهة غير الله لفسدنا »

ثانيا : ادراكه للروح العربية وما فيها من ميل قوي الى الحياة القبليـــة والتعصب للجنس وللقبيلة ٠

وادراكه في الوقت ذاته الى ما قام به محمد عليه السلام بفضل تعليمـــات القرآن من قضاء على هذا النوع من العصبية

لقد عمل محمد عليه السلام أن يسمي سكان المدينة من الاوس والخـــزرج بالانصار ، وان يسمي النازحين الى المدينة من المسلمـــين ومن أي قبيلة كانت بالمهاجرين ، وكان ذلك منه قضاء على روح العصبية القبلية ٠ فهم مهاجرون وأنصار ، وليسوا بأوس وخزرج ، وليسوا قبيلتين بأي حال بن الاحوال ٠

ثم كانت المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ليصبح الجميع مسلمين ، وتتحقق بذلك الوحدة الاسلامية ٠

فان يجيء الحباب بن المنذر ويقترح أمير من الانصار وأمير من المهاجرين خروج عن الروح الاسلامية ٠

ان هذا الصنيع منه يذكي الروح القبلية من جديد ٠ فممن يكون امـــير الانصار مثلا ٠ أيكون من الاوس أم من الخزرج ؟

وهكذا الوضع بالنسبة للمهاجرين ٠

ان رفض عمر لاقتراح الحباب بن المنذر فيه ابتعاد بالعرب عن الـــروح القبلية التي تدعو الى العصبية ، وفيه في الوقت ذاته تمكين لروح الاسلام بالابقاء على الوحدة بين العرب المسلمين ـ أي بين الانصار والمهاجرين ٠

ثالثــا : ان عمر في حواره مع الانصار كان يدرك النفسية العربية والطبيعة البشرية ٠

لقد أنكر عليهم ما يكون سببا في نفور العرب منهم ، فالعرب لا تخضع لكل انسان ، وانما تشترط أن يكون شخصية لها احترامها ، ومن قبيلة ذات شأن ٠

والناس جميعا يفضلون ذلك ٠ فمن الحقائق النفسية ، ومن الظواهـــر الاجتماعية أن القيادة لا تكون الا لذوي الشأن ، وان الولاء لا يكون الا لذوي المهابة والخشية والاحترام ٠

رابعــا : ادراكه للصالح العام لجماعة المسلمين ، فلم يكد يسمع قولــه يشير به سعد حتى عرف أن هناك من الانصار ، ومن الخزرج بصفة خاصة من يخالف سعد بن عبادة ويرى رأي المهاجرين ٠

ومعرفته بهذه الحقيقة هي التي دفعته الى أن يطلب الى أبي بكر أن يبسط يده ليبايعه ٠

وبسط أبو بكر يده فبايعه عمر ، وبايعه الحاضرون الا سعد بن عبادة ٠

وكسب عمر المعركة ، وأصبح أبو بكر خليفة رسول الله ورئيس الدولــة العربيـــة ٠

وفي اليوم التالي ذهب عمر مع أبو بكر الى المسجد ، وقام في الناس خطيبا، واقنعهم بأحقية أبي بكر في الخلافة على أساس أن اختيار رسول الله له يؤم الناس في الصـــلاة ٠

وبايع الناس آبا بكر ٠

هذا هو الموقف الاول ، وهو موقف ينتهي بانتصار عمر ، ولكنــه النصر

الذي لم يقرر القاعدة التي يرضى عنها عمر في اختيار الخلفاء أو رؤساء الدولة العربيـــة ٠

ان الموقف الثاني هو الذي يكشف عن هذه القاعدة ، وهي قاعدة الشورى كما سنرى ٠٠

عندما حضرت عمر الوفاة بعد طعنه بالخنجر من أبي لؤلؤة المجوسي طلب اليه بعض الصحابة أن يعين من يخلفه في المسلمين ٠٠٠

ولم يشأ عمر أن يفعل ذلك مع أنه الصنيع الذي وضعه أبو بكر في اختيار عمر ٠

لم يشأ وقال قولته التي سجلها التاريخ : لقد رأيت من أصحابي حرصـا سيئـا ٠

لقد كان عمر يرى أن اختيار رئيس الدولة حق من حقوق المسلمين وليس حقا للخليفة ٠ ومن هنا لم يصنع صنيع أبي بكر ٠

وحق المسلمين هـذا انما يتم بالمشاورة وترشيح نفر من كبار الصحابة لاختيار أحدهم رئيسا للدولة ٠

غير أن عمر كان على ذكر مما حدث في سقيفة بني ساعدة ، ولقد قال هو في ذلك قولة حفظها التاريخ ٠ لقد كانت خلافة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرهـا ٠

لذا عمد عمر الى الشورى ، وحددها في صيغة تحول بين المسلمين وبـين الفرقة والانقسام ٠

فوض عمر أمر الخلافة الى ستة أشخاص قال : ان رسول الله مات وهـو راض عنهـم ٠

هؤلاء النفر هم : عثمان ، علي ، طلحة ، الزبير ، عبد الرحمن بن عوف ، سعد بن أبي وقاص ٠

ثم جعل معهم ابنه عبد الله ٠ جعله مشيرا دون أن يكون مرشحا للخلافة ٠

جمع عمر هؤلاء النفر وقال لهم : اني نظرت لكم في أمر الناس ، فلم أجد عند الناس شقاقا الا أن يكون بكم : فان كان شقاق فهو فيكم ٠

ثم خص عليا وعثمان وعبد الرحمن بن عوف بحديث مضمونه ان يتقي كل واحد منهم الله ان تولى أمور المسلمين ، والا يحمل أهله وأقاربه على رقاب الناس ·

وطلب اليهم الخليفة بعد ذلك أن يقوموا ويشاوروا حتى يختاروا من بينهم واحـــدا ·

وحدد لهم ثلاثة أيام لهذا الغرض ·

وحين لم يتفقوا أمهلهم فترة أخرى وقال لهم : اجمعوا أمركم ، فمن تأمر عليكم على غير مشورة المسلمين فاضربوا عنقه ·

ثم اتخذ خطوة هامة قبل موته بساعات · أرسل الى أبي طلحة الانصاري وقال له : كن في خمسين من قومك من الانصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى فلا تترك أحدا يدخل عليهم ، ولا تتركهـــم بمضي اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهـم ·

وقم على رؤوسهم فان أجمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف ·

وان اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان اضرب رؤوسهم ·

فان رضي ثلاثة رجلا منهم ، وثلاثة رجلا فحكموا عبـــد الله بن عمر فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم ·

فان لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف ، واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع به الناس ·

ولا يحضر اليوم الرابع الا وعليكم أمير اللهم أنت خليفتي فيهم ·

★★★

اجتمع أهل الشورى بعد الانتهاء من دفن الخليفة ، ونفذ أبو طلحـــة الانصاري أوامر الخليفة في حراسة المجلس ·

طال الجدل بينهم واشتد الحوار ، وعند ذلك اقترح عبد الرحمن بن عوف أن يخرج واحد من الستة ، ويتقلد الامر موقتا ، ثم يوليه أفضل الباقين ·

لم يتقدم أحد لتنفيذ هذا الاقتراح ، وعندئذ أعلن عبد الرحمن قبوله لاقتراحه ، وأخرج نفسه من عداد المرشحين وأخذ يشرف على عملية اختيار الخليفة من الباقين •

طلب منهم أن يفوض ثلاثة منهم في ولاية الامر الثلاثة الآخرين ـ وذلك تضييقا لشقة الخلاف • ففوض الزبير حقه الى علي ، وفوض طلحة حقه الى عثمان ، وفوض سعد حقه الى عبد الرحمن •

لكن عبد الرحمن كان قد خلع نفسه ، ولهذا فقد أصبح الترشيح للخلافة محصورا في علي وعثمان •

أخذ عبد الرحمن يستطلع رأي الصحابة في الرجلين ، ثم دخل المسجد وخطب الناس طالبا الرأي والمشورة • ولكن الجدل قد اشتد والحوار قد طال ، حتى صاح سعد بن أبي وقاص في عبد الرحمن بن عوف قائلا : ياعبد الرحمن افرغ قبل أن يفتتن الناس •

عند ذلك دعا عليا وقال له : هل انت مبايعي لتعملن بكتاب الله ، وسنة رسول الله ، وسيرة الخليفتين من بعده •

قال علي : أرجو أن أفعل ، وأن أعمل بمبلغ علمي وطاقتي •

ثم دعا عثمان وقال له نفس القول •

وقال عثمان : اللهم نعم •

عند ذلك رفع عبد الرحمن رأسه الى سقف المسجد ويده في يد عثمان ، وقال ثلاث مرات : اللهم اسمع وأشهد •

ثم قال : اللهم اني قد خلعت ما في رقبتي من ذلك وجعلته في رقبة عثمان •

وبايعه ، وبايعه معه كل من كان في المسجد •

وانتهت بذلك عملية الشورى ، لا كما اقترحها عمر بل كما نفذها عبد الرحمن بن عوف •

لقد كان عمر يؤكد حق المسلمين في اختيار رئيس الدولة عن سبيل قيام نظام الشورى وممارسة الحياة على أساس منه •

وأدرك عمر أن نظام الشورى قد ينتهي الى أن تكون هناك أقلية وأكثرية أو مساواة ·

وأوضح عمر أن الاقلية التي تخرج على نظام الجماعة تقطع رقابها ، أو تشدخ رؤوسها · وذلك حرصا منه على الوحدة الاسلامية ، وخشية منه على أن يصبح المسلمون لا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) ·

كما أوضح عمر أنه في حالة تساوي عدد الاصوات يدخل ابنه عبد الله مرجحا لجانب دون آخر ، أو يتم الاختيار من الجانب الذي فيه عبد الرحمن ابن عوف

لقد احتاط عمر ، وبلغ به الاحتياط حدا دفعه الى أن يعد لكل أمر عدته ـ ولكن عبد الرحمن بن عوف أفسد تدبيره ·

لقد كان في تصرف عبد الرحمن من اثارته الجدل والحوار في المسجد حتى صاح فيه سعد بن أبي وقاص صيحته المشهورة : (أفرغ قبل أن يفتتني الناس) ما يدل على أن عبد الرحمن قد بذر بذور الفتنة ـ تلك التي أثمرت ونتج عنها ما يعرف في التاريخ الاسلامي بالفتنة الكبرى ·

وكان في تصرفه مع علي كرم الله وجهه غير حصيف ، فان يسأل عليا ماذا يفعل حين يبايع ثم يسأل عثمان بعد ذلك ، ويبايع عثمان بن عفان دون علي ـ ان في ذلك ما يغضب عليا ·

ولو أنه سأل عثمان أولا ، ثم بايعه ، لما كان في نفس علي وأنصاره شيء ما ·

لقد قدر عمر ما فيه مصلحة المسلمين ·

ولقد أفسد عبد الرحمن على عمر هذا التقدير ·

فرحم الله عمر بن الخطاب ، ورحم معه عبد الرحمن بن عوف ، ورحم كل الذين ساهموا في أمجاد الامة العربية ، وبناء الدولة الاسلامية ·

دكتور
محمد أحمد خلف الله



هل تولى الخلافة بمؤامرة

بقلم : الدكتور أحمد شلبي

كان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب عضدي الرسول في أثناء حياتـــه واستطاعا أن يصلا الى أسرار الدعوة الاسلامية وكنهها السامي ، ولما لحق الرسول بالرفيق الاعلى حملا العبء بكفاءة ممتازة وعبقرية نادرة ذادا عن الاسلام بثبات ورباطة جأش عندما تجمعت قوى الشر تعارضه بعد وفاة الرسول وكان للاســلام بقيادتها الفوز المبين ، ودفعا عجلة الاسلام خارج جزيرة العرب ، وحطما القوة الرهيبة التي كانت تهدد الاسلام من الشمال ، وكانت تعد العدة للقضاء عليه ، كما أزالا الحاجز الحصين الذي كان يقف حائلا بين الاسلام والشعوب المتطلعـة اليه ، وانهارت جيوش قيصر وكسرى التي كانت تدافع عن الباطل أمام جيش الحق والتوحيد ، ووقفت جيوش المسلمين عقب النصر وتقدم العلماء يدعـــون الناس في دين الله أفواجا ، وانفسح المجتمع الاسلامي وتباعدت أطرافه ، ولكن عين الخليفة كانت ساهرة ، واحاطته بتعاليم الاسلام وروحه كانت كاملة شاملة ، وفي المجتمع الجديد جدت مشكلات ، ولكن الخليفة الملهم الموهوب اقترح للمشكـلات الحلول الموفقة ، لا شيء يمكن أن يصف ما أحرزه أبو بكر وعمر من توفيق الا وصف واحد هو انهما كانا ملهمين ، وأن شيئين هامـــين يجب أن يذكرا بجانب الخليفتين وفقا لتوسيع رقعة العالم الاسلامي ، ووفقا كذلك فيما أدخلاه على الدراسات الاسلامية من تفاصيل وشروح ، استجابة لمطالب هذا المجتمع ، فقد كان الرسول على صلة بالله سبحانه عن طريق الوحي ، وكان الوحي يمـده بحـلول لمشكلات المجتمع ، فلما انقطع الوحي بوفاته اجتهد كل من الخليفتين في حـدود المبادىء الاسلامية والقرآن الكريم والحديث الشريف ، والفهـــم الكامل لروح الاسلام وتعاليمه فاستطاعا أن يحصلا على حلول موفقة لما صادفهما من مشكلات،

وكان عمر في ذلك الباب نسيج وحده لان المجتمع الاسلامي اتسع في عهده وكثرت مطالبه وبرزت فيه حالات لم تظهر في عهد الرسول أو عهد أبي بكر ، ويقول ابن تيمية : أنه لما تولى أبو بكر وعمر وصارا كاملين في الولاية ، اعتدل منهما ما كان ينسب لكل منهما في عهد الرسول من لين الاول وشدة الآخر ٠

وسنتجه في دراستنا اليوم الى عمر بن الخطاب مبرزين الدور الكبير الذي ارتبط به في قيادة الامة الاسلامية وفي مطلع حديثنا عن عمر تطالعنا مسألة استعصى على بعض الناس فهمها ، ووجد فيها آخرون مغمزا ، تلك هي الطريقة التي أصبح عمر بن الخطاب بمقتضاها خليفة المسلمين ، والنصوص الفقهية تقرر كما ذكر الماوردي(١) ـ أنه اذا خلا منصب الامامة خرج من الناس فريقان: أحدهما أهل الاختيار (أي أهل الحل والعقد) حتى يختاروا اماما للناس ، والثاني أهل الامامة حتى ينتصب أحدهم للامامة ، وليس على غير هذين الفريقين من الامة في تأخير الامامة حرج ولا مأثم ٠٠٠ والشروط المعتبرة في أهل الاختيار ثلاثة : أحدها العدالة الجامعة لشروطها ، والثاني العلم الذي يتوصل به الى معرفة من يستحق الامامة على الشروط المعتبرة فيها ، والثالث الرأي والحكمة المؤديان الى اختيار من هو للامامة أصلح وبتدبير المصالح أقوم وأعرف ٠

ويواصل الماوردي حديثه مبينا طريقة الاختيار فيقول : فاذا اجتمع أهل العقد والحل للاختيار تصفحوا أحوال أهل الامامة الذين تجمعت فيهم شروطها فقدموا للبيعة منهم أكثرهم فضلا وأحكمهم شروطا ، ومن يسرع الناس الى طاعته ولا يتوقفون عن بيعته ، فاذا تعين بهم من بين الجماعة من أداهم الاجتهاد الى اختياره عرضوها عليه ، فان أجاب اليها بايعوه عليها وانعقدت بيعتهم له الامامة، فلزم كافة الامة الدخول في بيعته لاالانقياد لطاعته ، وان امتنع عن الامامة ولم يجب اليها لم يجبر عليها لانها عقد مراضاة واختيار لا يدخله اجبار ، وعدل عنه الى من سواه من مستحقيها ، فلو تكافأ اثنان قدم لها أسنهما ، فان بويع أصغرهما سنا جاز ، ولو كان أحدهما أعلم والآخر أشجع ، روعي في الاختيار ما يوجبه حكم الوقت ، فان كانت الحاجة الى فضل الشجاعة أدعى لانتشار الثغور وظهور البغاة كان الاشجع أحق وان كانت الحاجة الى فضل العلم أدعى بسبب سكون الدهماء وظهور أهل البدع كان الاعلم أحق ، واذا تنازعها اثنان أو تساوت

(١) الاحكام السلطانية ص ٣ ـ ٥ ٠

صفاتهما ، قيل يقترع بينهما وقيل يختار أهل الحل والعقد أيهما على ما يرون •

واذا اختار أهل الحل والعقد الخليفة لزم أن يتبعهم سائر الناس ومن لم يتبعهم بالاختيار سهل عليهم اكراهه بقوة الامة على الطاعة والانقياد بشرط أن يكون هؤلاء أقلية ، وهذا يقال عن الاقلية من أهل الحل والعقد الذين لا يستجيبون لرأي الاغلبية الساحقة من هذه الهيئة(١) •

ذلك هو الطريق للوصول للامارة ، ولا يجوز الوصول لها بغير هذا الطريق فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : نعم الشيء الامارة لمن أخذها بحلها وحقها ، وبئس الشيء الامارة لمن أخذها بغير حلها وحقها ، تكون عليه يوم القيامة حسرة وندامة(٢) •

وفي هذا المقياس نتساءل : كيف وصل عمر الى الخلافة ؟

يتطاول بعض الناس فيرونه نال الخلافة بتعيين أبي بكر له ، ويتمادى آخرون في العدوان فيدعون أن هناك خطة رسمها أبو بكر وعمر وأبو عبيدة لينالوا الخلافة لانفسهم الواحد بعد الآخر ، والمستشرقون هم الذين أبرزوا هذه الفرية ، يقول سير توماس أرنولد : عندما وصلت أخبار موت الرسول الى خيرة أتباعه من السابقين في الاسلام ، أبي بكر وعمر وأبي عبيدة اتخذوا في الحال عملا حاسما ليضمنوا اسناد الخلافة الى أبي بكر تبعا لخطة لا شك أنهم بيتوها عندما توقعوا قرب وفاة الرسول •

ولسنا نوافق توماس أرنولد على أنه كانت هناك خطة سبقت وفاة الرسول لما ذكره ابن هشام من أن موت الرسول كان صدمة لم يتوقعها المسلمون(٣) •••

وعلى هذا فاتجاه المستشرقين اتجاه زائف لا برهان عليه ، وكل ما نراه محتملا هو أن هؤلاء الثلاثة اتجهوا الى اجتماع السقيفة ليبدوا فيه رأي المهاجرين في مشكلة الخلافة الاسلامية ، ويمكن أن يكونوا قد تدارسوا هذا الامر وهم في طريقهم الى هذا الاجتماع ليقابلوا المجتمعين في ضوء رأي مدروس ، وهذا

---

(١) رشيد رضا : الخلافة ص ١٢ •

(٢) أبو عبيد : الاموال ص ٤ •

(٣) سيرة ابن هشام : جـ ٢ ص ٢٧٣ •

التصرف وليد الحكمة والفطنة ، وتولى أبو بكر على كل حال باجماع المهاجرين والانصار وانضم لهم بنو هاشم في ذلك اليوم أو في الايام التالية .

وعلى كل حال فقد شهد أبو بكر الصراع على الخلافة عقب وفاة الرسول رآها مطلب المهاجرين ومطلب الانصار ومطلب بني هاشم ، فلما كانت أيامه الاخيرة ، خاف أن يختلف الناس من بعده على نحو ما اختلفوا عقب وفاة الرسول ولكن الظروف التي أحاطت بالفترة الاخيرة من حياة أبي بكر كانت خطيرة فقد كانت الحرب مشتعلة في فارس والروم بين المسلمين وغير المسلمين ، ورأى أبو بكر أن لا مجال للخلاف على الخلافة في هذه الفترة ، فان الخلاف وقد عرفه هو عقب وفاة الرسول ـ سيسبب اضعاف الجبهة الاسلامية في ميدان القتال اذ أن الجيش الاسلامي يحتاج الى امداد ومساعدات من الرجال والاسلحة والطعام ... فلو اختلف القوم في العاصمة واستمر اختلافهم مدة قصيرة أو طويلة لادى ذلك الى اضعاف المسلمين وهزيمتهم وتبديد شملهم .

وقد تصبح الحالة أدهى وأمر لو انضم فريق من الجيش الى مرشح وانضم فريق آخر الى مرشح آخر ، مما قد يخلق صراعا داخليا ، ويوجه أسلحة المسلمين الى صدور المسلمين .

من أجل هذا وجد أبو بكر نفسه ملتزما بأن يجتهد وأن يختار للمسلمين الطريق الذي يضمن لهم السلامة ، وقد استشار أبو بكر علية القوم وأولي الامر فيهم وبرز في جو المشورة أمران هامان .

الامر الاول : انه كان للفاروق مكانة خاصة في الاسلام فقد كان هو وأبو بكر عضدي الرسول ومستشاريه في أثناء حياته حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لهما : لو اتفقتما على أمر ما خالفتكما أبدا .

بكر أن عمر رآه لينا فاشتد بجانبه ، وعندما يؤول له الامر سيبرز لينه ورخاؤه

الامر الثاني : أن أبا بكر وجد اتجاها عاما لترشيح عمر ، بل كان هناك اجماع على ترشيحه وكل ما في الامر أن بعض الناس خافوا شدته فذكر لهم أبو كاما احتاج الامر الى اللين والرخاء .

والحقيقة أنه كان مستحيلا أن يتقدم انسان على عمر ، وعمر هناك ، وفي ضوء هذا الاجماع أصدر الخليفة قرارا بتعيين عمر ، ويعد هذا القرار تنفيذا لاجماع الناس وتحقيقا لاختيارهم ، ولا شك أنه اجتهاد شرعي كان بعيد الاثر في الفوز الساحق الذي حققته جيوش المسلمين في عهد عمر .

وعقب البيعة اتجه أبو بكر لله وقال : اللهم اني لم أرد بذلك الا اصلاحهم وخفت عليهم الفتنة ، فعملت فيهم بما أنت أعلم به ، ولما آل الامر لعمر صور شدته ولينه أصدق تصوير فقال : ـ

بلغني أن الناس هابوا شدتي ، وخافوا غلظتي ، وقالوا قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله بين أظهرنا ، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه فكيف وقد صارت الامور اليه ؟ ومن قال ذلك فقد صدق ٠

انني كنت مع رسول الله فكنت عبده وخادمه ، وكان من لا يبلغ أحد صفته في اللين والرحمة وكان .. كما قال الله ـ « بالمؤمنين رؤوفا رحيما » فكنت بين يديه سيفا مسلولا حتى يغمدني أو يدعني فأمضي ، فلم أزل كذلك مع رسول الله حتى توفاه الله وهو عني راض ، والحمد لله على ذلك كثيرا وأنا به أسعد ٠

ثم ولي أبو بكر أمر المسلمين فكان من لا تنكرون دعته وكرمه ولينه فكنت خادمه وعونه ، أخلط شدتي بليّنه فأكون سيفا مسلولا حتى يغمدني أو يدعني فأمضي ، فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عز وجل ، وهو عني راض فالحمد لله على ذلك كثيرا وأنا به أسعد ٠

ثم أني قد وليت أموركم أيها الناس ، فاعلموا أن تلك الشدة قد ضوعفت ولكنها انما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض ، ولست أدع أحدا يظلم أحدا أو يعتدي عليه حتى أضع خده على الارض ، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق ، واني بعد شدتي تلك أضع خدي على الارض لاهل العفاف وأهل الكفاف ٠

فاذا جئنا الى الحديث عن عمر الخليفة ، وجدناه يرسم صورة دقيقة لنفسه فقد قال عقب أن تمت البيعة له بعد وفاة ابى بكر :

ايها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم ٠٠٠ وفي موقف مماثل ايها الناس اني قد وليت عليكم ٠٠ رجاء أن أكون خيركم لكم واقواكم عليكم وأشدكم اضطلاعا بما ينوب من مهم اموركم، ما وليت ذلك فيكم ولو علمت أن أحدا أقوى مني على هذا الامر لكان أن أقدم فتضرب عنقي أحب الي من أن أليه ٠

ويمكن أن يقارن هذا القول بالخطاب الذي افتتح به أبو بكر خلافته وهو : أيها الناس اني وليت عليكم ولست بخيركم ، ومن المقارنة تتضح لنا أبعاد ذات

بال : تواضع سمح من أبي بكر يتفق مع نفسه السمحة الرضية واعتداد بالنفس من عمر يتفق مع طموحه وقوته ، ثم قال من ناحية أخرى أن سماحة أبي بكر كانت تتفق مع الظروف التي تولى فيها الخلافة ، حيث كان العالم الاسلامي محدودا بالجزيرة العربية ، وحيث كانت تعيش النخبة الطيبة من أصحاب الرسول في تواضعهم وصفاتهم ، أما عمر فقد تولى الامر وقد امتد الاسلام الى أرض الفرس والروم وكثر المسلمون عددا واتصلوا بحضارات الامم المفتوحة وتطلع بعضهم الى الاستمتاع بالنعيم الذي كان يرفل فيه حكام هاتين الامبراطوريتين وقادتهما ، كان عمر على صلة تامة بهذا التطور طيلة عهد سلفه ، ولذلك كان لا بد له أن يتولى هذا الامر في قوة واعتداد بالنفس ليكبح جماح الطامعين ٠

الاجتهاد والتطور

ونعود الآن للحديث عن الدور الكبير الذي ارتبط بعمر في قيادته للأمة الاسلامية ونتجه الى نقطة مهمة في حياة عمر هي جانب الاجتهاد الذي كان أبرز جانب في حياته الحقبة الحافلة بالمكرمات ، فقد كان عمر في القضاء والاجتهاد موهوبا ملهما ، وقد بدت مواهبه هذه منذ عهد الرسول حتى قال عليه السلام فيه : « قد كان قبلكم رجال يتكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فان يكن في أمتي أحد فعمر » وقد كان عمر جريئا في اجتهاده يعرض رأيه ويدافع عنه ، ولو كان للرسول رأي سواه ، وكذلك كان في عهد أبي بكر وفي بعض الحالات كان القرآن الكريم يؤيد رأي عمر كما حدث في أسرى بدر ، ولنا هنا أن نلاحظ أمرا ذا بال هو أن عمر كان يحترم رأي الآخرين كما يحترم رأي نفسه ، جاء رجل يعرض عليه قضيته فأحاله الى علي بن أبي طالب الذي كان يتولى القضاء ، فقضى علي فيها باجتهاده فلما رأى عمر الرجل سأله : ما صنعت : ـ

قال الرجل : قضى علي بكذا ٠

قال عمر : لو كنت أنا لقضيت بكذا ٠

قال الرجل : فما يمنعك والامر لك ٠

قال عمر : لو كنت أردك الى كتاب الله أو الى سنة رسوله لفعلت ، ولكني أردك الى رأي ، والرأي مشترك ولست أدري أي الرأيين أحق عند الله ٠

وقد وصل عمر في الاجتهاد : مرحلة عالية بعيدة الاثر في حياة الدولة الاسلامية ، وسنسرد فيما يلي صورا من هذا الاجتهاد الذي كان خيرا كل الخير للمجتمع الاسلامي .

وأبرز اجتهاد فعله عمر موقفه من تكوين جيش اسلامي ، فلم يكن للمسلمين في مطلع الاسلام جيش ، وكان الرسول وأبو بكر وعمر ـ في أول عهده ـ ينتدبون الناس للجهاد فيلبي الناس ويحضرون ومعهم طعامهم وسلاحهم وما يركبونه ان كانوا من الفرسان ، فمن لم يستطع الحصول على فرس يركبه انضم الى صفوف الرجالة ، وبعد الجهاد يعود هؤلاء المجاهدون ليباشروا أعمالهم العادية في التجارة او الزراعة أو رعي الغنم ، فلما اتسعت المملكة الاسلامية وأصبحت لها حدود تصلها بالروم ، كان لا بد من تكوين جيش يحرس هذه الحدود ويقف أمام الاعداء المتربصين وأمام جيوشهم المحترفة التي لا عمل لها غير الحرب ، وسرعان ما كون عمر أول جيش اسلامي متفرغ .

ولم تكن هناك مرتبات منتظمة ، بل كان المجاهدون يقتسمون الغنيمة ان حصلوا عليها ، فان لم يحصلوا على غنيمة قنعوا بالثواب من الله ، وعادوا الى أعمالهم التي يرتزقون منها ، ولكن الجيش المرابط على الحدود والذي اتخذ الدفاع عن الدولة الاسلامية عملا تفرغ له احتاج الى مرتبات منتظمة ، تصرف لاعضائه ، دون أن يتركوا هم وأسرهم لغنيمة قد تجيء وقد لا تجيء .

وهكذا احتاجت الدولة الجديدة الى كثير من المنشآت ، وهكذا تطلع المجتمع الجديد الى نظم جديدة تحل ما ظهر فيه من مشكلات عديدة ، وقد نهض عمر بهذا العبء الضخم نهوضا عظيما ، ووفق توفيقا بلغ الغاية فيما أنشأ وما اقترح وكان كالعهد به حاسما موهوبا ، لم يدع أمرا يضطرب ثم يقترح له الدواء ، وانما كان في الغالب يحس بالحاجة قبل ظهورها فينظم الوقاية حتى لا ينشأ الداء .

وخطا عمر بعد ذلك خطوات ثابتة في مجال الاجتهاد وكان كما يقول الدكتور هيكل(١) يسترشد بروح الاسلام لا بالناحية الحرفية فيما يعرض عليه وكان لعظيم ايمانه وشدة امتثاله تعاليم رسول الله جريئا في الاجتهاد وان خالف ظاهر

---

(١) الفاروق عمر ج ٢ ص ٢٨٢ .

النص ، واذا اقتضت أحوال الجماعة تأويل النص أوله ، حريصا في هذا وفي ذاك على ملاءمة الحكم لاحوال المجتمع مع اتفاقه في الوقت نفسه مع روح المبادىء والتعاليم المحمدية السليمة ٠

ومن اجتهاد عمر أيضا اقتراحه مسألة الخراج(١) وقصة ذلك أن المسلمين كانوا قد جروا حتى أوائل عهد عمر على أن ما يغنمونه في الحروب يقسم أخماسا فأربعة أخماسه توزع على الجند المنتصرين وأما الخمس الخامس فلولي الامر ليوزعه على من شملتهم الآية الكريمة : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل(٢) » فلما فتح المسلمون أرض السواد بالعراق وأرادوا قسمها على هذا النحو خالفهم عمر واقترح أن تبقى الارض في يد زارعيها ، وأن يدفعوا عنها خراجا لبيت المال وفي ذلك ما يحبب أهل العراق في الاسلام ، اذ سيبقى كل في أرضه ، وسيدفع خراجا عنها أقل مما كان يدفعه عنها قبل الاسلام ، ثم أن ذلك سيضمن دخلا منتظما لبيت المال الذي أصبح مسؤولا عن دفع مرتبات منتظمة للجنود والقضاة وغيرهم ٠

ولا شك أن رأي عمر كان صدمة للجنود بل كان مخالفا لكل ما في أذهان الناس ، ولكن عمر كان مؤمنا بهذا الرأي فوقف قويا يشرحه ويدافع عنه دون أن يستعمل نفوذه أو سلطانه لفرضه على المسلمين ، ومال المسلمون الى هذا الرأي يوما بعد يوم ، وكان في مقدمة من مال اليه عثمان وعلي وطلحة ، ثم أرسل عمر الى عشرة من أشراف الانصار فجاءوا اليه فقال لهم : اني لم أزعجكم الا لتشتركوا معي فيما حملت من أموركم فاني واحد كأحدكم ، وأنتم اليوم تقرون بالحق ، خالفني من خالفني ووافقني من وافقني ولست أريد أن تتبعوا هذا الرأي لانه هو هواي ، فوالله لئن كنت نطقت بأمر أريده ما أريد به الا الحق قالوا : نسمع يا أمير المؤمنين وشرح لهم عمر رأيه على نحو ما أوجزناه آنفا فأجابوا : الرأي رأيك فنعم ما قلت وما رأيت ٠

كم كان عمر موفقا في هذا العمل الاجتماعي العظيم ، وكم كان عميق

---

(١) اقرأ قصة الخراج في المراجع الآتية : ـ

ا ـ الماوردي : الاحكام السلطانية ص ١٣١ ٠

ب ـ يحي بن آدم الخراج ص ٢٧ و ٢٨ و ٤٨ ج أبو يوسف الخراج ٢٩ ـ ٣٠ ٠

(٢) سورة الانفال الآية ٤١ ٠

الفكر ينظر للمسلم ولغير المسلم ، وينظر للحاضر والمستقبل ، برأي حصيف ، وايمان وطيد ، بل بالهام لم يحظ به الا القليلون ٠

وتوزيع الزكاة تجري تبعا للآية الكريمة : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله وابن السبيل ٠٠»(١) ٠

وكان من المؤلفة قلوبهم في صدر الاسلام جماعة كان الرسول يعطيهم من الزكاة ليأتلفهم وليساعد على تثبيت الايمان في قلوبهم ومن هؤلاء أبو سفيان وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس ، وهم من أصحاب النفوذ في الجزيرة العربية، وقد كان الرسول يعطيهم بسخاء وكذلك أعطاهم أبو بكر فلما جاء عمر حضر اليه عيينة والاقرع ظانين أنه سيسير على نهج الرسول وأبي بكر في هذا الامر ولكن عمر تدبر الامر وواجههما بقوله :« ان الله أعز الاسلام واغنى عنكم فان ثبتم عليه والا فبيننا وبينكم السيف » ٠

وهكذا وضع عمر هؤلاء الناس على قدم المساواة مع باقي المسلمين فعليهم أن يعملوا كما يعمل الناس ، لا أن يعيشوا عالة على سواهم ، ولا أن يأخذوا نصيبا أحرى به أن يدفع للفقراء والمساكين ومنذ ذلك الحين اتجه الفقهاء الى اعطاء المؤلفة قلوبهم اذا كانوا حديثي عهد بالاسلام ، ليستطيعوا أن ينظموا أمورهم ويرتبوا شؤونهم وبعد ذلك يقطع عنهم هذا العطاء ٠

ومن اجتهاد عمر تطبيقه لمبدأ الضرورة في كثير من الاحداث الهامة فقد عرضت عليه قضية امرأة زنت وأقرت بالزنا ، ولكنها عندما سئلت عن سبب ذلك أجابت بأنه حاجتها الشديدة الى ما يروي ظمأ كانت تعانيه ، وقد أبى صاحب الماء أن يمنحها شربة حتى تسلم له نفسها فرفضت حتى اشتد بها العطش وخافت الهلاك فقبلت ، وقد استشار عمر الصحابة في هذا الامر ، فقال علي أنها مضطرة، واخذ عمر بهذا الراي ولم يوقع عليها الحد ٠

---

(١) سورة التوبة الآية ٦٠ ٠

وسرق غلمان لحاطب ابن أبي بلتعة ناقة لرجل من مزينة فأتى بهم الى عمر فأقروا ، فاستدعى الخليفة عبد الرحمن ابن حاطب وقال له : انكم تستعملـون هؤلاء الغلمان وتجيعونهم حتى أن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له ، وأيم الله اذا لم أقطع أيديهم لاغرمنك غرامة توجعك • ثم قال يا مزني بكم أريـدت منك ناقتك ؟

قال : بأربعمائة •

قال عمر لعبد الرحمن بن خاطب : أعطيه ثمانمائة •

قال عمر لعبد الرحمن بن حاطب : أعطه ثمانمائة •

وأعفى الغلمان من الحد لان الضرورة هي التي دفعتهم الى السرقة •

والحديث عن عمر يشد الباحث شدا ليضيف كلمة قصيرة عن عام المجاعة الذي حدث في عهد عمر بن الخطاب ، تلك المجاعة التي شملت الحضر والبادية ، ووقف عمر حيالها موقفا فريدا يعد نموذجا رائعا للعاهل والقائد فقد أحس عمر بجوع الناس وحرمانهم فحلف الا يذوق لحما ولا سمنا حتى يحيا الناس ووضع دستوره العادل •• كيف يعنيني شأن الرعية اذا لم يمسني ما يمسهم » قال عياض : رأيت عمر عام الرمادة وهو أسود قد تغير لونه من الحرمان وأكل الزيت ، وقال يزيد بن أسلم : لو لم يرفع الله المحل عام الرمادة لظننا عمر يموت هما بأمـر المسلمين •

وكتب عمر الى الولاة في الشام وفلسطين ومصر يستنجدهم ويطلب منهم العون وكانت عبارته لهم قصيرة عميقة التأثير : « سلام عليك » أما بعد أفتراني هالكا ومن قبلي وتعيش أنت ومن قبلك فياغوثاه ، يا غوثاه » لم يصدر عمـر أوامر وكل ما فعله هو هذه المقارنة التي تقرر ضرورة التعاون في السراء والضراء وان من العدل أن يقتسم الناس الخير والشر وليس من الاسلام أن يجوع ناس ويشبع آخرون أو يتخمون •

وسارع المسلمون في كل مكان يلبون دعوة اخوانهم في الجزيرة العربيـة وانهال العطاء من كل جانب بكثير من السخاء والكرم •

ووضع عمر دستور التعاون الذي لا نعتقد أن المدنية في أسمى مراحلها تستطيع أن.تصل اليه قال : لو لم أجد للناس ما يسعهم الا أن أدخل على أهل كل بيت عدتهم فيقاسموهم أنصاف بطونهم حتى يأتي الله بالحياة فعلت ، فانهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم ٠

ذلك جانب أو بعض جانب من حياة عمر التي توصف بحق بأنها فتح وموهبة ونجاح ، وحياة عمر نموذج طيبلولي الامر وللقائد وللمسلم علىالعموم ولو تدارسناها لوجدنا فيها خصوبة تجدد شباب الاسلام وتعود بالمسلمين الى حياة الظفر والتفوق ، وتضعهم في المجتمع العالمي في مكان القيادة والتوجيه ٠



عمر والتشريع الاقتصادي

بقلم محمد عماره

حقيقة أن أسس الدولة العربية الاسلامية قد وضعت في عهد الرسول عليه السلام ، ومنذ أن هاجر من مكة الى « يثرب » (المدينة) ، بل وقبيل هذه الهجرة عندما تمت البيعة الاولى بينه وبين ممثلي قبيلتي الاوس والخزرج في أحد مواسم حجهم الى مكة ، تلك البيعة التي غدت بمثابة العقد التأسيسي للدولة العربية الاسلامية التي أتخذت من « يثرب » عاصمة لها منذ هاجر اليها الرسول عليه السلام ٠

ولكن السنوات التي قضاها الرسول في « يثرب » وكذلك السنوات التي حكم فيها من بعده أبو بكر الصديق قد استغرقتها أعمال الحرب الدفاعية عن النظام الجديد ، والغزوات التي استهدفت تأمين سلامة الدولة الوليدة ، وبناء كيانها السياسي في اطار شبه الجزيرة العربية ٠٠ ولم يحدث أن فتحت هذه الدولة عيونها بقوة على خارج شبه الجزيرة ، ولا أن امتدت فتوحات جيوشها الى حيث أخضعت أقاليم الفرس وحررت مستعمرات البيزنطيين الا في خلافة عمر بن الخطاب (١٣ــ٢٣ هـ ٦٣٤ــ٦٤٤ م) ففي عهده امتدت حدود الدولة العربية الاسلامية حتى تحولت الى « امبراطورية » رفرفت أعلامها على المنطقة الممتدة من ايران الى مصر الى الشام ، فضمت أهم واغنى أقاليم الدولة البيزنطية في الشرق وكل ممتلكات الدولة الفارسية ٠٠ ولذلك تحدثت أقدم المصادر العربية الاسلامية عن عمر بن الخطاب فوصفته بانه « هو اول من فتح الفتوح ، وهي الارضون والكور التي فيها الخراج والفيء ، فتح العراق كله ، والسواد والجبال وأذربيجان ، وكور البصرة وأرضها ، وكور الاهواز وفارس وكور الشام ــ ما خلا أجنادين

فانها فتحت في خلافة أبي بكر ـ ٠٠ وفتح عمر كور الجزيرة ، والموصل ومصر ، والاسكندرية ٠ وقتل ـ رحمه الله ـ وخيله على الري ، وقد فتحوا عامتها ٠٠ وهو أول من مسح السواد وأرض الجبل ووضع الخراج على الارضين والجزية على جماجم أهل الذمة فيما فتح من البلدان ٠٠٠ »(١) ٠

وهذه العبارات تعني بالنسبة للباحث عن قسمات النظام الاقتصادي الذي اعتمدته الدولة العربية الاسلامية الاولى ، الشيء الكثير٠٠ لانها تجعل من النظام الاقتصادي لهذه الدولة على عهد عمر بن الخطاب النموذج الادق والاكمل الذي يجسد بحق طبيعة هذا النظام ٠٠ فعهد هذا الخليفة هو الذي استكملت فيه الدولة طابع الامبراطورية ومن ثم واجهتها مشاكل مستحدثة لم يعرفها عهد الرسول ولا عهد أبي بكر ٠٠ ليس في الجانب الاقتصادي المتعلق بالارض الزراعية فقط ـ وهو الجانب الذي يعنينا هنا ـ بل وفي جوانب البناء السياسي والاداري للدولة أيضا ٠٠٠

ففيما يتعلق باقامة جهاز اداري يضبط الحياة الاقتصادية ويرتب الاوضاع الاجتماعية والطبقية للعاملين في أجهزة الدولة المدنية وجيشها العسكري لم يكن لهذه الدولة عهد بمثل هذا الجهاز قبل عهد عمر وقبل تمام هذه الفتوحات ٠٠٠ فلقد كانت بساطة البيئة العربية وسذاجتها مضافا اليها قلة الموارد المالية ، قد حددت لهذا الجهاز أشكالا بسيطة وأولية لا علاقة لها بما للدول الكبرى والامبراطوريات الغنية من أجهزة تضبط مثل هذه الامور وتنظمها ٠٠٠

ولقد طرحت هذه الفتوحات وما جلبته الى العاصمة من أموال لا عهد للعرب بمثلها طرحت ضرورة اقامة هذا الجهاز الاداري الذي ينظم هذه الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية للعاملين بهذه الامبراطورية وهو الجهاز الذي كانوا يسمونه (الديوان) ٠٠

ولما لم يكن في تراث العرب الاداري ما يستفاد به في « تدوين » (الديوان)، ولما كانت ملامح « الدولة » العربية الاسلامية على عهدي الرسول وأبي بكر هي ثمرة للمجتمع العربي الساذج والبسيط فلقد كان ضروريا أن يستلهم العرب

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ق١ ص ٢٠٢ ٠

على عهد عمر ملامح هذا (الديوان) من التراث الاداري في حضارات الامم التي فتحوا بلادها • وبالذات حضارتي الفرس والروم والتراث الاداري لدى كل من الاكاسرة والقياصرة •• **فهذه أمور تتعلق بالدنيـــا ، وببناء الدولة ، وليس في القرآن ولا في السنة ، ولا في تراث العرب الاداري ما يسعف المشرع ورجل الدولة فليتجه رجل الدولة العربي المسلم ، دونما حرج ، الى تراث الآخرين كي يستلهم النظم التي تقتضي الضرورة والمصلحة وضعها ، اذ في تحقيق هذه المصلحة تحقيق الغايات السامية التي استهدفتها التعاليم الكلية والوصايا المجملة التي يزخر بها القرآن الكريم •**

وقصة عمر بن الخطاب مع « تدوين » (الديوان) تحكي هذا المعنى الذي أشرنا اليه ، « فجبير بن الحويرث بن نقيد » يروي « أن عمر بن الخطاب استشار المسلمين في تدوين الديوان ، فقال له علي بن أبي طالب : تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ، ولا تمسك منه شيئا ، وقال عثمان بن عفان : أرى مالا كثيرا يسع الناس ، ان لم يحصوا، حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ ، خشية أن ينتشر الامر •• (أي أن عليا وعثمان كانا من أنصار البقاء على بساطة سذاجة جهـــاز الدولة القديم ، ولا يريان ضرورة لتدوين الديوان) ـ فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : يا أمير المؤمنين ، **قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا ، فدون ديوانا وجند جنودا فأخذ بقوله** » (١)•

فعمر هنا قد أدخل في النظام الاداري للامبراطورية العربية الاسلاميـــة شيئا مستحدثا لم تعرفه من قبل وليس هذا الشيء هو (الديوان) فحسب ، بـل وتجنيد الجنود ، أي اتخاذ الجندية مهنة وصنعة يمتهنها البعض ، أي تكوين جيش محترف لشؤون القتال ؟•

وهذا الذي صنعه عمر كان استجابة لضرورة طرحتها التطورات الجـديدة في الامبراطورية ولم يشهدها عهد الرسول ولا عهد الخليفة الاول • ولم يجـد عمر حرجا في أن يصنع أشياء لم يشر اليها القرآن ولا تحدث عنها الرسول ، ولا فكر فيها أبو بكر • ولا اقتنع بها علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان ؟!

---

(١) المصدر السابق جـ ٣ ق ١ ص ٢١٢ •

فهي أمور مدنية تتعلق بالسياسة والادارة التي تحكمها المصالح المتجددة للنـــاس ٠

ولم يكن التراث الاداري للدولة البيزنطية المسيحية هو فقط الذي استلهمه عمر في « تدوين » (الديوان) وتجنيد الجنود بل لقد استلهم فيه كذلك تـراث الفرس والمجوس ، ففي أقدم المصادر التي تؤرخ لهذه الاحداث حديث عن قدوم أبي هريرة ـ وكان عمر قد ولاه امارة «البحرين» ـ الى المدينة ومعه ٥٠٠،٠٠٠ درهم جمعها خراجا وجزية من سكان امارته » فقال عمر للناس أنه قد قدم علينا مال كثير فان شئتم أن نعد لكم عددا وان شئتم أن نكيل لكم كيلا فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، **اني قد رأيت هؤلاء الاعاجم يدونون ديوانا يعطون الناس عليه ٠٠ فدون (عمر) الديوان ٠٠ »(١) ٠**

وغير قضية « تدوين » (الديوان) وتجنيد الجنود ، نجد أن شكل الدولة ، بل والتسمية والمضمون المتعلقان برأس هذه الدولة قد استدعت التطورات الادارية الجديدة طرحهما للمناقشة من جديد ٠٠ فعندما توفي الرسول عليه السلام ، كانت الدولة لا تزال في دور البساطة ، فأطلق على أبي بكر الصديق لقب « خليفـــة رسول الله » وكان هو الخليفـــة الاول فكانت هذه التسمية خفيفة بسيطة هي الاخرى ، وعندما مات أبو بكر لقب عمر بـ « خليفة خليفة رسول الله » فأصبح الاسم أكثر طولا وأدخل في التعقيد ، وفكر القوم فيمن سيخلف عمر ، وفيمـــن سيخلف خليفة عمر ، وكيف ان الاسم سيطول الى درجة المشقة على الناس في نطقه وتدوينه ، فضلا عن عدم لياقته ٠٠ وفكروا أيضا ـ وهذا هام ـ في الالقـــاب السياسية والادارية الجديدة التي هي جزء من التراث السياسي والاداري لشعوب البلاد المفتوحة والتي أصبح (تراثها جزءا أساسيا في تراث الامبراطورية الجديدة ٠٠ فكروا في ألقاب « الامارة » و « الملك » ٠٠ فكانت شعوب البلاد المفتوحة ذات التراث السياسي « الملكي » تسمي عمر « ملكا » وكما يروي « أنس بن مالك » فان « الهرمزان » عندما رأى عمر بن الخطـــاب مضطجعـــا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : هذا هو الملك الهني ٠٠٠(٢) ٠

بل لقد فكر عمر بن الخطاب نفسه في أن يتخذ من لقب «الملك» لقبا له ،

---

(١) المصدر السابق جـ ٣ ق ١ ص ٢١٦ ٠

(٢) المصدر السابق جـ ٣ ق ١ ص ٢١١ ٠

ففي رواية محمد بن عمر نقرأ قوله : « حدثني عبد الله بن الحارث عن أبيه عن سفيان بن أبي العوجاء ، قال : قال عمر بن الخطاب : والله ما أدري **أخليفة أنا أم ملك ؟ فهذا أمر عظيم !!** » وتمضي الرواية فتقول : ان قائلا قال لعمر : « يا أمير المؤمنين ، ان بينهما فرق قال (عمر) : ما هو ؟ قال : **الخليفة** لا يأخذ الا حقا ولا يضعه الا في حق ، فأنت بحمد الله كذلك **والملك** يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا . فسكت عمر !؟ »(١) .

أي أن عمر سكت ، مجرد سكوت ، ولم تشر هذه الرواية الى أنه قد عدل عن تردده هذا ولا أنه قد حسم في أمر اللقب الذي هو أولى به .. ولكن رواية أخرى تأتينا عن سلمان الفارسي لتحكي حوارا دار بينه وبين عمر بن الخطاب حول ذات الموضوع ومنها نعلم أن عمر قال لسلمان : « أملك أنا أم خليفة ؟! فقال له سلمان : ان أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة » وتمضي الرواية فتقول :« فاستعبر عمر .. »(٢) أي أنه اقتنع بأن لقب (الملك) مرتبط بمضمون متميز بالظلم الاجتماعي وهو ما لا يليق بالحاكم المسلم العادي الذي كانه عمر بن الخطاب .

ونحن نعلم أن الامر قد حسم باختيار عمر واستحسانه للقب « أمير المؤمنين » ونعلم أنه قد رفض لقب «**الملك**» وقال لاحد أصهاره ـ كما يروي محمد ابن سيرين ـ عندما اشتم منه أنه يريد ميزة من بيت المال : « أردت أن ألقى الله ملكا خائنا (٣) » .

فهو اذا الاجتهاد .. قام به عمر عندما طرحت الحياة في الامبراطورية الجديدة مشكلاتها المستحدثة .. وهو النظر الى المصلحة الاقتصادية للامة المرتبطة بقيمة « العدل » والعدل الاجتماعي على وجه الخصوص .

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ق ١ ص ٢٢١ .

(٢) المصدر السابق ج ٣ ق ١ ص ٢٢١ .

(٣) المصدر السابق ج ٣ ق ١ ص ٢١٩ .

ونحن لو ذهبنا نستقصي مواقف الاجتهاد العمري التي وقفها هذا الخليفة العظيم والتي تعلقت بالحياة الاقتصادية الجديدة والقضايا الاجتماعية التي طرحتها عليه الحياة لوجدنا ذخيرة من المواقف الاجتهادية لا زالت حتى يومنا هذا صالحة كي تقوم بالنسبة لنا بدور المعلوم ، **نستفيد منها الجرأة والشجاعة ، ونتعلم منها كيف نميز بين الجوانب الروحية والعقائدية في الدين وبين جوانب التشريع في الدولة المسلمة فلا تتحول التشريعات الى ظلال للاهوت والكهنوت كما يريدها بعض الذين يحاولون استخدام الدين ستارا لاشباع شهواتهم للسلطة كما لا تتحول التشريعات الى نطاق خارج التعاليم الكلية والوصايا السامية العامة التي جاء بها القرآن .**

ولو ذهبنا نستقصي مواقف الاجتهاد العمري التي نتعلم منها هذا **التمييز ـ لا الفصل ـ بين الدين والدولة ، وهذه العلاقة ـ لا وحدة السلطتين الزمنيةوالروحية ـ بين كليات تعاليم القرآن والاشكال المدنية المتجددة دوما بتجدد الحياة** .. فاننا واجدون **الكثير** والكثير .. ومنها على سبيل المثال :

العطاء .. بين المساواة والتفاوت :

كانت الفتوحات الاسلامية على عهد أبي بكر الصديق تدور أساسا في نطاق شبه الجزيرة العربية ومن ثم كانت الغنائم « محدودة لا تقارن بتلك التي تحصلت على عهد عمر من فتوحات فارس والشام ومصر .. وكان أبو بكر يوزع هذه « الغنائم » بالمساواة بين الناس بصرف النظر عن قرابتهم من الرسول أو بعدهم عنه . وبصرف النظر أيضا عن سبقهم الى الاسلام أو تأخرهم في أعتناق الدين الجديد .. **ولم تكن هناك نصوص دينية لا في القرآن ولا في السنة ـ هي التي حددت لابي بكر هذه التسوية بين الناس في العطاء وانما كان اجتهادا من أبي بكر في هذه القضية « المدنية » غير الدينية ، راعى فيها قلة هذه « الغنائم » ومن ثم فان المقصود بالتسوية هنا اتاحة حد الكفاف الذي يحفظ الوفاء بضرورات الحياة فكان العدل يعني في هذا الموقف التسوية في العطاء ...**

ولما جاء عمر بن الخطاب وفتحت في عهده الفتوح ، وجاءت الاموال الكثيرة ، ودون عمر (الديوان) ، ألغى نظام « المساواة » الذي عمل به أبو بكر ووضع نظاما للعطاء تتفاوت فيه أنصبة الناس وجعل التدرج قائما على دعامتين :

الاولى : مدى القرب أو البعد في النسب بالنسبة للرسول عليه السلام :

والثانية : السبق الى الاسلام ومن ثم النضال المبكر في سبيل دولتـــه ، أو التأخر في اعتناق الدين الجديد ومن ثم المساهمة في النضال ضده ـ **وكان هذا الموقف الجديد اجتهادا من عمر دفعه اليه وضع اقتصادي ومالي جديد** ·· وتحكي لنا المصادر الاسلامية التي أرخت لهـــذا الموقف كيف « كان أبو بكر الصديق قد سوى بين الناس في القسم فقيل لعمر في ذلك فقال : لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه »(١) وكيف قال عمر : « ان أبا بكر رأى في هذا المال رأي ولي فيه رأي آخر »(٢) ·

بل ونفهم من هذه المصادر صراحة ما يؤكد قولنا بأن هذه المواقف انمـــا كانت من وحي الاوضاع الاقتصادية ومحكومة بالمصلحة التي تقدرها الدولة وانه لم تكن لهذه المسائل علاقة عضوية بأمور الدين ·· يشهد لذلك ويقطع به أن عمر الذي رفض نظام « التسوية » في العطاء واستبدله بنظام التفاوت والتمايز عـاد في أخريات حياته عندما كثرت الاموال ـ من جانب ـ وعندما برزت الفـــوارق الطبقية وهددت قيمة « العدل » التي استهدفها هذا الخليفة العظيم ـ من جانب آخر ـ عاد الى العزم على الرجوع الى نظام « التسوية » في العطاء ليروي أبو يوسف عن عمر أنه « لما رأى المال قد كثر قال لئن عشت الى هذه الليلة من قابل (أي من العام القادم) لالحقن آخر الناس بأولاهـم حتى يكـونوا في العطـــاء سواء »(٣) ·· ويروي زيد بن اسلم عن أبيه فيقول : « سمعت عمر بن الخطاب يقول : والله لئن بقيت الى الحول لالحقن آخر الناس بأولهـم ، ولاجعلنهم رجلا واحدا ···(٤) » ·

ويؤكد قولنا أن السبب في هذه التغيرات في تلك التشريعات الاقتصاديـة والاجتماعية انما كان **الموقف المالي** ، يؤكد ذلك رواية اسحاق بن حارثـــة بن

---

(١) المصدر السابق جـ ٣ ق ١ ص ٢١٣ ·

(٢) كتاب الخراج لابي يوسف · ص ٤٣ · طبعة المطبعة السلفية سنة ١٣٥٢ هـ ·

(٣) المصدر السابق ص ٤٦ ·

(٤) طبقات ابن سعد جـ ٣ ق ١ ص ٢١٧ ·

مضرب عن عمر قوله : « لئن عشت حتى يكثر المال لاجعلن عطاء الرجل المسلم ثلاثة آلاف »(١) ٠

فعمر قد خالف أبا بكر ، لاسباب مالية واقتصادية ، ثم عزم على العودة الى موقف أبي بكر ، لاسباب مالية واقتصادية واجتماعية ٠٠ دون أن يحاول أي منهما الربط بين أي موقف من هذه المواقف الدنيوية المدنية وبين الدين ٠٠٠

نصيب الرسول ونصيب قرابته من الغنائم :

في القرآن الكريم آية حددت المصارف التي تصرف فيها أموال « الغنائم » التي يغنمها المسلمون ، يقول الله فيها : (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ، ولذي القربى ، واليتامى والمساكين ، وابن السبيل ، ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير (٢))٠٠٠ فكان أربعة أخماس الغنائم يوزع على الفاتحين والخمس الخامس يوزع في خمسة مصارف : الرسول ، وقرابته ، واليتامى ، والمساكين ، والغرباء من أبناء السبيل ٠٠ فلما توفي الرسول اجتهد الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، **والتقى اجتهادهم على أن الموقف ازاء هذا النص القرآني بعد موت الرسول يختلف عنه وقت حياة الرسول فقسموا هذا الخمس الى ثلاثة اقسام هي لليتامى ، والمساكين ، وابنالسبيل ، وألغوا خمس الرسول ، وخمس قرابته ٠٠ ورفضوا أن يحل الخليفة محل الرسول في أخذ خمسه ، مما يوحي بأن سلطان الرسول وسلطته ومن ثم حقوقه هي من نوع خاص واستثنائي وغير قابلة للميراث كما رفضوا أن يظل خمس قرابته لآل بيته ، أو أن يتحول هذا الخمس الى آل بيت الخليفة** ٠٠٠ ويروي أبو يوسف عن عبد الله بن عباس : « أن الخمس كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، على خمسة أسهم : لله وللرسول سهم ، ولذي **القربى سهم** ، واليتامى والمساكين وابن السبيل ثلاثة أسهم ثمقسمه أبو بكر وعمر وعثمان على ثلاثة أسهم وسقط سهم الرسول وسهم ذوي القربى ٠ وقسم على الثلاثة الباقي ٠ ثم قسمه علي بن أبي طالب على ما قسمه عليه أبو بكر وعمر وعثمان ٠٠٠ » (٣) ٠

---

(١) المصدر السابق جـ ٣ ق ١ ص ٢١٧ ٠
(٢) سورة الانفال ـ آية ٠ ٤١ ٠
(٣) كتاب الخراج ص ١٩ ٠

كما يروي أبو يوسف أيضا عن الحسن بن محمد بن الحنفية كيف كان هذا الامر من مواطن الخلاف والاجتهاد ، فلقد « اختلف الناس بعد وفاة الرسـول صلى الله عليه وسلم في هذين السهمين : سهـم الرسول عليه السلام وسهم ذوي القربى • فقال قوم : سهم الرسول للخليفة من بعده وقال آخرون : سهم ذوي القربى لقرابة الرسول عليه السلام » وقالت طائفة : سهم ذوي القربى لقرابـة الخليفة من بعده • فأجمعوا على أن جعـلوا هـذين السهمـين في الكـراع(١) والسلاح »(٢) •• أي أنه قد استقر الرأي الاجتهـادي على « تأميم » هذين السهمين وضمهما الى الاموال المخصصة للمصالح العامة في الدولة • **وأكد هـذا الاجتهاد على قيمة « مدنية » السلطة بعد الرسول عليه السلام عندما أبعد شبهة وراثة الخليفة لما للرسول أو حلول قرابته محل قرابة الرسول ، وذلك بعد أن نفى استحقاق قرابة الرسول من بعده لما كانت تستحقه في حياته بسبب ظروف اقتصادية تحملتها في سبيل الدعوة الجديدة قبل أن تستقر دولة هذه الدعوة •**

الموقف من تملك الاراضي الزراعية :

على أن أخطر المواقف التي واجهت عمر بن الخطاب وهو يرسي القواعـد الاقتصادية والاجتماعية للامبراطورية الجديدة كان الموقف حيال الارض الزراعية الواسعة والغنية التي فتحتها جيوش العرب المسلمين في الشرق : العراق وفارس والمغرب ، مصر وشمال الجزيرة والشام •• فلقـد أدرك عمر بن الخطـاب أن فتوحات دولته لن تمتد في المستقبل القريب الى ما هو أبعد كثيرا من هـذه الحدود التي امتدت اليها ومن ثم فان هذه الارض الخصبة التي ترويها أنهـار « النيل » و « بردى » و « دجلة » و « الفرات » هي الثروة الرئيسية في هـذه الامبراطورية حاضرا ومستقبلا ••

ثم نظر الرجل الى نصوص القرآن ، والى تطبيقات الرسول ومن بعده أبو بكر ، فاذا النصوص والتطبيقات جميعها تعتبر هذه الارض المفتوحة « فيئا » أفاءه الله على الفاتحين ، ومن ثم فان الحكم هو قسمة هذه الارض بما عليهـا ومن

---

(١) الكراع هنا معناها : الخيل •

(٢) كتاب الخراج ص ٢١ •

فيها من الفلاحين بين الجنود الفاتحين !؟ أي أن القرآن والسنة يقضيان بتمليك هذه الارض للجنود والفاتحين ملكية خاصة وبتحويل شعوب هذه البلاد المفتوحة ، وبالذات الفلاحين •• الى عبيد أرقاء لهؤلاء الجنود الفاتحين ؟!

ولقد رفض عمر بن الخطاب هذا الموقف رفضا قاطعا •• وقرر أن الوضع الجديد يطرح قضية جديدة وانه لا بد من الاجتهاد لاتخاذ موقف جديد يستند الى تشريع جديد •• وخاض هذا الخليفة العظيم صراعا عنيفا ضد أغلبية الصحابة وضد الجيوش التي فتحت هذه البلاد • حتى انتصر في النهاية على كل المعارضين :

وقبل أن نعرض لوقائع هذا الصراع الاجتماعي ـ الاقتصادي « يحسن أن ننبه الى أن دوافع عمر بن الخطاب الى اتخاذ موقفه المتقدم هذا لم تكن كلها نابعة من ايمان الرجل بالعدالة الاجتماعية « كقيمة مثالية مجردة فعمر لم يكن الممثل الحقيقي لفقراء القوم لا قبل اسلامه ولا بعد اسلامه ، وانما كان ممثلا للطبقة الوسطى في المجتمع القرشي المتميز في شبه الجزيرة العربية ••• وحتى نقطع الطريق على الذين يحلو لهم الجدل في ذلك نقول أن عمر نفسه هو الذي يقرر لنا هذه الحقيقة الاجتماعية والطبقية فهو يتحدث عن حقوقه كأمير المؤمنين في بيت مال المسلمين فيقول : انها « حلتان » : حلة في الشتاء وحلة في القيظ وما احج عليه وأعتمر من الظهر (الدواب) وقوتي وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ثم أنا بعد رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم ••»(١) كما أن نظام الرقيق كان قائما ومعترفا به حتى من قبل الشريعة والقرآن •• فلا التعلق بقيمة العدالة الاجتماعية بمعناها المجرد والمثالي ، ولا كراهة أن تتحول هذه الشعوب الفارسية والشامية والمصرية الى أرقاء ، هي كل الاسباب التي وقفت وراء « ثورة » عمر بن الخطاب على ما كان يراد بهذه الارض وانهازها وقفا على بيت المال للدولة « ملكية الرقبة » فيها ، وأن تظل بايدي فلاحيها لهم فيها « ملكية المنفعة » نظير « الخراج » الذي يدفعونه عن مساحتها • وان يظل هؤلاء الفلاحون أحرارا يدفعون « الجزية » التي تضيف مصدرا من مصادر تمويل بيت المال مع « الخراج » وذلك بدلا من أن تتحول كل هذه الثروة الزراعية والبشرية الى ملكية خاصة ينفرد بها وبالتمتع بثمراتها الجنود الفاتحون ••

(١) طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ١٩٧ •

رأى عمر ذلك ·· ورأى فيه المصدر الرئيسي لمالية الدولة ولقيامها بنفقاتها المدنية والعسكرية ، سواء في عهده أو فيما سيلي عهده من عهود ··

ولقد كان موقف عمر هذا الذي يمثل تغييرات جذرية في امر استقرت عليه الدولة الاسلامية واستندت فيه الى نص قرآني ·· كان هذا الموقف بمثابة « الثورة » في الاجتهاد والتشريع والتطبيق ·· ويكفي أن نورد هنا بعض النصوص التي أرخت لهذا الحدث الكبير حتى نعلم ملابساته وما اعترض سبيله ·· يقول أبو يوسف : ··· « حدثني غير واحد من علماء أهل المدينة قالوا : لما قدم على عمر بن الخطاب جيش العراق من قبل سعد بن أبي وقاص شاور أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، في قسمة الارضين التي أفاء الله على المسلمين من أرض العراق والشام ·· فرأى عامتهم ـ (أي عامة الناس) أن يقسمه ·· وسأل بلال (ابن رياح الصحابي المشهور) وأصحابه عمر بن الخطاب قسمة ما أفاء الله عليهم من العراق والشام وقالوا : أقسم الارضين بين الذين افتتحوها كما تقسم غنيمة العسكر ·· وان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجماعة من المسلمين أرادوا عمر بن الخطاب أن يقسم الشام كما قسم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خيبر ، وانه كان أشد الناس عليه في ذلك الزبير بن العوام وبلال بن رياح ···· وكان رأي عبد الرحمن بن عوف أن يقسمه « فما الارض والعلوج (الفلاحون الفرس) الا ما أفاء الله عليهم ·· ولما افتتحت أرض مصر بغير عهد قام الزبير فقال : يا عمرو بن العاص أقسمتها ·· كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خيبر ····· » ·

وأما هذه الجبهة العريضة التي ضمت الجند الفاتحين الذين سال لعابهم لارض مصر والشام والعراق وأنهارها وفلاحيها كما ضمت الصحابة الذين أرادوا التطبيق الحرفي للنص القرآني الذي اعتبر مثل هذه الارض وأنهارها وأهلها « فيئا » أفاءه الله على الفاتحين لهم أربعة أخماسه تقسم بينهم كما أرادوا التأسي بما صنع الرسول بأرض خيبر في شبه الجزيرة العربية ·· أمام هذه الجبهة العريضة وقف عمر ومعه قلة من المهاجرين الاولين فيهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة وابن عمر ·· وتصدى عمر لهذه الجبهة العريضة ، وقال لهم : « ما هذا برأي ·· ولست أرى ذلك ·· والله لا يفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل (أي كبير نفع) ، بل عسى أن يكون كلا (أي عبئا) على المسلمين ، فاذا قسمت أرض العراق بعلوجها ، وأرض الشام بعلوجها ، فما يسد به الثغور؟ وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد وبغيره من أرض الشام والعراق ؟؟ لقد

اشرك الله الذين يأتون من بعدكم في هذا الفيء ، فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شيء ولئن بقيت ليبلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ودمه في وجهه (أي دون أن يطلب) •• (ولو قسمته بينكم) اذن أترك من بعدكم من المسلمين لا شيء لهم •• فكيف أقسمه لكم وأدع من ياتي بغير قسم ؟! •••• » •

ولكن هذه الحجج المنطقية والاجتماعية والاقتصادية التي ساقها عمر لم تقنع القوم فقالوا له : « أتقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يستشهدوا ؟! ولابناء قوم ولابناء أبنائهم ولم يحضروا ؟! » •

وكان واضحا من هذا الجدل وتلك الحجج المتبادلة أن **أنصار قسمة الارض والانهار والفلاحين يقفون الى جانب « الفرد » الفاتح •• بينما يقف عمر الى جانب « مجموع » الامة بأجيالها الحاضرة والمستقبلة •• « فالفرد » هو المنطلق والهدف عند هؤلاء « الجماعة » و « الدولة » هي المنطلق والهدف عند أمير المؤمنين •••**

ولم تحسم هذه الحجج الموقف •• واعتبر عمر أن كل ما يقال في هذا الموضوع هو مجرد « **رأي** » •• فالقضية خلاف في « **الرأي** » وازاء هذا الخلاف طلب القوم من عمر أن يستشير ويحتكم الى من يوثق في رأيهم من رؤوس القوم بالمدينة ••• « فاستشار المهاجرين الاولين ، فاختلفوا •• » فقرر العدول عن استشارتهم الى استشارة رؤساء الانصار حيث أقام منهم ما يشبه لجنة التحكيم العليا وذلك أنه«أرسل الى عشرة من الانصار خمسة من الاوس وخمسة من الخزرج من كبرائهم وأشرافهم • فلما اجتمعوا •• قال لهم : اني لم أزعجكم الا لان تشتركوا في أمانتي فيما حملت من أموركم فاني واحد كأحدكم وأنتم اليوم تقرون بالحق •• خالفني من خالفني ، ووافقني من وافقني ولست أريد أن تتبعوا هذا الذي هواي معكم من الله كتاب ينطق بالحق فوالله لئن كنت نطقت بأمر أريده ما أريد به الا الحق • قالوا : قل نسمع يا أمير المؤمنين • قال : قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أني أظلمهم حقوقهم وأني أعوذ بالله أن أركب ظلما •• ولكن رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلوجهم فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله •• **وقد رأيت أن أحبس (أي أوقف) الارضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئا للمسلمين المقاتلة والذرية ولمن ياتي بعدهم • أرأيتم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها ، أرأيتم هذه المدن العظام ، كالشام والجزيرة**

والكوفة والبصرة ومصر ، لا بد لها من أن تشحن بالجيوش وأدرار العطاء عليهم ٠٠ فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الارضون والعلوج ؟٠٠ »

عند ذلك حكمت هيئة التحكيم بصواب رأي عمر ، وقالوا جميعا : « الرأي رأيك فنعم ما قلت ورأيت » ٠٠ وبذلك حسم هذا النزاع وانتصر موقف عمر فكتب الى سعد بن أبي وقاص فاتح العراق : « أما بعد ٠ فقد بلغني كتابك تذكر فيه أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم فاذا أتاك كتابي هذا فانظر : ما أجلب الناس عليك به الى العسكر من كراع ومال فاقسمه بين من حضر من المسلمين ، **وأترك الارضين والانهار بعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء ٠٠ »** ٠

وكتب الى عمرو بن العاص ، فاتح مصر : « ٠٠٠ أن دعها (أي الارض دون قسم) حتى يغزو منها حبل الحبلة » (أي الجنين في بطن أمه) ٠٠ ويعلق أبو عبيد القاسم بن سلام علىّ ذلك فيقول : « أراه أراد أن تكون **فيئا موقوفا للمسلمين ما تناسلوا ٠ يرثه قرن عن قرن » (أي جيل عن جيل)** ٠٠٠(١) ٠

ونحن نريد أن ننبه مرة ثانية الى أن الدوافع الاقتصادية والاجتماعية هي التي كانت حاسمة في اتخاذ عمر بن الخطاب لهذا الموقف الاجتماعي والاقتصادي المتقدم وليست النصوص ٠٠ وان كان يبدو لنا أن الرجل كان حريصا على أن يقدم نصا قرآنيا لاولئك الذين تحصنوا في معارضته بالقرآن فهو لم يقف مثلهم عند قول الله سبحانه (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ٠٠) الآية ٠٠ وانما استمر يتلو حتى بلغ قول الله سبحانه (والذين جاءوا من بعدهم) ٠٠ الى آخر الآية وقال : « قد وجدت حجة في تركه وان لا أقسمه !! »(٢) نقول ذلك لان قول الله سبحانه (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) ٠٠ نقول : ان هذه الآية يسهل على أنصار تقسيم الارض بين فاتحيها أن يثبتوا عدم ارتباطها بهذا الموضوع ٠٠؟!

---

(١) راجع في كل هذه النصوص (كتاب الخراج) لابي يوسف ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٥ ٠ و (الاموال) لابي عبيد القاسم بن سلام ص ٥٧ ، ٥٨ طبعة القاهرة ١٣٥٣ هـ ٠

(٢) كتاب الخراج ص ٣٥ ٠

والامر الذي يقطع بأن العوامل الاقتصادية والاجتماعية هي التي كانت الاساس في موقف عمر هذا وفي تشريعه « الثوري » الذي « أمم » به « ملكيـة الرقبة » لهذه الارض هو أن عمر ذاته كان قد فكر في تقسيم هذه الارض بـين فاتحيها ولكنه بعد دراسة مؤسسة على احصاء عدد الجند ومساحة الارض وعدد الفلاحين المعرضين للرق عدل عن التقسيم الى « التأميم » ٠٠ ونحن ننقل هـذا الدليل القاطع عن أبي يوسف الذي يروي عن محمد بن اسحاق عن حارثة بن مضرب عن عمر بن الخطاب أنه أراد أن يقسم السواد (أرض العراق) بين المسلمـين فأمر بهم أن يحصوا فوجد الرجل يصيب الاثنين والثلاثة من الفلاحـين فشاور أصحاب محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فقال علي بن أبي طالب : دعهم يكونوا مادة للمسلمين ٠٠٠ (١) » ٠

ودليل آخر يرويه أبو يوسف أيضا عندما يقول : « بلغنا عن علي بن أبي طالب أنه قال : لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لقسمت السواد بينكم »(٢)٠٠ فعلي الذي أشار على عمر بعدم قسمة أرض السواد وناصر موقف عمر هذا ضد معارضيه لم يكن موقفه هذا نابعا من الاستناد الى نص قرآني أو حجة وينبه بدليل أنه عندما تولى الخلافة لم يمنعه من قسمة أرض السواد بين المسلمين الا مخافته أن « يضرب بعضهم وجوه بعض » أي الا الصراع الاجتماعي الذي أراد اجتناب تصعيده ٠٠ وهو سبب اجتماعي يؤكد أن الدوافع التي قادت الى هذه المواقف كانت في الاساس دوافع اجتماعية واقتصادية حكمت مواقف هؤلاء الرجال العظام في هذه التحولات الاجتماعية التي سجلها لهم التاريخ ٠

مصدر التشريع لضريبة الارض :

وموقف آخر من المواقف الاقتصادية التي سجلتها التشريعات الاقتصادية العمرية في عهد بناء الامبراطورية العربية الاسلامية يسجل هو الآخر ذلـك « الطابع المدني » الذي طبعت به أركان هذه الدولة الاسلامية ٠٠ ويتمثـل في المصدر الذي استلهم منه عمر بن الخطاب التشريعات والنظم الضرائبية التـي قررها على الارض المفتوحة ٠٠٠

---

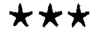
(١) المصدر السابق ص ٣٦ ٠

(٢) المصدر السابق ص ٣٦ ، ٣٧ ٠

فلقد كانت الضرائب على الارض تعرف لنظمها يومئذ نظامان أساسيان يسمى أحدهما نظام « المقاسمة » ويعتمد على أخذ حصـــة ونسبة مقررة من المحصول بصرف النظر عن « المساحة » المنزرعة وبصرف النظر كذلك عن جودة الاثمار أو عدم جودتها ·· ويعرف الثاني بنظام « المساحة » ويعتمد على تحصيل قدر معين على المساحة المعينة من المحصول المعين ··

وكانت الدولة الفارسية قبل عهد «كسرى بن قباذ» (أنو شروان) (٥٣١ ـ ٥٧٨) تعتمد نظام المقاسمة ولما جاء (كسرى أنو شروان) أجرى اصلاحـــات اقتصادية حققت بعض العدالة النسبية وهي الاصلاحات التي جعلت العرب يصفون هذا الملك بصفة « العدل » وجعلت الرسول عليه السلام يقول عن نفسه « ولدت في زمن الملك العادل كسرى » ··· وكان من أهم اصلاحات كسرى الاقتصـــادية استبدال نظام « **المقاسمة** » **بنظام** « **المساحة** » ·

وعندما فتحت الجيوش العربية الاسلامية ، هذه الاقطار ودخلت هذه الارض في تبعية بيت مال المسلمين كانت تشريعات كسرى أنو شروان وهي التي عرفت باسم « وضائع كسرى » هي المصدر الذي استلهم منه عمر تشريعاته الضرائبية على هذه الارض الزراعية ··· فاقر عمر « وضائع كسرى » المتعلقة باعتماد « المساحة » معيارا لتحديد الضريبة · على هذه الارض ·· ويقول « الماوردي » في كتابه (الاحكام السلطانية) : وجرى (عمر بن الخطاب) في ذلـك على مـا استوقفه من رأي كسرى قباذ « ··· وظل هذا النظـــام الذي استعاره عمر بن الخطاب من تشريعات الدولة الفارسية المجوسية معمولا به زمن الخلفاء الراشدين وبني أمية ، وحتى خلافـة « المهدي » العباسي الذي عاد بالتشريع الضرائبـي للارض الزراعية الى نظام المقاسمة ··· (١) » ·



---

(١) الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية للدكتور ضياء الدين الريس · ص ٧٥ ، ١١٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٦١ م ·

وهكذا تؤكد هذه القسمات التي عرضناها للحياة الاقتصادية ـ وخاصة في ميدان الارض الزراعية ـ على عهد الفترة التأسيسية للامبراطورية العربية الاسلامية ·· تؤكد هذه القسمات على الطابع المدني لهذا التنظيم الاقتصادي الذي قام في هذه الامبراطورية ، كما تحدد طابع العلاقة بين حركة الاجتهاد والتشريع وبين الاسس العامة والمبادىء الكلية التي جاء بها القرآن الكريم فيما يتعلق بحياة الناس وتنظيم دنياهم ·· كما تبرز الدور المتميز · وغير العادي الذي لعبه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ·· ذلك الرجل الذي لا زالت عقلانيته ـ وخاصة في أمور الدولة والحكم ـ في حاجة الى من ينفض عنها غبار التاريخ ·

فلسفة التشريع عند عمر بن الخطاب

بقلم الدكتور : محمود اسماعيل

ان شخصية فذة كعمر بن الخطاب قمينة بأن تفرد لها دراسات مستفيضة لما تملكه من ثراء ، وبالفعل أفردت دراسات كثيرة تناولت حياته ودوره التاريخي ، وكشفت عن بعض جوانب شخصيته ·

على أن اهتمام مدرسة التاريخ الاسلامي المعاصرة انصب بشكل أساسي حول ابراز عظمته كحاكم استطاع أن يضم لدار الاسلام أملاك أعظم امبرأطوريتين هما: الفرس والروم ــ في ايران والعراق والشام ومصر ويؤسس دولة عالمية بعد سلسلة من الفتوحات العسكرية الموفقة(١) كما اهتم بعض الدارسين بتأليف تراجم منقبية تعدد فضائله ومناقبه وتشيد بورعه وشجاعته وعدله متبعين في ذلك منهجا عقيما قوامه النقل عن السلف من القصص والروايات ما يصل أحيانا الى حد الاساطير والخوارق دون تمحيص أو فهم لدلالاتها(٢) ··· وقليل من الدراسات عن عمر ما سبر أصحابها غور شخصيته ·· وتحليل جوانب الثراء في تلـــك الشخصية ، وتفسير ما قام به من أعمال تفسيرا مقبولا ، وحتى هؤلاء انزلقوا في اجتهاداتهم ، ففصلوا سلوك الرجل عن عصره · وتصوروه عبقريا ملهما ، تفتق ذهنه عن كل ما هو خلاق ، فجعلوا لسانه لا ينطق عن الهوى ، وسلوكه منزه عن الخطـــأ ·· الخ(٣) وحتى أولئك الذين فطنوا الى أهمية تقييم الرجل من خــــلال الواقع

(١) راجع Hitti, F. History of the Arabs. London, 64, P. 169

(٢) انظر : حسن ابراهيم حسن (دكتور) : زعماء الاسلام ط· القاهرة ٦٦ ص ٢٥ ·

(٣) انظر : عباس محمود العقاد : عبقرية عمر ·

الاجتماعي وربطوا بين دوره التاريخي وظروف بيئته ، تسرعوا في اطلاق الاحكام دون روية ، ونسجوا في هذا الصـــدد مقولات حدسية لا تستند على أساس من الحقيقة ولا تؤيدها قرائن وبراهين مستمدة من المراجع ، فأهدروا بذلك منهـج البحث التاريخي(١) ، وعلى ذلك يمكن القول ـ دون تجن ـ أن تلك الدراسات جميعا وعلى اختلاف مناهج أصحابها حادت عن الصواب ، فعظمة عمر لم تكمن فقط في فتوحاته الحربية الموفقة ، ولا في مناقبه المثالية المفرطة ، ولم يكن عمر « عبقريا » بعثته العناية الالهية لاحداث النقلة الهائلة في الاسلام بقدر ما كان افرازا طبيعيا لعصره ، و « ترمومترا » صادقا للتعبير عن معطيات ظروف هذا العصر تلك الظروف التي خلقت منه رائدا للفكر والعمـل التقدمي طوال فترة خلافته من مبدئها الى منتهاها وليس في أواخر سني عمره فقط كما اعتقد بعض الدارسين ٠

وفي هذه الدراسة محاولة للوقوف على « مفتاح » شخصية عمر من خلال تناول فلسفته في التشريعات التي استنها لتنظيم الدولة الاسلامية التي ترامت حدودها على عهده ٠ وأعتقد أن هذا الجانب يعد أخطر أعمال عمر على الاطلاق، بل تفوق خطورته الجانب العسكري ممثلا في فتوحاته الكبرى ٠

ويحضرني في هذا المقام قالة لنابليون بونابرت « ان كان لي أن أفخر ، فبجهودي في ارساء التشريع الثوري ، لا بفتوحاتي الكبرى » وبطبيعة الحال لـن أعرض لتشريعات عمر بقدر ابراز مقومات عقليته التي نسجت رؤاه لمشكلات المجتمع الاسلامي وبالتالي شكلت فلسفته في ايجاد حلول لها ممثلة فيما أصدره من تشريعات وما استنه من تنظيمات ٠

ونعتقد أن عقلية الرجل كانت نتاج ظروف عصره ، وطريقةحياته سواء في الجاهلية أو في الاسلام وبالتالي لا سبيل لتجاهل معطيات نشأته في الجاهليـــة وما طرأ عليها من تعديل في ظل الاسلام ، ثم مفهوم الاسلام عند عمر ، وتطور هذا المفهوم بتطور الواقع الاجتماعي للعالم الاسلامي بعد الفتوح ومدى التوفيق بين روح الاسلام وبين الظواهر المستجدة في المجتمع الجديد ، ومدى الافادة من نظم هذا المجتمع في صياغته التشريعات الجديدة ، كذا تحديد المعايير والضوابط

(١) انظر احمد عباس صالح: اليمين واليسار في الاسلام ط بيروت ٧٢ ص ٥٩ وما بعدها ٠

التي حكمت عملية الصياغة واكسبتها جدتها من ناحية وحفاظها على الطابع الاسلامي من ناحية أخرى ٠

ومن لغط القول أن ننكر المؤثرات الجاهلية في عقلية عمر الاسلامية فقد انعكست ظروف نشأته الاولى على طباعه ومزاجه وصفاته المعروفة كالشدة والدهاء واكتساب نوع من الذكاء الاجتماعي من خلال الاحتكاك والتعامل والاسفار ٠٠ فصفة الشدة والطبع الخشن – مثلا – مرتبطة بطفولته حين كان يرعى الابل لابيه « الذي كان فظا يتعبه اذا عمل ، ويضربه اذا قصر »(١) ، وقد ظلت خشونة الطبع ملازمة له في اسلامه حتى أن زوجاته كانت فرائصهن ترتعد منه رهبة ورعبا(٢) ، وحين عمل بالتجارة كان ناجحا(٣) في أسفاره الى بلاد الشام ٠ واكتسب من أخلاق التجار دهاء وقدرة على فهم طبائع الناس(٤) وسبر غورهم ، وساعده تعليمه(٥) على انماء تلك المقدرة التي تفرد بها بين رفاقه ، ولا غرو ، فقد اختصته قريش « بالسفارة »(٦) فكان رجلها الدبلوماسي توفده في الملمات فيما يشجر من إحن بينها وبين غيرها من القبائل ٠ وقد أعانته قدراته تلك في قيادة المسلمين حين تولى الخلافة فكانت سياسته تجمع بين الشدة والدهاء (٧) ٠ وحسبنا اشادة معاوية بن أبي سفيان ببراعته في الجمع بين النقيضين(٨) ٠

والعامل الفعال في فلسفة التشريع عند عمر طريقة فهمه للاسلام ولسنا

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ط دار المعارف ج ٤ ص ٢١٨ ٠

(٢) نفسه ص ٢٠٠ ٠

(٣) نفسه ج ٣ ص ٦١٦ ٠

(٤) حسن ابراهيم – زعماء الاسلام ، ص ٢٥ ٠

(٥) ذكر البلاذري انه كان واحدا من سبعة عشر رجلا في قريش يعرفون القراءة والكتابة : انظر : فتوح البلدان ص ٤٧١ ٠

(٦) أحمد عباس صالح : اليمين واليسار في الاسلام ص ٣٣ ٠

(٧) مما أثر عن عمر في سياسته قوله : « انما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده ، فاما أنا فورب الكعبة لاحملنهم على الطريق » ج ٤ ص ٢٠١ ٠

(٨) اعجب معاوية بقول عمر : والله اني لارتفع فاشبع ، واسقي فاروي ، وانهز اللفوت وازجر العروض ، واذب قدري ، واسوق خطوي ، واضم العنود ، والحق القطوف ، واكثر الزجر ، واقل الضرب ، واشد العصا ، وارفع اليد ، لولا ذلك لاعذرت » الطبري : ج ٤ ص ٢٢٥ – ٢٢٦ ٠

بصدد تبيان تفاني عمر في نصرة الاسلام مذ اعتنقه وغيرته الشديدة من أجله وما يعنينا هو تقرير أن الطابع الديني كان غلابا طوال سني خلافته وان عدالةالاسلام كانت نصب عينيه وهو يصدر تشريعاته وحق للسعودي(١) أن يقول : « كان عمر شديدا في ذات الله ، واتبعه عماله في سائر أفعاله وشيمه وأخلاقه » ، « فخلافة عمر على ما ذكر ابن طباطبا(٢) كانت بالامور النبوية أشبه ، فزيها كان زي الانبياء وهديها هدي الاولياء » ، ولا غرو فعمر أول من لقب بأمير المؤمنين » (٣) ٠

★★★

ومن هنا رفض رسوم الملك ، فلم يتخذ وزراء أو حجابا أو حراسا(٤) على على غرار الاكاسرة والقياصرة ايمانا منه بأن الخلافة تختلف عن الملك وأنها عبء ومسؤولية وليست أبهة وترفا وغايتها اقرار العدالة(٥) لقد تغلغل الاسلام داخل عمر عقلا ووجدانا وسلوكا حتى لكأنه « خلق في الاسلام خلقا جديدا(٦) » وقد فهم عمر الاسلام فهما نيرا ينم عن ايمان وعلم في ذات الوقت ولا غرو فقد كان أحد سبعة كونوا الطبقة الاولى لاهل العلم في الاسلام ٠ ومن هنا كان رائدا في الاجتهاد وأعمال العقل الى جانب عمق الايمان ونفاذ البصيرة ، والشواهد كثيرة على ما تمتع به من حدس فطري صادق في الحكم على الاشياء ورأي سديد في الفتوى في عصر النبوة حتى لقد قال فيه الرسول (ص) : « ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به » واذا لم يقدر له النبوغ في التفسير أو الحديث كاقرانه، فحسبه عقليته التشريعية الفذة وقدرته على الاجتهاد واعمال الرأي توخيا للعدالة المستمدة من جوهر رسالة الاسلام ، تأمل نصيحته لعماله حيث يقول « ٠٠٠ انما استعملتكم على أمة محمد لتقضوا بينهم بالحق وتقسموا بينهم بالعدل

---

(١) مروج الذهب المطبعة الازهرية ١٣٠٣ هـ ج ١ ص ٢٨٩ ٠

(٢) الفخري في الآداب السلطانية ط القاهرة ١٣١٧ هـ ص ٦٥ ٠

(٣) لما ولي عمر الخلافة نودي بخليفة خليفة رسول الله فقال : هذا أمر يطول كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة رسول الله ، بل أنتم المؤمنين وانا اميركم ، فلقب بأمير المؤمنين ، الطبري جـ ٤ ص ٢٠٨ ٠

(٤) الطبري : جـ ٤ ص ٢٠٢ ٠

(٥) نفسه ص ٢١١ ٠

(٦) احمد امين : فجر الاسلام ط القاهرة سنة ١٩٤٥ ص ٨١ ٠

جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن محمد صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم ٠٠(١) » ٠

وقوله في رسالة بعث بها الى عامله أبي موسى الاشعري « ٠٠٠٠ الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك بما ليس في كتاب ولا سنة ، أعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرها » ٠٠٠ وقد ضرب المثل في الاجتهاد حين ألغى حد السرقة في عام الرمادة(٢) سنة ١٨ هـ مراعاة لمقتضيات الحال ٠ لم يكن عمر يرى تناقضا البتة بين اصالة الايمان وبين أعمال العقل ما دام المعيار هو صالح الجماعة بل من أجل صالح الجماعة لم يجد غضاضة في تأويل النصوص(٣) في بعض الاحيان ٠ واسترشد عمر بآراء كبار الصحابة وقرب اليه المجتهدون منهم أمثال زيد بن ثابت الانصاري وهو عالم وفقيه ثقة ، تمتع بقدرات هائلة في استخراج الاحكام من القرآن والسنة والرأي ، وعبد الله بن مسعود الذي أنفذه عمر الى الكوفة لتفقيه أهلها فبذر بذور مدرسة الاجتهاد في العراق التي بلغت ذروتها على يد الامام أبي حنيفة ، ومنهم عبد الرحمن بن غنم وقد وجهه الى الشام ، وقام بنفس رسالة ابن مسعود حيث أسس مدرسة الاجتهاد في الشام التي أنجبت الامام الاوزاعي فيما بعد(٤) وعمر حين فتح باب الاجتهاد على مصراعيه تأسى بالرسول(ص) حين كان يجتهد برأيه حين يغيب الوحي ٠ والخطأ في الاجتهاد خير من الجمود والتوقف ، وقد أخطأ الرسول (ص) في موقفه من أسرى بدر ونزل الوحي مصححا خطأه ، قال تعالى : « وما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض » وقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهوى » وقد خض الرسول (ص) على الاجتهاد بشكل واضح حيث قال : « من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن لم يصب فله أجر الاجتهاد » والرأي والاجتهاد عند عمر ، هو ما عبر عنه ابن القيم الجوزية بأنه « ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب »(٥) ٠

---

(١) الطبري جـ ٤ ص ٢٠٤ ٠

(٢) سمي بعام الرمادة لان الريح كانت تهب على المدينة محملة بالرماد ، وقد حدث فيه قحط شديد وانتشر الطاعون فاهلك الحرث والنسل وكان اشبه بالوباء الاسود الذي عرفته أوروبا العصور الوسطى ٠ عن مزيد من المعلومات راجع : الطبري جـ ٤ ص ٦٩ وما بعدها ٠

(٣) حسن ابراهيم : زعماء الاسلام ٣٨ ٠

(٤) راجع : احمد امين : فجر الاسلام ص ١٨٤ ــ ١٨٩ ــ ١٩٦ ٠

(٥) اعلام الموقعين جـ ١ ص ٢٥٦ ٠

والضرورة العملية كانت وراء توسع عمر في الاجتهاد ففي عهده دخلت بلاد الفرس والعراق والشام ومصر حظيرة الاسلام وهي بلاد تختلف في طبيعتها وانماط حياتها عن الحجاز ومن ثم تفجرت مشكلات جديـــدة لم تكن موجودة في عصري النبوة وأبي بكر ، وما كان لعمر أن يغمض عينيه أو يصم أذنيه عن مواجهة تلك المشكلات والتماس حلول لها تتسق وروح الاسلام لذلك كان الاجتهاد أمرا لا محيد عنه وأصبح احدى دعائم التشريع الاسلامي الى جانب القرآن والسنة ·· فكان عمر ـ كما يقول الاستاذ أحمد أمين(١) يجتهد في تعرف المصلحة التـي لاجلهـا كانت الآية أو الحديث ، ثم يسترشد بتلك المصلحة في أحكامه ، وهو أقرب شيء الى ما يعبر عنه الآن بالاسترشاد بروح القانون لا بحرفيته » ·· وليس أدل على سلطان « الضرورة » في تشريعات عمر من مخالفة النصوص والسنة في بعـــض الاحيان طالما في ذلك مصلحة عامة وليس أدل على ذلك من تحريمه متعة النساء على نحو ما ورد بالسنة وكانت حجته « أن رسول الله (ص) أحلها في زمان ضرورة »(٢) فطبيعة العصر وتجددها المستمر توجب ضرورة مواكبة تطويع التشريع لمواجهة المتغيرات ما لم تتناف وجوهر الاسلام ·

لذلك كان عمر سباقا الى احتواء المتغيرات ومواجهة ما يستجد من مشكلات أولا بأول في مرونة واقتدار ، ولم تعوزه الحيلة في استنان الشرائع والنظم · ولم يجد غضاضة في الافادة من النظم التقليدية في البلاد المفتوحة فقد أبقى عـــلى الكثير منها بعد أن أعطاها طابعا اسلاميا ··

وهنا تبرز عظمته كمشرع يوفق بين جوهر العقيدة وطبيعة التطور ، وتلك سمة مميزة لفلسفة التشريع عند عمر فلما شرع في التأريخ للاسلام جعل هجرة الرسول بداية للتقويم واستعان في ذلك بالخبرة الفارسية فكان : « أول من أرخ الكتب الى الولاة »(٣) ·

والتقويم الهجري جرى على نسق التقويم الفارسي المعروف باسم «ماه‌روز» أي حساب الشهور والايام ، وتخليد عمر لهجرة الرسول باعتبارها حادثا جليلا ، واستشارته الهرمزان وأخذه برأيه ينهض دليلا على نجاح عمر في التوفيق بين

---

(١) فجر الاسلام ص ٢٣٨ ·
(٢) الطبري : جـ ٤ ص ٢٢٥ ·
(٣) الطبري : جـ ٤ ص ٢٠٩ ·

النظم الاجنبية والروح الاسلامية العامة • وقد أشاد فون كريمر بمرونة عمر في هذا الصدد وتوفيقه في تطويع النظم الفارسية والبيزنطية وصبغها صبغة اسلامية (١) •

وتتجلى مواهب عمر في هذا السبيل حين دون الدواوين ، ومن المؤرخين(٢) من ذهب الى تأثره بالتقاليد والرسوم البيزنطية ، على أساس أن الوليد بن هشام ابن المغيرة أشار عليه باحتذاء النمط البيزنطي ، ومنهم من قال بأنه دونها على غرار النمط الفارسي حيث استعان بالهرمزان(٣) •

واذا كان بعض المحدثين يرجح الرواية الاولى(٤) ، فلا مانع من قبول الروايتين معا خاصة وان لغة الدواوين جرت في كل مصر على أساس لغة سكانه ، ففي العراق أو فارس استخدمت الفارسية وفي الشام سادت اللغة اليونانية بينما ظلت اللغة القبطية تستخدم في دواوين مصر(٥) •

و نفس الشيء يقال عن السكة (العملة) فقد أبقى عمر على عملة البلاد المفتوحة وجعلها سارية التداول رغم ما نقش عليها من شعارات مجوسية أو مسيحية(٦) ، وأضاف عمر رموزا اسلامية على تلك العملات ، فاضفى عليها الطابع الاسلامي(٧) كما أبقى التقسيمات الادارية على ما كانت عليه ، فكانت « الكور » ـ أي المراكز أساس التنظيم الاداري في مصر وظلت « الرساتيق » أي الولايات ـ عصب التقسيم الاداري في فارس(٨) وعلى هذه وتلك عين عمر حكاما من العرب المسلمين عولوا على دعم الطابع الاسلامي •

---

(١) انظر : الحضارة الاسمية ص ٦٠ •
(٢) الطبري جـ ٤ ص ٢٠٩ •
(٣) الماوردي : الاحكام السلطانية ط القاهرة سنة ١٩٦٠ م ص ١٩٩ ، ابن خلدون : المقدمة / المطبعة التجارية ص ٢٤٤ •
(٤) انظر : ضياء الدين الريس (الدكتور) : الخراج والنظم المالية في الدولة الاسلامية ط ٦٩ ص ١٥٠ •
(٥) الماوردي : المرجع السابق ص ٢٠٢ والمقريزي: الخطط ط القاهرة ١٣٢٦هـ جـ ١ ص ١٥٨
(٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦١ •
(٧) عبد المنعم ماجد (الدكتور) التاريخ السياسي للدولة العربية جـ ١ ط القاهرة سنة ١٩٦٠ م ص ٢٣٦ •
(٨) المصدر نفسه : ص ٢٣٧ •

لم يلجأ عمر في تشريعاته الى التقليد الاعمى ولم يقتبس من النظم الاجنبية الا ما يتمشى مع روح الاسلام فاذا كان قد نقل الهيكل التنظيمي للدواوين عن الروم والفرس ـ لافتقار العرب الى تنظيمات مماثلة ـ فلم يتبع العمل ، وأحكام الادارة السابقة دون نظر وروية انما عدل في تلك الاساليب والاحكام بما يتسق وعدالة الاسلام ، فقد لفظ الاحكام الجائرة في جباية الاموال كما كانت على عهود الاكاسرة والقياصرة ، وعدلها وفقا لاحكام القرآن والسنة ٠

يذكر الماوردي(١) وجرى عمر رضي الله عنه في ذلك على ما استوقفه من رأي كسرى بن قباذ ٠٠٠ لكنه راعى ما تحتمله الارض من غير حيف بمالك ولا اجحاف بزارع » ٠

كان مفهوم العدالة في الاسلام اذن محور فلسفة التشريع عند عمر ، ومدار اجتهاده في تأويل النصوص واعمال الرأي ومعيار افادته من التشريعات والنظم الاجنبية ٠ ومن هنا تنتفي تماما أدنى أثر لمؤثرات أخرى كالعصبية أو الطبقية فيما استنه عمر من قوانين وتشريعات ٠

واذا كانت العصبية تحكم حياة المجتمع العربي في الجاهلية فبقدر عراقة النسب كان يتحدد الوضع الاجتماعي للفرد وكان عمر مشحونا بروح الجاهلية الاولى قبل اسلامه ففي دمائه كانت تتحرك نوازع التعصب القبلي ، وموقفه من الدعوة قبل اسلامه في غنى عن التفصيل ٠ وظهور الاسلام ، كان ثورة اجتماعية كبرى الى جانب كونه ثورة دينية عقائدية فقد أطاحت مبادئه في المساواة بقيم المجتمع الجاهلي التقليدية ومن بينها التعصب للقبيلة أو العنصر وحرر الفرد من قيود التبعية العمياء للقبيلة كما حرر العبيد من وصاية أسيادهم ، وتبرز مبادىء الاسلام قيمة الفرد بالقياس لدوره البناء في خدمة الجماعة وتقيم أسسا جديدة للمفاضلة بين المسلم والمسلم على أساس « التقوى » لا على أساس العرق والنسب كما كان سائدا من قبل ٠٠ وقد حارب الرسول (ص) نزعات الجاهلية التي كانت تظهر بين الحين والآخر في سلوك بعض الذين لم يتأصل الاسلام في قلوبهم ممن أسلموا بعد فتح مكة ، ومات عليه السلام وهو مطمئن الى نجاحه في كبح جماح تلك النزعات وهاك قوله ، في خطبة الوداع « ٠٠ أيها الناس ان الله تعالى أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء ٠٠٠ » لكن تلك النخوة عادت للظهور على

---

(١) الاحكام السلطانية ص ١٤٨ ٠

اثر وفاته ممثلة في حركة الردة ، فقمعها أبو بكر دون هوادة ، وخلفه عمر فاستأسد في استئصالها ، فلم نسمع طوال حكمهما عن أثر لها ، ولم تبرز الا في خلافة عثمان • وفي العصر الاموي استفحل خطرها خاصة وان بني أميه عملوا على اذكاء النعرات القبلية وأعانوا بعض الاحزاب على بعضها الآخر لاحداث نوع من التوازن السياسي يكفل لحكمهم البقاء والاستمرار •

قلنا أن عمر أعول على استئصال شأفة النزعات القبلية والعنصرية ويحتفل عصره بعديد من الشواهد التي تؤكد هذا المنحى ، فيخبرنا الطبري(١) أنه كبح جماح بني جلدته – بني عدي – حين راموا وضما متفوقا « بجعلهم حيث جعله الله خليفة للمسلمين » لكنه وبخهم وأنزلهم منزلتهم في ديوان العطاء وفقا للمعيار الذي استنه في هذا الصدد وهو المفاضلة على أساس « القرابة من الرسول (ص) والسابقة في الاسلام وحسن الاثر في الدين » لقد ضرب عمر المثل بموقفه من قومه بل بنفسه أيضا حيث قال « ••• ما أحد أحق بالمال الا عبد مملوك وما أنا فيه الا كأحدهم (٢) •

لم تكن للعصبية اذن أدنى أثر في المفاضلة بين المسلمين ، حقيقة أن عمر خالف سنة أبي بكر في التسوية في توزيع العطاء وميز بين المسلمين بعضهم بعضا لكن ليس على أساس النسب وانما على أساس التقوى وحجته في ذلك مقنعة تماما حين قال « لا نجعل من ترك دياره وأمواله مهاجرا الى النبي (ص) كمن دخل في الاسلام كرها » (٣) وفي ذلك ما ينم عن تحيزه للمستضعفين اذا ما علمنا أنهم كانوا أهل السابقة ، في الاسلام ، ونستخلص من هذا المبدأ أيضا وقوفه في وجه الذين أسلموا بعد الفتح من الارستقراطية القرشية وخاصة الفرع السفياني(٤)•

---

(١) ذكر الطبري أن عمر أزجرهم بقوله : « بخ بخ يا بني عدي اردتم الاكل على ظهري وان أهب حسناتي لكم ، لا والله حتى تاتيكم الدعوة وان اطبق عليكم الدفتر ولو ان تكتبوا آخر الناس » تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ ص ٢١٠ •

(٢) نفسه ص ٢١١ •

(٣) الماوردي : ص ٢٠١ •

(٤) ذكر الطبري في هذا الصدد أن عمرا « فرض للمسلمين الفروض ودون الدواوين وأعطى العطايا على السابقة فاعطى صفوان بن أمية والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو في أهل الفتح اقل ما اخذ منه قبلهم فامتنعوا من اخذه وقالوا : لا نعترف ان يكون احد اكرم منا فقال : اني انما اعطيتكم على السابقة في الاسلام لا على الاحساب » انظر : تاريخ الرسل والملوك جـ ٢ ص ٣١٦ •

واذا كان الذين أسلموا بعد الفتح يمثلون الارستقراطية القرشية ، والبيت السفياني بالذات يمثل ذروتها فنحن نخالف ما ذهب اليه الاستاذ أحمد عباس صالح(١) من أن عمر كان يمثل حزب الوسط بين اليمين واليسار وانه كان يميل أول الامر لليمين ويخشى اليسار بل كان يستجيب لضغوط اليمين أحيانا في عزل الولاة وتعيينهم لكنه تحول الى اليسار في أواخر أيامه وان هذا التحول كان سببا لاغتياله وفق مؤامرة أحكمها اليمين » ٠

واذا جاز لنا أن نحدد موقف عمر من اليمين واليسار نرى أنه ساند اليسار منذ بدء خلافته حتى منتهاها اذا كان مصطلح اليسار يعني العدالة أو الاشتراكية ـ بمفهوم العصر ـ فقد كان عمر اشتراكيا منذ تولى الخلافة حتى مقتله ٠

وليس أدل على مجافاته لليمين منذ البداية من موقفه الذي ألمحنا اليه من الارستقراطية القرشية : فقد تولى عمر الخلافة سنة ١٣ هـ وقتل سنة ٢٣ هـ ، وفي سنة ١٥ هـ دون الدواوين وأنزل الارستقراطية السفيانية ـ منزلتها المهينة على أساس مناهضتها الاسلام في بدء الدعوة واعتناقه قسرا بعد الفتح ٠٠ وليس أدل على تبرم تلك الارستقراطية بحكم عمر من هجرة الكثيرين منهم الى الشام احساسا منهم بالمهانة في المدينة(٢) أكثر من ذلك أن عمر كان يترصد زعماءهم فيصادر أموالهم ويودعها بيت المال(٣) بل لم يتورع عن حبس شيخهم أبي سفيان رهينة حتى توفي هند بنت عتبة ما عليها من ديون لبيت المال(٤) كان عمر ـ كما ذهب باحث معاصر ـ (٤) يأخذ بمكاظم الجبارين العتاة حتى يخضعوا للحق ويوطئوا الاكناف لاخوانهم الذين يتميزون عليهم » ولم تكن درة عمر تفرق بين مسلم وآخر حتى أن صحابيا جليلا كسعد بن أبي وقاص ضرب بها حين زاحم الناس ليأخذ نصيبه من مال الفيء متخطيا غيره من عامة المسلمين(٦) ٠

هذا في الوقت الذي كان فيه المسلمون الاول من الموالي والعبيد المستضعفين

---

(١) أنظر : اليمين واليسار في الاسلام ص ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٠ ٠

(٢) الطبري : جـ ٣ ص ٦١٣ ٠

(٣) نفسه جـ ٤ : ص ٢٢٠ ٠

(٤) نفسه ص ٢٢١ ٠

(٥) أنظر : خالد محمد خالد : بين يدي عمر ط القاهرة ٦٤ ص ٧٤ ٠

(٦) الطبري : المرجع السابق ص ٢١٠ ٠

ـ كعمار بن ياسر ـ وأسامة بن زيد ـ ممن أدرجهم الاستاذ عباس بن صالح في حزب اليسار ـ كانوا ضمن الطبقة الاولى في ديوان العطاء فكان حظهم فيه جزيلا • بل ان عليا بن أبي طالب ـ زعيم اليسار ـ وآل بيته قدروا تقديرا خاصا لقرابتهم من الرسول (ص) وحسبنا أن الحسن والحسين وأبا ذر وسلمان الفارسي وهم من شيعة علي ـ ألحقوا بالطبقة الاولى ـ بمن شهد غزوة بدر ـ حيث تقاضى كل منهم خمسة آلاف لبلائهم الخاص في الاسلام(١) هذا فضلا عما كان لعلي عند عمر من منزلة خاصة فكان بمثابة مستشاره الاول يسترشد بآرائه فيما يعن من أمور • ولم يدخر عمر وسعا في اسناد امرة الولايات الى من كانوا عبيدا وموالي قبل الاسلام مثل سلمان الفارسي وعمار بن ياسر(٢) وغيرهم ممن أدرجهم الاستاذ عباس صالح في حزب اليسار • واذا كان عمر قد انحاز لليسار في أخريات أيامه كما يذهب الاستاذ عباس صالح ـ فما تفسير عزله عمار بن ياسر عن ولايته سنة ٢٢ هـ(٣) أي قبل وفاته بعام واحد ؟؟

كان عمر ينشد العدل دون تفرقة بين مسلم وآخر الا على أساس التقوى لا الوضع الطبقي أو الانتماء العنصري فكان يسوي بين العرب ، والعجم(٤)وذكر البلاذري أن أحد عماله كسر القاعدة فميز العرب على العجم فبعث اليه موبخا « أما بعد • فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، والسلام » •

وثمة نقطة جديرة بالاهتمام ، وهي أن التشيع في عصري أبي بكر وعمر لم ينطو على أبعاد اجتماعية بل كان مجرد اعتقاد شخصي لدى بعض المسلمين بأحقية علي في الخلافة نظرا لقرابته من الرسول(ص) وبلائه في الاسلام وكفاءته الذاتية، ومن هنا ضمت شيعة علي أفرادا ممن صنفهم الاستاذ عباس صالح ضمن اليمين واليسار معا •• ولم يتخذ التشيع طابعه الاجتماعي الا في خلافة عثمان الذي اتبع سياسة غير اسلامية أتاحت للارستقراطية السفيانية الظهور والتسلط فضلا عن بزوغ الارستوقراطية، الثيوقراطية الجديدة من بعض كبار الصحابة الذين حظر عليهم عمر مغادرة المدينة حتى لا يستغلوا مكانتهم الجليلة في نظر المسلمين في تحقيق ميزات اقتصادية في الامصار ، هؤلاء من أمثال طلحة والزبير وعبد الرحمن بن

---

(١) الطبري : جـ ٣ ص ٦١٤ •

(٢) نفس المرجع والصحيفة •

(٣) نفس المرجع والصحيفة •

عوف أطلق عثمان لهم العنان ليثروا ويقتنوا الضياع والقصور . هنا فقط أصبح علي بن أبي طالب ممثلا للمعارضة التي راعها ما انحدرت اليه أحوال الاسلام وغدا علي في نظر الجماهير مدافعا عن قضية العدالة واكتسب التشيع طابعه الاجتماعي الذي ازداد رسوخا فيما بعد في العصر الاموي باقبال الموالي على التشيع من جراء تعصب بني أمية للعنصر العربي . وليس أدل على ذلك من أن الخوارج وكانوا من شيعة علي قبل التحكيم ويمثلون اليسار المتطرف بعد التحكيم اعترفوا بشرعية خلافة أبي بكر وعمر(١) .

فخلافة عمر بالذات ومنذ البداية كانت مثالا للعدالة الاجتماعية المستوحاة من تعاليم الاسلام . وبديهي أن تحظى بتأييد كافة العناصر التي كانت مستضعفة قبل الاسلام وصعد نجمها باعتناقه ، ولا نبالغ اذا قلنا أن عمرا أرسى بتشريعاته قواعد الاشتراكية كما فهمها من روح الاسلام ، وحسبنا موقفه من مسألة الارض وتحديد وضعيتها فقد جعل ملكيتها للمسلمين كافة باعتبارها مصدر الثروة فاوقفها على بيت المال ورفض توزيعها على المقاتلة خشية تكوين طبقة جديدة من كبار الملاك الزراعيين(٢) ويذهب فلهوزن(٣) الى أن عمر بهذا الاجراء خرج على النصوص والسنن « فبحسب حكم الله وحكم العدل كان يجب تقسيم جميع الارض المفتوحة على العرب المحاربين لانها كانت بحسب قانون الغنائم ملكا لهم

---

(١) أنظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ط القاهرة ص ٢٧٣ .
والاسفرائيني : التبصير في الدين ط القاهرة ١٩٥٥ ص ١٤٦ .

(٢) فيما يتعلق بهذه المسألة ذكر الفقهاء انه بعد الفتوح آلت للمسلمين اراضي واسعة في العراق والشام ومصر . فكتب قواد الجيوش الى عمر يستفتونه في أمرها خاصة وان الجند طالبوا بقسمتها فيما بينهم باعتبارها فيئا وغنيمة أسوة بما فعل الرسول (صلعم) في تقسيم أرض يهود خيبر . وعرض عمر القضية على اصحابه فرأى بعضهم ان تقسم وفقا للاية (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسه .. الخ) ورفض عمر ذلك على اساس ان التقسيم سيؤدي الى خلق طبقة جديدة تستاثر بالارض وتورثها لابنائها فيما بعد وهو امر ينطوي على اجحاف بالنسبة للمسلمين الجدد الذين سيعتنقون الاسلام مستقبلا . واحتكم عمر الى عشرة من شيوخ الاوس والخزرج . ونوقش الموضوع من جميع جوانبه وفند عمر دعاوى أصحاب التقسيم واوضح أن روح الاسلام تتعارض والتقسيم . فاستقر الراي على ان تحبس الارض لصالح بيت المال وتبقى في يد أصحابها يزرعونها ويدفعون عنها خراجها . انظر أبو يوسف : الخراج ط القاهرة سنة ١٩٥٢ ص ٢٤ وما بعدها .

(٣) راجع تاريخ الدولة العربية ط القاهرة ١٩٦٨ ص ٢٦٥ .

ولكنها لاسباب عملية بقيت دون تقسيم» والاسباب العملية التي أشار اليها فلهوزن كانت تستهدف صالح الجماعة الاسلامية ولا تتعارض مع روح الدين وان بدت شكليا خروجا على نصوصه · لقد كان هذا الاجراء اجتهادا فقهيا لعمر وكان هذا الاجتهاد كما قال أبو يوسف(١) توفيقا من الله كان له ما صنع وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم لان هذا لو لم يكن موقوفا على الناس في الاعطيات والارزاق لم تشحن الثغور ولم تقو الجيوش على السير في الجهاد »·· هذا الاجراء الاشتراكي البحت الذي طبقه عمر في أوائل حكمه ـ يجعل أهم وسائل الانتاج ملكا عاما للجماعة الاسلامية ينهض دليلا على مناهضته للاتجاهات اليمينية وميله لليسار بما لا يدع للشك سبيلا ·

من كل ذلك يتضح أن الفلسفة العمرية في التشريع لم تستند على أساس من العصبية أو الطبقية ، انما كانت اجتهادا شخصيا استوحاه عمر من روح الاسلام مستهدفا عدالته التي كرس نفسه لاقرارها بالشدة والحزم ، ولقد التزم عمر ـ بحق ـ في سياسته طوال سني حكمه بما وعد به في خطبته الاولى حيث قال: « يا أيها الناس ، اني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدكم استطلاعا بما ينوب من مهم أموركم ما توليت ذلك منكم ، ويكفي عمر مهما محزنا انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف أخذها ووضعها أين أضعها ، وبالسير فيكم كيف أسير ، فربي المستعان ، فان عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة ان لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده(٢) » ·

د· محمود اسماعيل

مدرس التاريخ الاسلامي
بكلية الاداب جامعة عين شمس

---

(١) الخراج ص ٢٧ ·

(٢) الطبري : جـ ٤ ص ٢١٤ ـ ١٥ ·



الجوانب الاجتماعية
في حياة عمر وصلتها بالعصر الحاضر

بقلم : صلاح أبو اسماعيل

الكلام على عمر كثير ، فهو أمة وحده ونسيج مختلفعن الخلفاء الراشدين، وعمر سياسي من الدرجة الاولى ، ورجل الفقه والورع وشاعر ذواق وقائد حربي من الطراز الاول واجتماعي على أحدث طراز .

ولا شك أن الاسلام نهض على يديه وترعرع وأخذت تعاليمه تسري في النفوس عن طواعية لا عن اكراه .

ولقد استجاب الله لقول الرسول الاعظم اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين .

ونظرة على حياة عمر نجد أنها كانتملأى بالكفاح في سبيل الله والذود عن حدوده ، ومما لا شك فيه أن الاسلام انتشر في عهده انتشارا كبيرا لم نعهده في خليفة من الخلفاء ، وأصبحت الامة الاسلامية في عهده مترامية الاطراف وهوت على أقدام عمر أعظم امبراطوريات العالم القديم .

زد على ذلك ما كان يحاوله عمر من طمس العادات الجاهلية التي كانت منتشرة آنذاك في نفوس العرب .

ونتساءل الآن . هل تلهى عمر كل الالهاء بالامور الخارجية للدولة من

توجيه الجيوش وتوليه العمال ، وجباية الخراج والمحافظة على النصر في الخارج. وغفل عن انعاش الحالة الداخلية في أمته ؟؟.

النظرة الحقة تقول في الجواب : لا ٠

فقد ابتكر عمر أشياء اعتبرها لازمة الحياة الاجتماعية في الدولة الاسلامية ويمكن أن نعتبر ما عمله اجتهاد منه بلغ مداه في سبيل تقدم الامة ورفاهيتها ٠

فلقد سرق شخص في زمن القحط فلم يقطع يده وقال الوقت شدة وبلاء ٠٠ ووقع في عهده قحط شديد فحرم على نفسه اللحم والدهن الى أن انجلت الازمة ٠

واستجاب لطلب امرأة غاب زوجها في الجهاد ، وتعسس على الفقراء ليقضي حوائجهم وغير هذا الكثير والكثير ٠

ولقد كان مثلا حيا للامة في العدل والرأفة والرحمة والاخذ بيدهم الى العلم والنهوض به ، ومنع الهدايا لانها معوقة عند بلوغ الناس حاجاتهم وتفسد من تهدى اليه الى غير ذلك والآن نضرب بعض الامثلة الحية ونعرج على بعض النواحي في الجانب الاجتماعي من حياته ٠٠

موقف عمر من الازمات الاقتصادية

تختبر الامم ، كل الامم بمصاعب وكوارث ليظهر معدنها الاصيل وتبدو طبيعتها واضحة لا خفاء فيها ، فلا يكشف جوهر الفرد ، ولا تعرف طبيعة الامة الا عند نزول المصيبة ٠

وفي هذا الوقت يتضح الايثار والكرم ، والصبر والثبات ويبرز احسان المحسنين واخلاص المخلصين ٠

لقد كان عام الرمادة امتحانا عسيرا لحيوية المسلمين اختبارا لحقيقة أخلاقهم ومبلغ استعدادهم ، فنجحوا في الامتحان نجاحا باهرا وكان لهم مفخرة خالدة لا تقل عن مفاخرهم الكثيرة في حلقات العلم وساحات الحروب ٠٠٠

في سنة ١٨ هـ حصل في المدينة والحجاز قحط عظيم دام تسعة أشهر فسميت

هذه السنة عام الرمادة لان الريــح كانت تسفي ترابا كالرماد أو لان الارض صارت سوداء مثل الرماد ٠

واشتد الجوع في ذلك العام حتى جعلت الوحش تأوي الى الانس وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها وانه لمقفر وحتى كان الناس يستفون الرمة ويحفرون نفق اليرابيع والجرذان يخرجون ما فيها : فما موقف عمر في هــذا الوقت ؟٠

لقد بدأ بنفسه وحث الامة الاسلامية على تقديم المعونة الى اخوانهم ولم يوصد الباب عليه وينعم بالخيرات وهو يرى ما ألم بالامة من كوارث وقد كان يستطيع أن يفعل ولكنه لم يفعل ٠

فانظر معي الى ما فعل :

عن أنس رضي الله عنه قال : تقرقر بطن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام الرمادة وكان يأكل الزيت ، وكان قــد حرم على نفسه السمن فنقر بطنه باصبعه : وقال ٠٠ تقرقر أنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيى الناس ٠٠

وقال (مالك بن أوس) من بني نصر ٠٠ لما كان عام الرمادة قدم على عمر قومي : مائة بيت فنزلوا بالجبانة فكان عمر يطعم الناس من جاءه منهم ، ومن لم يأت أرسل اليه بالدقيق والتمر والادم الى منزلــه ، فكان يرسل الى قومي مــا يصلحهم شهرا بشهر وكان يتعاهد مرضاهم وأكفان من مات منهم ، وكان عمر رضي الله عنه يأتي بنفسه فيصلي عليهم ٠٠٠ الخ ٠

مثل هذه الافعال ألا تكون مفخرة لعمر في وقت محنة وشدة وما فعله عمر مع قوم مالك فعله مع غيرهم ٠

وبلدنا اليوم تحتاج الى وقفة ثابتة مع نفسها فلا يكن همها جمع المــواد التموينية وتخزينها وخلق ضجة مفتعلة وبلبلة اقتصادية وانما يكون بشد الاحزمة وقت الحرب ووقت المحنة والقسوة حتى يظهر بهذا معدنهــــا الاصيــــل ٠٠٠ ولنكن يدا واحدة ٠٠ أمة متحدة في المصاعب ولا تبالي بما يعتريها من نكبات ٠٠ عند ذلك يكتب لنا النصر وتظهر بارقة الاتحاد واضحة كما نادى بذلك الاسلام وكما فعله السابقون

وليكن لنا من السابقين أسوة حسنة ٠٠ فبعد أن انجلت الازمة ونهضت الامة الاسلامية بعد عام الرمادة نجد عمر يقف شامخا لا يتهاون مع أحد ويعيب عليه كثرة استمتاعهم بالطعام والشراب ٠

فكان رضي الله عنه يأتي المجزرة مجزرة الزبير بن العوام بالبقيع ولم يكن بالمدينة غيرها ومعه الدرة ، فكل من رآه يشتري لحما يومين متتـــابعين يضربه بالدرة ويقول له هلا طويت بطنك يومين لجارك وابن عمك ٠

ويجب أن نقول نحن الآن هلا طويت بطنك ثلاثة للجهاد في سبيل الله ولاخيك على الجبهة ولنفع أمتك وتقدمها ٠

فهلا نعتبر كل هذا من عمر أمثلة حية وصريحة يجب أن نحتذي بها خروجا من المآزق الاقتصادية وتفاديا لها ولنعلم أنفسنا الاعتدال في الاستمتاع في الاكل بدلا من الاسراف فيه ٠٠

عمر وقانون من اين لك هذا

لقد كان موقف عمر من عماله موقفا يستحق التسجيل فقد وضع نصب عينيه كفاءتهم أولا ، وأعطاهم بقدرها ثم أخذ يحاسبهم بعد هذا محاسبة عسيرة حينما لا يؤدون ما عليهم من واجبات أو ينحرفون عن الهدف الذي رسمه لهم ، أو يرى أنهم أخلوا ببعض الامور في أثناء وظيفتهم حتى أنه أقام القصاص عليهم لما وقع من بعضهم ظلما على الرعية ٠

فقد شكا اليه رجل من الناس : فقال يا أمير المؤمنين عاملك ضربني مائـــة سوط ٠ فقال عمر : اضربه مائة سوط ؟ قم فاستقد منه ٠ فالعدل في نظره يجب أن يسود ولا فرق في الحق والكل سواسية أمام القانون ــ ومن هنا عرفت العدالة مجراها في حياة عمر وذهب الظلم والتعسف من جراء مواقف عمر العادل التـــي بلغت صداها في الآفاق ٠

وبلغ مقدار محاسبته لنفسه على عماله أن كان ينادي فيقول : أرأيتم اذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أكنت قضيت ما علي ؟٠٠ قالـــوا نعم قال : لا ٠٠ حتى أنظر في عمله أعمل بما أمرته أم لا ٠٠

والدقة في الاختيار ثم المحاسبة صنوان لا يفترقان في حياة عمر ونظرية حقه في توليه العمال عنده .

وحينما وجد من بعض عماله كثيرا من المال اعتبره ثراء غير مشروع ووقف لهم بالمرصاد ، وأعلن في قوة أن هذا مال الدولة ويجب الرجوع اليها ثانيا : بدون خوف أو تهاون ...

وكان عمر رضي الله عنه اذا أقدم عليه العمال أمرهم أن يدخلوا نهـــارا ولا يدخلوا ليلا كيلا يحجبوا شيئا من الاموال .

وهذا امعان في مراقبة العمال وحرصا على مال الدولة الذي وكله الله به وهيمنه عليه ...

وندلل الآن على مواقف عمر من الثراء غير المشروع من بعض عماله الذين استعملهم هناك .

فقد مر ببناء يبنى بحجارة وحصى فقال : لمن هذا ؟ فذكروا عاملا له على البحرين فقال : أبت الدراهم الا أن تخرج أعناقها وشاطره ماله .

ووفد اليه عامله من اليمن وعليه حلة مشهرة (فاخرة) وهو مرجل دهين فقال : هكذا بعثناك ؟ فأمر بالحلة فنزعت وألبس جبة صوف .

وصادر الحارث بن وهب أحد بني ليث بكر بن كنانة وقال له : ما قلاص وأعيد بعثها بمائة دينار ؟ قال خرجت بنفقة لي فاتجرت فيها : قال وأنا والله ما بعثناك للتجارة أدها : ..

هذه الامثلة وغيرها تدلنا في صراحة وواقعية عن مدى موقف عمر من عماله ومقدار ما يسلطه عليهم من رقابة . فشاطر الاول نصف ماله ، بعد أن رآه يبني دارا له . ويخلع من على الثاني لباسه الفاخر لانه رآه سرقة من دماء الشعب .. ويصادر مال الثالث الذي تعلل بأن المال الذي معه نتيجة ربحه في التجارة .

وهكذا كان موقف عمر حرصا على مال الدولة فهو لا يتهاون مع هؤلاء بل نراه وقف في وجههم وحـــاسبهم أعسر الحساب .. ليكونوا عبرة لغـــيرهم من العمال ..

ونحن اليوم نرى مال الدولة بين يدي بعض الافراد بحكم عملهم وأخذ بعض

الناس يأخذون منـه وأباحوا لانفسهم السرقة منـه بـدون رقيب أو وازع من ضميرهم ٠

وما قضايا الاختلاسات وسرقة الغلال وغيرها ببعيدة فقد ظهر على أكثرهم من جراء هذا النهب الثراء الفاحش مما لم يأت عن طريق أجر الوظيفة بل عن هذا الطريق غير المشروع ٠٠٠

فيجب علينا جميعا أن نأخذ هدينا من السابقين وأن نصادر أموال من يظهر عليه الثراء بعد محاسبته قانونا ٠٠ ونتتبع هذه الظاهرة والقضاء عليهـا وهي الظاهرة التي تفشت في مجتمعنا ٠٠ حتى نتقدم بعد أن نزيل هذه الاعشاب من الطريـق ٠

ولنتعلم من عمر حرصه على المال العام ، وانه مسؤول عنه ومحاسب عليه أمام الله ما يذكره عنه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : قال :

رأيت عمر على قتب يعدو فقلت يا أمير المؤمنين أين تذهب فقال بعير ند من ابل الصدقة أطلبه ٠٠ فقلت أذللت الخلفاء بعدك فقال يا أبا الحسن لا تلمني فوالذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة ، لو أن عناقا (عنزا) ذهبت بشاطىء الفرات لاخذ بها عمر يوم القيامة ٠

من هذا كله يظهر مدى احساس عمر بثقل التبعية وان مال الدولة كلهـا مسؤول عنه وأنه محاسب عليه ، ومن هنا حافظ عليه كل المحافظة ولم تأخذه في الله لومة لائم من أي شخص يحاول أخذ شيء من هذا المال مهما كان قليلا ، فرحم الله عمر وأثابه على ذلك الخير الجزيل ٠٠٠

أهمية العمل وخطر الفراغ

أدرك عمر أن العمل واجب وشرف وان الاقبال عليه والاخذ به وتأديته على الوجه الاكمل جهاد في سبيل الله ٠

فقد استعمل عمر رضي الله عنه رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما فقال له ، ما منعك من الخروج الى عملك ؟ أمـا علمت أن لك مثـل المجاهدين في سبيل الله ؟ قال وكيف ذلك ؟

قال لانه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال : ما من وال يلي شيئا من أمور الناس الا أتى يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه ويوقف على جسر جهنم ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يـعـاد فيحاسب ، فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان مسيئا انحرق به ذلك الجسر فهوى في النار سبعين خريفا ٠

فهذا الحديث يدلنا دلالة قاطعة على تفهم عمر للعمل ومدى ثواب القائمين به فهم في وضع مثل المجاهدين في سبيل الله أن أدوه بأمانة واخلاص ٠٠٠

واذا كان عمر يبين هذا فهو يذم التوكل ولا يرتضيه ٠٠ ويقول عن المتوكل المتوكل الذي يلقي حبة في الارض ويتوكل على الله ٠

ويقول لا يبعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وان الله تعالى يرزق الناس بعضهم من بعض ٠

هذا موقف عمر من العمل فهو يحث عليه ولا يرضى بجلوس الناس بحجة الاعتماد على الله ٠

وكان عمر رحمه الله يعتبر نفسه عاملا لا ملكا ولا سلطانا له ماله من القهر والغلبة والجبروت ، ولذا كان عمله بالليل والنهار لايصال الحق الى ذويه ، فلم يوصد بابه دون حاجة أحد ولم يجعل بينه وبين شعبه سياجا من حديد يحجبه عنهم، أو جلس في برج عاجي بحيث لا يسمع صيحات الفقراء والمعوزين ٠

وسنحاول أن ننزل الى الشعب ما يعلمه لهم عمر في المجتمع من حث على العمل والاقبال عليه ٠

فقد اتسعت رقعة الاسلام في عهده وأصبح شامخا واجهد عمر نفسه لتأسيس الدولة الاسلامية على أساس راسخ من العلم ٠

وأدرك عمر قمة العمل ٠٠ لانه يدفع الامة الى الامـسـام ومع أن الذهب والفضة والغنائم كانت تأتي اليه من كل مكان ، نراه مع هذا يؤمن بالعمل وانه السبيل الى التقدم والرفاهية ٠

فأخذ يبث في شعبه حكمه المشهورة ليدل الناس في قوة على مدى فائـــدة العمل وثمرته ٠

ونهاهم عن الفراغ فهو قاتل للنفس مدعاة للهلاك فقال : ابتغوا الارزاق في خبايا الارض ٠٠ وهي دعوة صريحة للناس ليأخذوا حظهم من الحياة كما قال الله تعالى ٠٠٠ امشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ٠٠٠ وبهذا يكون الدين الحنيف يحض على الانتشار لا التقاعد لكسب الرزق والتماسه من كل سبيل ٠٠

واذا كان عمر قد حرص كل الحرص الى توجيه رعيته الى حب العمـــل فانه حذرهم من تأخيره كذلك لان التأخير مدعاة للكسل ٠٠ فقال ٠٠٠٠ لا تؤخر عملك الى غد : وينهي عن الكذب وكثرة المواعيد : فقال أمران لا ينفعان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار ٠

ونادى على الناس ليعلن على الناس عاقبة الفراغ وانه خطر على الشباب فقال أحذركم من عاقبة الفراغ فانه أجمع لابواب المكروه من السكر وقال ان كان الشغل مجهدة ، فالفراغ مفسدة ٠٠

وشبابنا اليوم يحتاج كذلك الى مثل هذه التوجيهات ويجب أن ندفع لـــه في روعه أهمية العمل للامة في ذلك الوقت ٠

وحينما نسمع أن الدولة فتحت ذراعيها لامتصاص هذه الطاقة الضائعة من جهد شبابنا للانتفاع بهم في وقت الفراغ في الاجازات وغيرها فهذا نحمده لها لانها بذلك تغرس في نفوسهم حب العمل الدائب وتدفعهم اليه وتبعد عنهم شبح الفراغ الذي يفت في النفوس ويدفعها الى ارتكاب أشياء خطيرة على الشباب مثل التسكع في الطرقات وعلى نواصي الشوارع لمعاكسة الفتيات وما هذا الا من جراء الفراغ الذي يعيشون فيه ٠

عمر ومسؤوليات شعبه

مدى الحرية التي أعطاها له : محاولة التعرف علـــى جميع مشاكل أمتـــه بنفسه

لم يتبرم عمر بسماعه اي شكوى بل أجهد نفسه في التعرف على ما يعترض طريق الناس في حياتهم ٠٠ وجعل نفسه وحياته ثمنا لايصال الحق الى أهله في كل

مكان ··· ولاحساسه بثقل المسؤولية وعظمها كان لا ينام الا قليلا وكان في أيام خلافته لا ينام ليلا ولا نهارا وانما هي خفقات برأسه وهو جالس ، وكان يقول اذا نمت في الليل ضيعت نفسي وان نمت في النهار ضيعت رعيتي ·

فانظر الى مدى ما كان يتحمله عمر في سبيل أمته ··· انه حمل ثقيل فعلا ولا يستطيع أن ينهض به الا ابن الخطاب ··

وقد أعطى هذه الحرية كاملة لكل الناس ليذكروا ما عندهم في جرأة وصراحة قال حذيفة وخلت على عمر فرايته مهموما حزينا فقلت له ما يهمك يا أمير المؤمنين ؟ فقال اني أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد منكم تعظيما لي ·

· فقال حذيفة والله لو رايناك خرجت عن الحق لنهيناك فان لم تنته ضربناك بالسيف ، ففرح عمر وقال الحمد لله الذي جعل لي أصحابا يقومونني اذا اعوججت ··

فهو يعلن هذا على الملأ لا يخاف يعلن أنه قد يخطيء لانه بشر ولكن خوفه من رهبة الناس له فلا يدلونه على خطئه أو ما قصر فيه ··

ولا شك أن بعد هذا الاعلان أقبل الناس عليه كل يحاول ايصال شكواه اليه ولم يمل عمر بل حاول جهده وضع مشاكلهم أمام عينيه وحلها بسرعة ولم يعتمد على غيره بل نزل بنفسه في كثير من الاحيان لحل مثل هذه الشكاوى التي كانت تأتيه تباعا من شعبه هناك ··· وسندلل في موطننا هذا ببعض ما كان ··· ونعرف موقف عمر من مثل هذه الشكاوى ·

قال أبو بكر ··· قدم رجل من الاعراب على عمر ومعه صبية له وأهله وزوجته ·· فقال يخاطبه ···

يا عمر الخير جزيت الجنة ···· اكس بناتي وأمهنه
اقسمت بالله لتفعلنه

فقال عمر ···· فان لم أفعل يكون ماذا ؟ قال :
اذا أبا حفص لاذهبنه

قال : فاذا ذهبت يكون ماذا ؟ قال :
يكون عن حالي لتسالنه

قال عمر : متى ؟ قال :

يوم تكون الاعطيات جنة .... والواقف المسؤول بينهنه
اما الى نار واما جنه

فبكى عمر رضوان الله عليه حتى أخضبت لحيته ، وقال لغلامه يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره ، ثم قال والله لا أملك غيره .

ومثل موقف هذا الاعرابي غيره كثير فقد أعطى ذوي الحاجات وأغناهم وسمع لكل ما يقولونه وكان يتحسس بنفسه ليتعرف على ما ينزل بالناس وما قصته من أم الاطفال ببعيدة ... وقصته كذلك مع المرأة التي تناجي زوجها وهو في الحرب لتأخيره عليها .. وعندما عرف عمر مشكلتها أمر الجنود بألا يبقوا في خارج دورهم أكثر من اللازم رغبة في التقاء الاسرة وجمع شملها حتى في وقت الحروب واشتداد الازمات .

ولحرصه على أن يتعرف مشاكل أمته كلها..كان اذا جاءه وفد من الاقطار استخبرهم عن أحوال الناس .. فيقولون ...

أما البلد الفلاني فانهم يرهبون أمير المؤمنين ويخافون سطوته ويحذرون عقوبته ، أما البلد الفلاني فانهم قد جمعوا من الاموال مالا تحمله السفن وهم موجهون بها اليك ... الخ .

وما يهمنا بن هذا كله أن عمر كان يعرف كل شيء تقريبا عن أحوال رعيته فهو يبث عيونه ليأتوا اليه بأخبار أمته من اقصاها الى اقصاها حتى يعرف كل شيء ولا يكون هناك مظلوم أو مضطهد أو غير ذلك ...

فقد قال رضي الله عنه لان عشت لاسيرن في الرعية حولا فاني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني أما عمالهم فلا يرفعونها الي وأما هم فلا يصلون الي ، فاسير الى الشام فاقيم بها شهرين ثم الى الجزيرة فاقيم بها شهرين ، ثم أسير الى مصر فاقيم بها شهرين ، ثم أسير الى البحرين فاقيم بها شهرين ، ثم أسير الى الكوفة فاقيم بها شهرين ، ثم أسير الى البصرة فاقيم بها شهرين ، والله لنعم الحول .

فهل بعد هذا نجد عمر قصر ولو قيد أنملة في حوائج أمته وهل أوصد بابه وصم أذنيه عن حوائج الناس وهل استهان بالفقراء وخاف من أصحاب الجاه ... اللهم لا ؟

واذا كان بعض المسؤولين الآن ذهب الى المحافظات ليدرس أحوالها ويطلع على مشاكلها فقد سبقه عمر في أنه أحاط بنفسه بجميع شكاوى دولته وعمل على حلها بدون تهاون أو تراخ ...

فهو قائد حربي ... واجتماعي ... من الدرجة الاولى وباعث نهضة أمته الى الامام ...



عصر العــدالة

بقلم : عبد العزيز حافظ دنيا

اقتضت حكمة الله جل شأنه أن تكون شريعة الاسلام بما اشتملت عليه من نظم ومبادىء وأحكام ، هي شريعة رب الناس لكل الناس ٠٠ اذ هي شريعة فيهـا الاهلية الكاملة ، وتغطي بأحكامها كل أحداث الناس وأقضيتهم ٠

وقد أمر الله سبحانه وتعالى ، رسوله الكريم ، أن يحكم بها لصلاح العباد وصلاح دنياهم : « فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » ٠ « فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » ٠

كما رسم له جل ثناؤه ، أوضح المفاهيم التي يسير عليها لتحقيق ذلك « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنـين خصيما » ٠

وقد بين الرسول الكريم كثيرا من الاحكام في كثير من المواقع وبين للمسلمين في آخر خطبة له ٠ ان الاستمساك بتعاليم هذه الشريعة السمحاء يؤدي بهم الى الفلاح ٠ قال لهم : « لقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه » ٠

ولم يفارق الدنيا صلوات الله عليه وسلم ، خلفاؤه ، فتعهدوا البناء الذي بدأه وسار على نهجه فطبقوا أسس التشريع ومبادئه على ماجد في الحيـاة من

أحداث واثبتوا لها من الاحكام ما يحقق مصالح الناس ، ولا يجافي أهداف الشريعة ومقاصدها ومن جهود خليفتي (أبي بكر وعمر رضي الله عنهما) المتتابعة تكون الاساس الاول للفقه الاسلامي الذي شملت أحكامه كل نواحي الحياة ٠

وقد فاق عمر أبا بكر في ذلك نظرا لطول مدة حكمه التي زادت عن مدة سلفه حوالي خمس مرات وسنرى في الصفحات القادمة كيف وضع عمر بعدله الموروث الكثير من مبادىء التشريع القضائي والاجتماعي الذي لم يحد عن مبادىء الشريعة قيد أنملة ٠

ونقول : عدله الموروث : لانه ورث القضاء من قبيلته وآبائه أبناء عدي - أخو مرة - الذين تولوا السفارة والتحكيم ٠ والسفارة كانت من الوظائف الكبرى في حكومة قريش ، وكانت قريش تبعث صاحبها لمفاوضة أعدائها عندما يختلفون على أمر وآخر من تولى منصب السفارة - في الجاهلية عمر رضي الله عنه وحسبك فخرا لقبيلة هذا شأنها ينتمي اليها ويصبح سفير قوم يفض المشاكل والمنازعات ويحسم المنافرات ، ثم ينشيء - بعد ذلك بعدله وعبقريته - الدولة الاسلامية الكبيرة ٠

ولانه قوي مستقيم بتكوينه الموروث اذ كان أبوه الخطاب وجده نفيل ابن عبد العزى الذي قضى لعبد المطلب على حرب بن أمية حين تنافرا اليه وتنافسا اليه وتنافسا على الزعامة ، وكانت أمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة قائد قريش في كل نضال ، وكان من آله زيد بن عمرو (ابن عمه) والذي قادته حكمته الى أن يعتزل عبادة الاصنام وقال لقومه : « أيرسل الله قطر السماء وينبت بقل الارض ويخلق السائمة فترعى منه ، وتذبحون لغير الله ، والله ما أعلم على ظهر الارض أحد على دين ابراهيم غيري ٠٠٠ » وكان كلما دخل الكعبة يقول : «اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب اليك عبدتك به ، ولكني لا أعلمه » ثم هاجر الى الشام ٠ ولما علم بخبر النبي (ص) بدأ في العودة ٠ وفي الطريق قتله اللخميون(١) ٠

---

(١) حوت السيرة أشعارا لزيد نظمها حين اعتزل الاصنام منها :

عزلت اللات والعزى جميعا   كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا عزى أدين ولا ابنتيها   ولا صنمي بني عمرو أزور
ولكن أعبد الرحمن ربي   ليغفر ذنبي الرب الغفور

(أنظر : سيرة النبي ج ـ ٦ ـ ط٠ كتاب التحرير) ٠

ولان آله قد ذاقوا طعم الظلم من أقربائهم بني عبد شمس وكانوا أشداء في الحرب يسمونهم : « لعقة الدم » ولكنهم غلبوا على أمرهم فاستقر فيهم بغض القوي المظلوم للظلم ، وحبه للعدل الذي مارسوه ، وساعدت عبر الايام على تمكين خليقة العدل في خلاصة هذه الاسرة ، ونعني به عمر رضي الله عنه ، كذلك اجتمعت فيه ـ رضي الله عنه ـ عناصر الوراثة الشعبية ، والقوة الفردية وتجارب الكفاح ، وعبر الاحداث ، وعقيدة الدين في صفة العدل التي أوشكت أن تستولي فيه على جميع الصفات ..

وهكذا نرى أن عمر كان عادلا لاسباب كثيرة ، كأنه عادل لسبب واحد لقلة التناقض وربما كان تعدد الاسباب هو العاصم الذي حمى صفة العدل ان تتناقض في آثارها لانه منحها القوة التي تشدها وتعصمها من التفكك والتوزع فكان في جميع أحكامه عادلا على وتيرة واحدة لا تفاوت بينها ، فلو تفرقت بين يديه مائة قضية في أعوام متباعدات لكنت على ثقة أن تتفق الاحكام كلما اتفقت القضايا كأنه يطبعها بطابع واحد لا يتغير .

★★★

اشتهر عمر بعدله بين الناس ، وعرف أبو بكر تفانيه في إقامة العدل فكان دائما يستشيره في كثير من القضايا ، يروي وكيع عن ابن ماجدة أو أبي ماجدة(١) قطعت من أذن غلام أو قطع من أذن غلام ، فقدم علينا أبو بكر حاجا فاختصمنا اليه فسأل عمر : فقال عمر : ان هذا قد بلغ القصاص ، ادع لي حجاما فليقتص منه » .

ولما ثقل العبء على أبي بكر ، قال لعمر ولابي عبيدة بن الجراح : أنه لا بد لي من أعوان .. فقال عمر : أنا أكفيك القضاء .. وقال أبو عبيدة وأنا أكفيك بيت المال .. »

ويقول وكيع(٢) في ذلك : لما استخلف أبو بكر حمل عنه عمر بن الخطاب

(١) في اخبار القضاة جـ ١ ص ١٠٣ وما بعدها لوكيع .

(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ١٠٣ وما بعدها لوكيع .

عبء القضاء .. وقد مكث سنة لا يتقدم اليه أحد ، وفي رواية أخرى « لا يأتيه رجلان » أي متعاضدين .

وكان القرآن بما جمع من تشريعات قضائية وغيرها مما يصلح أحوال الناس دستور عمر ، سار على هداه في كل أحكامه وقضاياه وكان يوصي الناس بالتمسك به في خطبة في أول خلافته ، فجمع في خطبته بين صفتهم وصفة ولايته عليهم وحكم المال الذي يليه ، بما هو الصواب المسموع والحق المتبوع فقال : « أيها الناس اقرأوا القرآن تعرفوا به ، واعلموا بما فيه تكونوا من أهله ، ولن يبلغ ذي حق حقه أن يطاع في معصية الله ، الا وانه لن يبعد من رزق ، ولن يقرب من أجل أن يقول المرء حقا ، الا واني ما وجدت صلاح ما ولاني الله الا بثلاث :

« أداء الامانة » « والاخذ بالقوة » « والحكم بما أنزل الله » .

ألا واني ما وجدت صلاح هذا المال الا بثلاث :

« أداء الامانة » « وأن يعطى في حق » « وأن يمنع من باطل » .

ألا واني في مالكم كولي اليتيم ، ان استغنيت استعففت ، وان افتقرت أكلت بالمعروف كترمم البهيمة الاعرابية »(١) .

وكان رضي الله عنه اذا أعياه أن يجد في القرآن والسنة مادة يقضي بها ، سأل : هل كان الصديق قضى فيه بقضاء .. فان وجد لابي بكر قضاء قضى به ، والا جمع الصحابة وذوي الرأي واستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به ..

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: « أكثروا عليه ذات يوم - يقصد عمر - فقال : « انه قد أتى علينا زمان ولسنا نقضي ولسنا هناك ، ثم أن الله بلغنا ما ترون ، فمن عرض عليه قضاء بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله ، فان جاء أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه عليه السلام ، ولا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه ولا يقل اني أرى واني أخاف ، فان الحلال بيّن والحرام بين ، وبين ذلك مشتبهات ، فدع ما يريبك الى ما لا يريبك »(٢) .

---

(١) الاحكام السلطانية ص ١٧٦ للماوردي .

(٢) من بحث عن القضاء في الاسلام - لم ينشر - لصديقنا الفاضل الشيخ طه العربي الاستاذ بكلية الشريعة بالجامعة الازهرية .

والقضاء كان من الوظائف الداخلة تحت الخلافة ، وأول من فوض فيه عمر رضي الله عنه وكان يختار القضاة من الرجال المشهود لهم بحسن السمعة وحب العدالة والاجتهاد في الرأي ، وكان موفقا في اختيار قضائه ، كاختيار عماله ، ذلك لانه كان عالما بالفقه والتشريع لا يكاد يعدله أحد في ذلك ، وقد أشاد بذلك ابن مسعود عندما قال :

« لو وضع علم عمر في كفة ، وعلم أحياء العرب في كفة لرجح علم عمر » ولا تزال كتب عمر لقضاته ورجال دولته وأقواله تشهد بسعة علمه في القضاء وأصوله ، وكتابه لابي موسى الاشعري(١) قطعة من أدب القضاء الخالدة ترى فيها المبادىء التي يجري عليها القضاء اليوم في أكثر الامم حضارة ، وما يجب أن يلزمه القاضي في معاملة الخصوم يقول في كتابه ـ الذي أورده ابن خلدون وغيره :

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ من عبد الله أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلام عليك ، اما بعد ، فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم اذا أدلي اليك وانفذ اذا تبين لك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له .. وآس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك .

البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه الى رشدك ، أن ترجع الى الحق فان الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ...

الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة .. ثم أعرف الاشباء والامثال ، وقس الامور عند ذلك بنظائرها ، واعمد الى أقربها الى الله وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي اليه ، فان أحضر بينة أخذت له بحقه ، والا وجهت القضاء عليه ، فانه أنفى للشك وأجلى للعمى » .

---

(١) عبد الله بن قيس من بني الاشعر . قحطاني . صحابي . كان احد الحكمين بين معاوية وعلي روى الحديث وتوفي بالكوفة سنة ٤٤ هـ .

المسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجلودا في حد أو مجربا عليه شهادة زور ، أو ظنينا في ولاء أو نسب فان الله سبحانه تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايمان .

واياكم والقلق والضجر والتأذي بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ، فان الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ، ويحسن به الذكر ، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله ، فما ظنك بثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام .. » .

وعن القطان بن سفيان عن أبيه قال :

« قرأت كتاب عمر بن الخطاب الى أبي موسى : « لا تستقضين الا ذا مال وذا حسب فان ذا المال لا يرغب في أموال الناس ، وان ذا الحسب لا يخشى العواقب بين الناس » .

ولقد كتب رضي الله عنه كذلك الى معاوية وهو عامل على الشام كتابا قال فيه: « اذا تقدم اليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة ، أو اليمين القاطعة ، وادناء الضعيف حتى يشتد قلبه ويتبسط لسانه .

وتعاهد الغريب فانك ان لم تتعاهده ترك حقه ورجع الى أهله ، وانما ضيع حقه من لم يرفق به ، وآسي بين الناس في لحظك وطرفك ، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يتبين لك فصل القضاء »(١) .

مبادىء وتشريعات جليلة ، لم تتغير بتغير الازمان ، ولا زال المشرعون وأرباب الفقه يتناولونها بالتعليق والشرح في كثير من المراجع والاسفار ..

وكان رضي الله عنه يتفقد سير العدالة ، ويسأل قضاتها عن المنهج الذي يسيرون عليه في تطبيقها ... روى محارب بن دثار عنه أنه سأل رجلا من أنت ؟ فقال : قاضي دمشق .. قال كيف تقضي ؟ قال : أقضي بكتاب الله ... فسأله : واذا جاءك ما ليس في كتاب الله ؟ فأجابه : أقضي اذا بسنة رسول الله .. فسأله

---

(١) تاريخ القضاء جـ ١/٧١ لوكيع .

ثانية : واذا جاءك ما ليس في سنة رسول الله ؟ قال : أجتهـــد برأيي وأؤامر جلسائي » ٠٠

فاستحسن قوله وأوصاه اذا جلس للحكم أن يدعو الله قائلا : (اني أسألك أن أفتي بعلم ، وأن أقضي بحكم وأسألك العدل في الغضب والرضا)(١) ٠

ولم يفته أيضا رضوان الله عليه أن يوصي الجند بالسلوك العادل في كل تصرفاتهم ، ويحذرهم من العدوان ، لان الله لا يحب المعتدين ، ويحضهم على لقاء العدو بقلب ثابت ٠ خطب في الصفوف الذاهبة لقتال الفرس ـ في العام الاول من خلافته : « لا تجبنوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند المقدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ، ولا وليدا ، ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا وابشروا بالارباح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » ٠٠٠

والقارىء لخطب عمر في الايام الاولى لبيعته يرى فيها : عدالة القــرآن وديمقراطية العادلين ، وسماحة المؤمنين ٠٠٠ يرى فيها شدة عمر في الحق وغلظته بالعاصين لاوامر الله ، والمتقاعسين عن الجهاد في سبيل الاسلام ، يرى فيها رحمته بالضعفاء والاخذ بيدهم حتى يقووا ٠٠ ثم يرى فيها كيف أن عمر يعرف نفسه حق المعرفة ويطلب من الله أن يمحوا منها سيآتها ، ويبدلها بما ينفع المسلمـين ويحفظ للدين هيبته ٠

جاء في أول خطبة له عقب تنصيبه(٢) قوله ـ بعد أن حمد الله وصلى على النبي وذكر أبا بكر وفضله :

« أيها الناس : ما أنا الا رجل منكم ، ولولا أني كرهت أن أرد أمر خليفة رسول الله ما تقلدت أمركم(٣) ٠٠٠ وبينما الناس ينصتون له ، اذ رأوه يتوجه بنظره الى السماء ويقول : « اللهم اني غليظ فليّنّي ، اللهم اني ضعيف فقوني اللهم اني بخيل فسخني ، وبعد أن فرغ من دعائه نظر الى الناس واستأنف خطبته

---

(١) عبقرية عمر ص ٧٦ وما بعدها ٠٠ للعقاد ٠

(٢) آل الامر الى عمر في مساء الاثنين لاحدى وعشرين ليلة خلت من شهر جمادي الاخرة للسنة الثالثة عشرة من الهجرة (٢٢ اغسطس سنة ٦٣٢ م)

(٣) عندما عرض ابو بكر الخلافة على عمر ، ابى وقال : لا حاجة لي فيها ٠ فقال ابو بكر: ولكن لها بك حاجة يا ابن الخطاب ٠ وايد الصحابة الصديق في ذلك ، فقبل عمر ٠

قائلا : « ان الله ابتلاكم بي ، وابتلاني بكم ، وأبقاني فيكم بعد صاحبي فوالله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني ، ولا يتغيب عني فآلوا فيه عن الجزء والامانة ، ولئن أحسنوا لاحسنن اليهم ، ولئن أساءوا لانكلن بهم ... »(١) .

وفي اليوم الثاني استفتح عهده برد سبايا أهل الردة الى عشائرهم ، وقال للناس : « اني كرهت أن يصير السبي سنة في العرب »(٢) .

ولكن الناس برموا بهذا الاجراء واعتبروا ذلك مخالفة لاوامر أبي بكر الذي أمرهم أن يقاتلوا المرتدين ، ولا يقبل أي قائد من مرتد الا الاسلام ، ومن أبى أن يقاتله على ذلك ، ويسبي النساء والذراري وقد أراد عمر باجرائه هذا أن يستميل العرب ويوحد صفوفهم عملا بالآية الكريمة : « ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

ولكن بعض القواد والرؤساء لم يقبلوا هذا الاجراء وداخلهم الخوف من شدة عمر المشهور بها .. وعلم رضي الله عنه بهذا فخرج الى المسجد في اليوم الثالث ــ لبيعته ــ فلما بايعه من لم يكن بايعه من قبل خطب في الناس :

« أيها الناس : انما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده ، أما أنا فورب الكعبة لاحملنهم على الطريق ... (٢) .

« أما وقد بلغني أن الناس هابوا شدتي ، وخافوا غلظتي ، وقالوا قد كان هو يشتد علينا ورسول الله بين أظهرنا ، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه فكيف وقد صارت الامور اليه ، ومن قال ذلك فقد صدق ... اني كنت مع رسول الله فكنت عبده وخادمه ، وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة ، وكان كما قال الله : بالمؤمنين رؤوفا فكنت بين يديه سيفا مسلولا حتى يغمدني أو يدعني فأمضي فلم أزل مع رسول الله حتى توفاه الله وهو عني راض والحمد لله على ذلك فقد صدق ... اني كنت مع رسول الله فكنت عبده وخادمه ، وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة ، وكان كما قال الله : بالمؤمنين رؤوفا فكنت بين يديه سيفا مسلولا حتى يغمدني أو يدعني فأمضي فلم أزل مع رسول الله حتى توفاه الله وهو عني راض والحمد لله على ذلك كثيرا وأنا به أسعد .

---

(١) الطبقات الكبرى جـ ٣ ع ــ ٦ ط. كتاب التحرير . لمحمد بن سعد .
(٢) الفاروق عمر جـ ١ ص ٩٥ .

ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر فكان من لا تنكرون دعته وكرمه ولينه ، فكنت حادمه وعونه ، أخلط شدتي بلينه ، فأكون سيفا حتى يغمدني أو يدعني فأمضي فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عز وجل وهو عني راض ، فالحمد لله على ذلك كثيرا وأنا به أسعد ...

« ثم اني قد وليت أموركم أيها الناس فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت ولكنها انما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين ، فاما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض ، ولست أدع أحدا يظلم أحدا او يتعدى عليه حتى أضع خده على الارض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن بالحق واني بعد شدتي تلك أضع خدي على الارض لاهل العفاف وأهل الكفاف .

« ولكم علي أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها » .

« لكم علي ألا أجتبي شيئا من خراجكم، ولا ما أفاء الله عليكم الا من وجهه ..

« ولكم علي اذا وقع في يدي ألا يخرج مني الا في حقه »

« ولكم علي أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم ان شاء الله تعالى، وأسد ثغوركم ..

« ولكم علي ألا القيكم في المهالك ، ولا أجمركم في ثغوركم(١) واذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال ..

« فاتقوا الله عباد الله وأعينوني على أنفسكم يكفها عني ، وأعينوني على نفسي بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم »(٢) .

رجل كهذا طمئن الناس على عدله ، وان شدته لن تكون الا على الظالمين وأهل الفرقة ، وأنه سيكون ألين من بعضهم لبعض . وانه سيكون أبا لعيالهم اذا غابوا عنهم في الجهاد ، أليس حليقا بأن يولوه ثقتهم وأن يجيبوه اذا دعاهم ؟؟

---

(١) تجمير الجيش جمعهم في الثغور ومنعهم من العودة الى ديارهم واولادهم فترة طويلة .

(٢) المرجع السابق ص ٩٦ .

وحتى يحبب اليهم الجهاد ويحرضهم عليه للخروج مع المثنى بن حارثة لقتال الفرس(١) قال لهم : ـ

« ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجعة(٢) ولا يقوى عليه أهله الا بذلك ٠٠ أين الطراء المهاجرون عن موعود الله سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها فانه قال : « ليظهره على الدين كله » والله مظهر دينه ومعز ناصره ، ومول أهله مواريث الامم ٠٠ أين عباد الله الصالحون » ٠ واستجاب الناس لعمر فخرجوا للجهاد وكان انتصار المثنى بهم في معركة البويب (رمضان ١٤ هـ نوفمبر ٦٣٥ م) باب الظفر الذي انفتح أمام المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص لهزيمة فارس في القادسية والمدائن وغيرهما ، وبذلك أصبح العراق عربيا مسلما(٣) ٠

وكان العدل القضائي لعمر لا يفرق بين المسلمين والذميين ٠ لما أراد ـ رضي الله عنه ـ أن يطهر شبه الجزيرة الاسلامية من العقائد الاخرى تأمينا لدعوة الاسلام دعى اليه « يعلى بن أمية في خلال العام الرابع عشر (٦٣٥ م) وأمره أن يجلي نصارى نجران عن ديارهم(٤) وقال له :

« ايتهم ولا تفتنهم عن دينهم ، ثم أجل من أقام منهم على دينه وأقرر المسلم، وامسح ارض كل من يجلي منهم ، ثم خيرهم البلدان ، وأعلنهم أنا نخليهم بأمر الله ورسوله ألا يترك بجزيرة العرب دينان ، فليخرج من أقام على دينه منهم ، ثم نعطيهم أرضا كأرضهم اقرارا لهم بالحق على أنفسنا ووفاء بذمتهم فيما أمر الله من ذلك بدلا بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم من الريف »(٥) ٠

---

(١) اقرأ حروب المثنى ضد الفرس في كتابنا : الصمود العربي في الهزيمة والنصر ـ ط ـ المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ٠

(٢) النجعة : طلب الكلأ في موضعه ٠

(٣) عندما ذهب سعد لنجدة المثنى في العراق ـ بعد نصر البويب ـ وجد المثنى قد توفي متأثرا بجراحه في معركة الجسر التي سيأتي ذكرها في الصفحات القادمة ٠

(٤) دعا النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران الى الاسلام فابوا ورضوا بالجزية فاقرهم على ذلك وفعل أبو بكر مثله ٠

(٥) المرجع السابق ص ١٠٣ ٠

وأقطعهم بعلي « النجرانية » عند الكوفة وكتب لهم عهدا قال فيه :

« ٠٠ هذا ٠٠ ما كتب به عمر أمير المؤمنين لاهل نجران ، من سار منهم آمن بأمان الله لا يضره أحد من المسلمين ٠٠ ومن مروا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من حرث الارض ، فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة لوجه الله ، ومن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم ، فانهم أقوام لهم الذمة وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهرا بعد أن يقدموا ولا يكلفوا الا من صنعهم البر غير مظلومين ولا معتدى عليهم »(١) ٠

وعندما حضرت عمر الوفاة ، وحتى من يلي الخلافة بعده برعاية الذميين كافة وأن يوفي بعهدهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم وأن يقاتل من ورائهم٠٠(٢)٠

ولم يكن ما فعله عمر مع نصارى نجران أو مع من بقي من اليهود في أرض العرب بعد وفاة النبي وأبي بكر ـ تعصبا منه ، ولم يكن نقضا لسياسة النبي الكريم وخليفته الاول ، بل هو تكييف عام لسياسة الدولة اقتنع به عمر فنفذه ٠

ولكي نقدر هذا التكييف يجب أن ننفي عن عمر تهمة التعصب التي رماه بها المستشرقون وغيرهم من الحاملين على الاسلام ، والواقع أن العقيدة في عصر عمر كانت أساسا جوهريا في حياة الجماعة ، فكان المخالفون لهذه العقيدة يعتبرون في نظر عمر خارجين عليها ٠

واذا كان رسول الله صلوات الله عليه ، قد عاهد نصارى نجران واتبعه أبو بكر في ذلك فلأن شبه الجزيرة لم تكن وحدتها السياسية قد تمت ، لان نجران تجاور اليمن التي ظلت على وثنيتها زمنا غير قليل بعد هذا العهد بين النبي وهؤلاء النصارى ، وفي أواخر حياة النبي وبعد وفاته رأينا اليمن يرتد عن الاسلام ، بزعامة الاسود العنسي ، فكان طبيعيا أن يقر أبو بكر نصارى نجران على ما أقره النبي صلى الله عليه وسلم لهم حتى يضمن ولاءهم ٠

---

(١) وكذلك فعل في العام (١٥ هـ/٦٣٦ م) مع البقية الباقية من اليهود ، اذ أخرجهم واقطعهم منطقة أريحا بفلسطين وهم الذين كانوا يقيمون بعد غزوة خيبر ، وصالحوا النبي (ص) على البقاء بارضهم والعمل فيها على أن يكون للمسلمين النصف من غلاتها ٠

(٢) عبقرية عمر ص ١٠٤ ٠

وقد أدى القضاء على حروب الردة وقتل الاسود العنسي ومسيلمة الكذاب وما تبع ذلك من غزو الفرس والروم الى توطيد الوحدة السياسية والدينية في أرجاء شبه الجزيرة فأصبحت كلها دولة اسلامية واحدة عاصمتها المدينة ، وبذلك زالت الاسباب التي أدت الى معاهدة نجران ، فتصرف عمر في هذا الشأن خليق بالحمد غير خليق بالتحامل ولا باللوم ، فهو لم يفتن نصارى نجران عن دينهم كما فعل أهل ملتهم ـ في العصور التي تلت ـ من الكاثوليك والبروتستانت الذين كانوا يرهقون خصومهم في المذهب حتى ليقتلوهم ويذيقوهم العذاب ألوانا كما هو معروف ومذكور في كتب التاريخ ، بل كان أول ما أوصى به ـ رضي الله عنه ـ يعلي ألا يفتن النصارى عن دينهم وأن يدع لهم الحرية كاملة في البقاء عليه ، أو التحول عنه الى الاسلام ، وأن يعوضهم ويعطيهم أرضا غير أرضهم خارج البلاد ، وهو بذلك لم يظلمهم ولم يصنع معهم ما تصنعه بعض الامم في عصرنا هذا من التعصب الاعمى ضد أجناس غير أجناسهم دون أن يعوضوهم عن أموالهم وديارهم التي اغتصبوها منهم وأكبر شاهد على ذلك ما تفعله الصهيونية اليوم مع عرب فلسطين ٠

وكان عمر بجانب ذلك حريصا على مكافأة المجدين واعطاء كل ذي حق حقه كما كان منكرا لنفسه متجردا لله في سبيل انتشار الدعوة وقيام الوحدة بين المسلمين وكان في انكاره لنفسه وتجرده لله في سبيل خير الناس جميعا تنم عنها كل خطبه كان يقول للناس : « اني لارجو ان عمرت فيكم يسيرا أو كثيرا أن أعمل بالحق فيكم ان شاء الله ، وألا يبقى أحد من المسلمين ، وان كان في بعثه (في جهاده) الا آتاه حقه ونصيبه من مال الله(١) ٠

كان دائما يطمئن المسلمين من ناحية شدته وأنه ساهر على راحتهم واعطاء حقوقهم ، ويعلن لهم في كل مناسبة عن تواضعه حتى يزيدهم اطمئنانا اليه والى عدله ورحمته يقول في ذلك : ـ

« اني امرؤ مسلم وعبد ضعيف الا ما أعان الله عز وجل ، ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئا ان شاء الله ٠٠ انما العظمة لله عز وجل ، وليس للعباد منها شيء فلا يقولن أحدكم أن عمر تغير منذ ولي ، أعقل الحق من نفسي ، وأتقدم وأبين لكم أمري ، فأيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة ، أو عتب علينا

(١) الفاروق عمر جـ ١ ص ١٠٦ ٠

في خلق فليؤذني فانما أنا رجل منكم ... وأنا حبيب الي صلاحكم عزيز علي عتبكم .. وأنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه ، ومطلع على ما يحضرني بنفسي ان شاء الله ، لا أكله الى أحد ولا أستطيع ما بعد منه الا الامناء وأهل النصح منكم للعامة ولست أجمل أمانتي الى أحد سواهم ان شاء الله ...(١) .

بهذه المبادىء العادلة ، والنفس المنكرة لذاتها والتواضع البالغ استطاع أن يؤلف القلوب ويوحد النفوس فلا غرو أن يلقبه المسلمون بأمير المؤمنين »(٢) .

العدالة في التطبيق

ولكي نتبين عدل عمر القضائي نذكر بعض القضايا التي فصل فيها عمر بنفسه أو التي احتكم فيها عند بعض رعاياه .

يقص علينا التاريخ : كان عمر وأبي بن كعب ، بدر في شيء فجعلا بينهما زيد بن ثابت ، فلما أتيا بابه خرج فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين لو أرسلت الي لاتيتك . فقال عمر : في بيته يؤتى الحكم ، فلما دخلا عليه قال : « ها هنا يا أمير المؤمنين ، يشير الى مكانه هو ليجلس فيه عمر فقال عمر : « بل أجلس مع خصمي » فادعى أبي وأنكر عمر ولم تكن لابي بينة .

فقال زيد : أعف أمير المؤمنين من اليمين .

فقال عمر لزيد : « جرت في قضائك ـ وفي رواية أخرى : تالله انزلت ظالما السلام عليك يا أمير المؤمنين ها هنا ـ اعف أمير المؤمنين ـ ولم يعفى أمير المؤمنين؟ ان كان له حق استحققته بيميني والا تركته ، والله الذي لا اله الا هو أن النخل

---

(١) المرجع السابق والصفحة .

(٢) اورد ابن عساكر في تاريخ دمشق أن المغيرة بن شعبة اول من دعاه بهذا اللقب وفي روايته الثانية : ان عمر كتب الى عامله بالعراق أن ابعث الي رجلين اسالهما عن أمر الناس ، فبعث اليه : عدي بن حاتم الطائي ولبيد بن ربيعة ، فلما بلغا المدينة استقبلهما عمرو بن العاص فقالا له : استاذن لنا على امير المؤمنين ، قال عمرو : فدخلت على عمر فقلت : يا امير المؤمنين . فقال : لتخرجن مما قلت او لافعلن . قلت : يا امير المؤمنين بعث عامل العراق برسله .. فقالا.. استأذن لنا على امير المؤمنين فقلت : انتما والله اصبتما ؟ هو الامير ونحن المؤمنين فلصق هذا اللقب بعمر الى يومنا هذا .

لنخلي وما لابي فيها حق ، ثم اقسم لا يصيب زيد وجه القضاء حتى يكون عمر وغيره من الناس عنده سواء ... » .

ويقول علي بن الجعد :

، انبأنا شعبة ، عن سيار عن الشعبي « أخذ عمر فرسا من رجل على سوم محمل عليه فعطب ، فخاصمه الرجل فقال عمر ، اجعل بيني وبينك رجلا فقال الرجل : اني أرضى بشريح العراقي ، فقال شريح: « أخذت سليما صحيحا فانت له ضامن حتى ترده صحيحا سليما وأعجب ذلك عمر فعينه قاضيا(١) .

وذكر مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب اختصم اليه مسلم ويهودي فرأى عمر أن الحق لليهودي فقضى له »(٢) .

كما يروي التاريخ أيضا عن قضائه العادل ، أنه كان لا يفرق في عدله بين أمير وفقير ، ولا بين راع ورعية ، وكان يقيم الحد على أهله قبل أن يقيمه على الناس ، علم أن ابنه عبد الرحمن شرب مع أبي سروعة خمرا بمصر ثم علم أن عمرو بن العاص (عامله على مصر) لم يفعل معهما شيء سوى الزجر والطرد فقال عبد الرحمن لعمرو ما معناه لم تقم علينا الحد ؟ ان لم تفعله أخبرت أبي اذا قدمت عليه يقول عمرو : ـ

« اني ان لم أقم عليهما الحد غضب عمر وعزلني فأخرجتهما الى صحن الدار وضربتهما الحد ودخل عبد الرحمن الى ناصية الدار فحلق رأسه ، ووالله ما كتبت لعمر بحرف مما كان ـ الكلام لعمرو ـ حتى جاءني كتابه فاذا فيه :ـ

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العاصي بن العاصي عجبت لك يا ابن العاصي وجرأتك وخلافك عهدي فما أراني الا عازلك تضرب عبد الرحمن في بيتك وتحلق رأسه في بيتك ، وقد عرفت أن هذا يخالفني ، انما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنعه بغيره من المسلمين ولكن قلت هو ولد أمير المؤمنين وقد عرفت أن لا هوادة لاحد من الناس عندي في حق يجب عليه ، فاذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع » .

ووصل عبد الرحمن الى يثرب .. وتجري الرواية بأن عمر أقام عليه الحد مرة ثانية فضربه وحبسه فمرض ثم مات .

---

(١) اعلام الموقعين جـ ١ ص ٨٥ لابن القيم .

(٢) الموطأ بشرح الباجي جـ ٥ ص ١٨٧ للامام مالك .

وحادثة أخرى تشهد بقضاء عمر العادل ، حدث أن ضرب محمد بن عمرو ابن العاص مصريا بالسوط وهو يقول له : خذها وأنا ابن الاكرمين ••• وحبس عمرو الرجل مخافة أن يذهب ويشكو الى الخليفة ••• واستطاع الرجل أن يفلت من محبسه وذهب الى المدينة وشكا لعمر ما أصابه وبعث عمر الى عمرو وابنه للحضور فلما مثلا بين يديه ، جاء عمر بالمصري وأعطاه الدرة وقال له : ـ

« اضرب بها ابن الاكرمين ؟•• وضرب المصري محمدا حتى أثخنه وعمر يقول : اضرب ابن الاكرمين •• فلما فرغ الرجل تقدم بالدرة لعمر فقال له « أجلها على صلعة عمرو » فوالله ما ضربك ابنه الا بفضل سلطاته » •

قال عمرو : يا أمير المؤمنين قد استوفيت واستشفيت وقال المصري يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني • فقال عمر : « انك والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه » والتفت الى عمرو مغضبا وقال : « أيا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » (١) •

ومن القضايا التي فصل فيها عمر بنفسه هذه القضية الطريفة •

كان أعمى يقوده بصير فوقعا في بئر وقع البصير أولا ووقع عليه الاعمى فمات البصير فقضى عمر بعقله على الاعمى (٢) •

وفي الحديث : أن رجلا أتى أهل أبيات فاستسقاهم ، فلم يسقوه فمات عطشا • فقضى عليهم بالدية (٣) •

وكان رضي الله عنه له في قضائه ذلك الحزم الذي يقطع اللجاجة وينهض بالحجة على كل ذي خلاف ، كلما اشتجر الخلاف ••• كتب اليه أبو عبيدة بن الجراح من دمشق : أن عمرو بن معدي يكرب(٤) وأبا جندل ، وضرارا ، وجماعة

---

(١) المغني جـ ١٠/١٦٥ لابن قدامة وذكرها وكيع في تاريخ القضاة جـ ١/١٠٨ •

(٢) نيل الاوطار جـ ٧ ص ٧٩ للشوكاني •

(٣) رواه احمد في رواية ابن منصور • وقال : أقول به •

(٤) يمني من فرسان زبيد وشاعرها •• ويكنى أبا ثور •• سمع عن رسول الله فذهب اليه في عام الوفود (٩ هـ) وسلم ثم ارتد واتبع الاسود العنسي ولما قتل هذا أسر وذهب الى المدينة واعلن توبته لابي بكر وصلح اسلامه اشترك في معركة اليرموك التي وقعت في أول خلافة عمر ، وفي فتوح العراق وكان عمر بن الخطاب يعده بالف رجل ، وقد أمر سعد قبيل معركة القادسية (١٥ هـ) بان يستشيره ، قيل ان عمره وقت القادسية مائة وعشرة سنين ومات بعد معركة نهاوند في قرية (روزه) • شعر الفتوح الاسلامية ص ١٣٥ (النعمان عبد المتعال القاضي) •

من كبار المسلمين شربوا خمرا ، وسئلوا فأجابوا : « اننا خيرنا فاخترنا » قال « هل أنتم منتهون ؟ » ولم يعزم ٠٠٠

وكأن أبا عبيدة تحرج من عقاب هؤلاء الاكابر فرفع الامر الى الخليفة يستفتيه في أمرهم وأفتاه عمر رضي الله عنة وتبارك عنه : أن يدعوهم على رؤوس الاشهاد ويسألهم سؤالا لا يزيد عليه ولا ينقص منه : « أحلال أم حرام » فان قالوا حرام فليجلدهم وان قالوا حلال فليضربْ أعناقهم ٠

وسألهم أبو عبيدة فقالوا : بل حرام فجلدوا وتابوا(١) ٠

ويروي التاريخ من أقضية عمر رضي الله عنه على لسان الليث ابن سعد هذه القضية التي تبين لنا أن عمر كان دائم السعي وراء المجرمين لاقامة الحد عليهم ، وكان لا ييأس في طلب ذلك مهما طال الزمن ، كما تدل على فطنته وذكائه ٠٠

جيء له يوما بفتى أمرد مقتول ، وجد قتيلا على وجه الطريق ، فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبر ، فشق ذلك عليه ٠٠ فقال ٠٠٠ اللهم أظفرني بقاتله « حتى اذا كان على رأس الحول (العام) وجد صبي مولود ملقى بموضع القتيل فأتى به عمر فقال : ظفرت بدم القتيل ان شاء الله تعالى ، فدفع الصبي الى امرأة وقال : قومي بشأنه وخذي منا نفقته وانظري من يأخذه منك ، فاذا وجدت امرأة تقبله وتضمه الى صدرها فاعلميني بمكانها ٠ فلما شب الصبي جاءت جارية فقالت للمرأة ان سيدتي بعثتني اليك لتبعثي بالصبي لتراه وترده اليك ٠ قالت نعم ٠٠ اذهبي به اليها وأنا معك فذهبت بالصبي والمرأة معه حتى دخلت على سيدتها ، فلما رأته أخذته وقبلته وضمته اليها فاذا هي ابنة شيخ من الانصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت المرأة عمر فأخبرته ٠

فاستل سيفه ثم أقبل الى منزل المرأة فوجد أباها متكئا على باب داره فقال له : يا فلان ما فعلت ابنتك فلانة ؟ قال : جزاها الله خيرا يا أمير المؤمنين هي من أعرف الناس بحق الله وحق أبيها مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها ٠٠ فقال عمر : قد أحببت أن أدخل اليها فأزيدها رغبة في الخير واحثها عليه ، فدخل

(١) عبقرية عمر ٦٨ ٠

أبوها ودخل عمر معه ، فأمر من عندها فخرج وبقي هو والمرأة في البيت فكشف عمر عن السيف وقال : أصدقيني والا ضربت عنقك ، وكان لا يكذب ٠٠ فقالت : على رسلك فوالله لاصدقن أن عجوزا كانت تدخل علي فاتخذها أما ، وكانت تقوم من أمري بما تقوم به الوالدة وكنت لها بمنزلة البنت حتى مضى لذلك حين ـ ثم انها قالت لي ـ يا بنيتي أنه قد عرض لي سفر ولي ابنة في موضع أتخوف عليها فيه أن تضيع وقد أحببت أن أضمها اليك حتى أرجع من سفري ٠٠ فعمدت الى ابن لها شاب أمرد فهيأته كهيئة الجارية وأتتني به ، لا أشك أنه جارية فكان يرى مني ما ترى الجارية من الجارية حتى أغتفلتني يوما وأنا نائمة فما شعرت حتى علاني وخالطني فمددت يدي الى شفرة كانت الى جنبي فقتلته ثم أمرت به فالقي حيث رأيت ، فاشتملت منه هذا الصبي فلما وضعته ألقيته موضع أبيه ، فهذا والله خبرهما على ما أعلمك » ٠

فقال عمر : صدقت ثم أوصاها ودعا لها وخرج وقال لابيها : نعمت الابنة ابنتك ثم انصرف(١) ٠

هذه واقعة ساقها بعض الكاتبين على أنها من قضايا عمر وقد ذكرناها وان لم يكن فيها في تقديرنا قضاء بالمعنى المحدود للقضاء ٠٠ ولكنها تكشف عن مظهر من مظاهر عبقرية عمر وحرصه على اظهار الحقائق ٠

ولقد بلغ من شدة حرصه على تفقد شؤون المسلمين واطمئنانه على اقامة العدل بينهم ٠ أنه ورد أن يزور أمصار الدولة وولاياتها يتفقد شؤونها ويرى تصرف عماله وقضاته فيها ٠ روى عنه بعد فتح مصر أنه قال « لئن عشت ان شاء الله لاسيرن في الرعية حولا كاملا ، فاني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني ، أما عمالهم فلا يرفعونها الي فأما هم فلا يصلون الي، فأسير الى الشام فاقيم به شهرين، ثم أسير الى الجزيرة (بين النهرين) فاقيم بها شهرين ، ثم أسير الى الكوفة فاقيم بها شهرين ، ثم أسير الى البصرة فاقيم بها شهرين ، والله لنعم الحول هذا »(٢) لكن الاجل لم يطل به ليتم ما أراده ٠

---

(١) من بحث عن القضاء في الاسلام ـ لم ينشر ـ لصديقنا الفاضل الشيخ طه العربي الاستاذ بكلية الشريعة ، بالجامعة الازهرية ٠

(٢) الفاروق عمر جـ ٢/٢١٧ ٠

لقد كان رضي الله عنه يرى نفسه مسؤولا أمام ضميره وأمام الله عن اقامة العدل في كل مكان ·· كان يرى أنه اذا ظلم عامل له رجلا من الرعية فكأنما هو الذي ظلمه ·· قال يوما لمن حوله :

« أرأيتم اذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل ، أكنت قضيت الذي علي ؟ قالوا : نعم ؟ قال : لا حتى أنظر في عمله بما أمرتم به أم لا (١) ·

وكان سروره يفوق الحد عندما كان يعلم أن قضاته وعماله يقيمون العدل في ولاياتهم ويتفانون في خدمة أهلها ·

روى التاريخ أنه كتب الى عمير بن سعد ـ واليه على حمص ـ يقول لـه « أقبل بما جبيت من فيىء المسلمين » ·

وأقبل عمير ولم يكن معه من الفيىء شيء فسأله عمر عما صنع فقال : « بعثتني حتى أتيت البلد ، فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيئهم حتى اذا جمعوه وضعته في مواضعه ، ولو نالك منه شيء لاتيتك به » ·

فقال عمر : « فما جئتنا بشيء » ·

فقال عمير : لا لانني أنفقت الفيىء كله على أهل حمص ·

واغتبط عمر وقال : « جددوا لعمير عهدا » ·

وعمير هذا هو الذي قال وهو على منبر حمص : « لا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان وليست شدة السلطان قتلا بالسيف أو ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل » ·

ووصل الخبر الى عمر فقال : « وددت لو أن لي رجلا مثل عمير بن سعد أستعين به على أعمال المسلمين »(١) ·

وكان يميز عمر في عدله أنه كان يتريث في اقامة الحد حتى ليؤثر ـ كما قال ـ تعطيلها في الشبهات على أن يقيمها في الشبهات ·

مر يوما بقوم يتبعون رجلا قد أخذ في ريبة فقال : « لا مرحبا بهذه الوجوه

---

(١) عبقرية عمر ص ٣١ ·

(٢) عبقرية عمر ص ٣١ و ٣٢ ·

التي لا ترى الا في الشر » ٠

كما كان يميزه في عدله أيضا أنه كان لا يجوز في حكمه ـ جيء له بشاب سكران وأراد أن يشتد عليه فقال له : « لابعثنك الى رجل لا تأخذه فيك هوادة » فبعث به الى مطيع بن الاسود العبدي ليقيم عليه الحد في غد ، ثم حضره وهو يضربه ضربا شديدا فصاح به عمر : « قتلت الرجل كم ضربته » قال : ستين ٠ قال : « اقص عنه بعشرين أي ارفع عنه عشرين ضربة من أجل شدتك عليه في ضرباتك »

وكان يثيره حكم القاضي والوالي الجائر ويندفع يوجه اليه أعنف اللوم وأشد التهديد كما فعل مع أبي موسى الاشعري حين جلد شابا وحلق شهره وصبغ وجهه باللون الاسود وأمر الناس الا يخالطوه ولا يؤاكلوه ٠ وتظلم الشاكي الى عمر فأعطاه مائتي درهم وكتب الى أبي موسى يقول : « لئن عدت ـ الى مثل هذا الحكم ـ لاسودن وجهك ، ولاطوفن بك الناس » وأمره أن يدعو المسلمين الى مجالسة المجلود ومؤاكلته وأن يمهله ليتوب ويقبل شهادته إن تاب(١) ٠

أرأيت كيف كان عدل عمر القضائي ، وكيف سوى عدله بين أبنائه وبين سائر المسلمين ، فبلغ بذلك مبلغ البطولة في هذه الصفة النادرة بين الحكام التي تملأ النفس بالرغبة في التحدث بها ، فهي لا تكفي المبالغين حتى يجعلوا عمر مقيما للحد على ابنه مشتدا في عقوبته وزاجرا لقضاته الجائرين ٠٠

عبد العزيز حافظ دنيا

---

(١) المرجع السابق والصفحة ٠



عمر ... الثورة وزعامة اليسار الاسلامي

بقلم : حسنين كروم

... في هذه المقالة سنحاول الاجابة عن سؤال .... هو ..

هل يعتبر عمر ممثلا للوسط ، أم ممثلا لليسار الاسلامي ؟.

... وقد يرى البعض أننا نسرف كثيرا في استخدام كلمات اليمين والوسط واليسار ومحاولة تطبيق ما تعلمناه من أساليب ومناهج التحليل الاجتماعي ، أو الطبقي للاحداث التاريخية ، على مراحل أو أحداث تاريخية قديمة ومحاولة تطويعها بشكل قسري لتتلاءم مع وجهات نظر شخصية بحتة مما يعتبر ضربا من ضروب الديماغوجية أو التهريج الايديولوجي .. كما أن آخرين قد يرون أن استخدام كلمات يمين ويسار في موضوع يختص بالتاريخ الاسلامي ليس الا محاولة من هذه المحاولات الخبيثة التي تستهدف تشويه التاريخ وتفسيره ليخدم اغراضا معادية للاسلام . لانهم يرون في ذلك بدعة استحدثها الاجانب وما لبثنا أن حاولنا تقليدهم فيها .... هم يرون أن الاحداث التاريخية وقعت لان الله أراد لها أن تقع ، ولان القدر تدخل أو لان الحاكم أراد . أو لان الناس اختلفوا بعد أن وسوس لهم الشيطان أو من لهم مصلحة في اثارة الفرقة والفتنة ... الخ ...

.... برغم ذلك فنحن نعتقد أنه ليس من الخطأ والخطورة استخدام تعبير يمين ويسار ووسط على هذه الفترة القديمة من تاريخنا ، أو لتقييم شخصية تاريخية والبحث وراء الدوافع الاجتماعية التي جعلتها تتصرف بكيفية معينة .. وتعبير اليسار الذي نستخدمه هنا نقصد به التيار الذي يعمل على

« رفع الجور (١) عن الفقراء والمستضعفين والمساواة بين أبناء المجتمع الواحد في الحقوق والواجبات » ٠

لان الاحداث التاريخية لا تقع مصادفة وكيفما اتفق وانما هي وليدة صراع طبقات ٠٠ وتصادم قوى اجتماعية بشكل أساسي ٠ بالاضافة الى تأثير عدد من العناصر الاخرى ٠٠ وبطبيعة الحال فالتاريخ الاسلامي ينطبق عليه ما ينطبق على تاريخ سائر الامم والشعوب ٠٠٠٠٠ هذا من جهة ٠٠٠

ومن جهة ثانية فان عمر ٠٠ هذه الشخصية الاسطورية تستحق منا حتى المغامرة النظرية لنحاول تسليط الاضواء عليها من زوايا جديدة ٠٠ قد تخطىء فيها ، ولكن تبقى شخصية هذا الحاكم العظيم تحتاج دائما الى محاولات متعددة ـ لسبر غورها ٠٠ أن عمر ليس بالشخصية العادية في تاريخنا ٠ ولم يكن حاكما كأي حاكم من طابور طويل لا ينتهي من الحكام والامراء والملوك الذين حكموا من بعده ولم يكن عهده كأي عهد آخر ٠٠٠ ان عهد عمر يعتبر نقطة الضوء الباهرة وسط تاريخ حالك السواد والظلمة ٠٠ ونحن اذا ما سئلنا عن عدالة الاسلام ـ وانسانيته لا نجد عهدا أو حقبة في تاريخنا يحلو لنا أن نعود اليها وندلل على عدالة وانسانية الاسلام الا تلك الفترة التي حكم فيها عمر ٠٠٠ ولذا فان عمر وعهده يستحق منا أن نحاول حتى وان أخطأنا ٠٠٠

٠٠٠ هل يعتبر عمر ممثلا للوسط أم ممثلا لليسار ؟ ٠

هذا هو سؤالنا الذي طرحناه في البداية ٠ والذي سنحاول أن نجيب عليه ٠

المراحل الثلاثة للثورة

٠٠٠ حين نزل الاسلام كان بمثابة ثورة شاملة لأنه لم يدع الى استبدال عبادة الاوثان بعبادة الله والايمان بالتوحيد فقط ، كما أنه لم يقف عند حدود الدعوة الاخلاقية ٠٠ وانما دعى الاسلام اساسا الى علاقات اجتماعية جديدة بين الناس تتناقض مع العلاقات التي كانت سائدة بينهم ٠٠ وهي علاقات تستهدف أساسا مصالح الفقراء وتأمين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية في مواجهة سيطرة

---

(١) احمد عباس صالح ـ اليمين واليسار في الاسلام ص ٦ ٠

الاغنياء ··· القلة المتمكنة في الاوضاع الاقتصادية ·· ولم يحاول الاسلام أن يستخدم فقط الاقناع الاخلاقي للاغنياء ولاصحاب السيطرة الاقتصادية والمالية ليمدوا يد العون للفقراء وليأخذوا بأيديهم· ولم يعتمد على اثارة عنصر الشفقة والرحمة في قلوب القلة لتنصف الاكثرية من الفقراء والمعدمين ·· وانمـــان كان الاســلام صريحا وواضحا في اظهار حقوق الفقراء والمعدمين في أموال الاغنيـــاء ، وكان صريحا في الدعوة الى أخذ أموالهم وتوزيعها على الفقراء ولو بالقوة ·· أي انه لم يدع الى تحكيم الضمير الاخلاقي للاغنياء حتى يوزعوا أموالهم عـــلى الفقراء ·· وانما دعى أساسا الى تصفية كل مظهر من مظاهر الاستغلال · وكل شكل من أشكال التفاوت الاجتماعي والاقتصادي الذي يؤدي الى احـــداث فرق شاسع بين الناس ·· ووجود طبقات اجتماعية تستغل غيرها من الطبقات الاخرى وهذا ما يفسر لنا حركة الانضمام الجماعي من الفقراء والمستغلين الى الاسلام · كما أنه يفسر لنا كذلك السر في تلك المقاومة الشرسة التي أبداهـــا معظم التجار والاثريـــاء ·

··· والاسلام باعتباره ثورة ·· مر بمراحل متعددة ومتنوعة شأنه في ذلك شأن أي ثورة ··· ونستطيع أن نقسم المراحل التي مرت بها الثورة الاسلاميـــة الى ثلاثة مراحل رئيسية · كل مرحلة منها ذات طبيعة خاصة وذات ملامح مميزة·

١ ـ الاستيلاء على السلطة :

·· ان المرحلة الاولى التي مرت بها الثورة كانت مرحلة الاستيلاء عـــلى السلطة ولقد بدأت هذه المرحلة حينما شرع الرسول (صلعم) في الدعوة الى الدين الجديد ولقد شهدت هذه المرحلة تطورات كثيرة ـ من محاولة كسب الانصـــار والمؤمنين الى صف الدعوة وتجنيدهم للعمل على نشرها · والتعرض لعمليـــات الاضطهاد من جانب القوى المعادية في قريش · الى هجرة الرسول (صلعم) الى المدينة والدخول في حروب وضد قوى أخرى غير قريش · وكما لجأ الرسول الى العنف لجأ كذلك الى السلم والى عقد المعاهدات والتحالفـــات ·· وقد تكللت جهوده ـ بالنجاح حينما تمكن المسلمون من اسقـــاط القوى التي تناوئهـــم ·· وتمكنوا من الوصول الى السلطة ، ولم يعش الرسول كثيرا بعد فتح مكة وفرض سلطان المسلمين على الجزيرة العربية · اذ سرعان ما عاجلته الوفاة ·· وقـــد انتهت هذه المرحلة بوفاة الرسول ·

٢ ـ الثورة المضادة وتثبت الاقدام :

٠٠٠ وتبدأ المرحلة الثانية بتولي أبو بكر للحكم بعد وفاة الرسول ٠ وما كاد يتولى السلطة حتى بدأت القبائل ترفض الانصياع لسلطة المسلمين والتقيد بها ٠٠ بل ومحاولة الانقضاض عليهم ٠٠ وهي التحركات التي عرفت في التاريخ باسم حركات الردة ، وما يحلو لنا أن نسميها « الثورات المضادة » ٠٠ وقد شكلت هذه الثورات تهديدا خطيرا على الثورة ٠ اذ أنها كانت من القـــوة والانتشار بدرجة هددت فيها بتصفية الثورة الوليدة في بدايتها لولا الوقفة الشجاعة والصلبة لابي بكر ٠٠ وهكذا وجد المسلمون أنفسهم مرة ثانية مرغمين على خوض الحرب لتصفية الثورات المضادة بالعنف واعادة فرض سلطة الثورة مرة أخرى ٠ وتأمينها من الاخطار التي تتهددها وقد نجحوا في ذلك ٠٠ ولكنهم ما كادوا يفرغون من تثبيت أقدامهم في الجزيرة العربية حتى وجدوا أنفسهم مرغمين على مواجهـــة الاخطار التي تتهددهم من قبل الفرس والروم ٠ فبدأوا الخروج من حـــدودهم مهاجمين للعراق حيث سيطرة الفرس ومهاجمين للشام حيث الروم ، الا أن هذه الحرب لم تتخللها معارك حاسمة وانما كانت أقرب الى المناوشات أو مصادمات الحدود ٠٠ وقد توفي أبو بكر قبل وقوع أي عمـــل عسكري حاسم على أي من الجبهتين ٠٠ جبهة فارس ٠٠٠ وجبهة الروم ٠٠٠

وهكذا يمكننا القول بأن هذه المرحلة كانت قصيرة لم تستغرق الا عامـــين فقط هما فترة حكم أبو بكر ، وقد تميزت هذه الفترة بأنها كانت فترة عنف كامل ٠٠ في الداخل لسحق الثورات المضادة ٠ وفي الخارج لتأمين الثورة من أي خطـــر خارجي محتمل ٠ ولم تشهد هذه المرحلة أي عمل بارز في الداخل ٠ أي عـــلى صعيد التطبيق الاجتماعي لمبادىء الثورة لانها كانت مستغرقة بالكامل في الاعمال العسكرية ٠

٣ ـ النصر في الخارج وتطبيق الثورة :

٠٠٠ تبدأ المرحلة الثالثة من حياة الثورة بتولي عمر بن الخطاب للحكم خليفة للمسلمين وفي عهده تصاعدت العمليات العسكرية وتطورت من مجرد مناوشات الى غزو شامل ومعارك طاحنة وحاسمة على جبهة الفرس ٠ وجبهة الروم ، وقد نجح المسلمون في تصفية الامبراطورية الفارسية نهائيا وطردوا الروم من مصر والشام

واستولوا عليهما وقد وجد المسلمون أنفسهم أصحاب أمبراطورية متسعة الارجاء تحكم بلادا خصبة وغنية ·· ووجد حاكمهم نفسه أقوى حاكم في العالم ·· بل أصبح حاكم العالم الحقيقي ·· وأخذت الثروات تتدفق عليهم بسبب الفتوحات والغنائم ···

وحين هدأت العمليات العسكرية بدأت المشكلة الحقيقية ··· فالثـــورة أصبحت تواجه الآن تحديا من أخطر التحديـــات التي واجهتها ·· فالرسول « صلعم » قضى عمره كله يناضل حتى نجح في نقل السلطة للمسلمين · وأبـو بكر قضى مدة حكمه القصيرة في قمع الثورات المضادة في الداخل وتأمين الثـورة من العواصف التي هبت عليها ثم التحول الي محاولة تامينها من الاخطار الخارجية التي تتهددها ·· أما عمر فقد وجد نفسه دون أية أخطار لا في الداخـــل ولا في الخارج · ووجد نفسه حاكما علىأمبراطورية مذهلة الاتساع والغنى ·· وأصبح مطالبا الآن بأن يطبق الثورة ومبادئها فوق أرض الواقع · أن يحولها الى عمل يمس حياة الملايين الذين جاءت من أجلهم ··· وهذه مهمة صعبة لم تواجه من سبقوه بل هي أصعب وأخطر فترة في حياة أية ثورة ·

ان مسالة القفز على السلطة قد لاتكون التحدي الضخم بالنسبة لاي ثورة· كذلك فان مواجهة الخصوم سواء سلما أو بالعنف لا يعتبر كذلك تحديا خطيرا ·· لان الثورة تكون في مواجهة أعداء ظاهرين ·· ومواقعهم محددة وواضحة وبالتالي يمكن ضربهم وتصفيتهم بسهولة ·· وانما التحدي الحقيقي هو في عملية البناء·· في عملية تحويل مبادىء الثورة الي أعمال ·· وهذا هو التحدي الذي واجه عمر ·· وقد زاد هذا التحدي قوة كون عمر لم يرث نظاما مفصلا عن الرسول وعن أبي بكر بحيث يقوم بتطبيقه · وانما وجد نفسه في مواجهة ظروف وأوضاع جديدة تماما مغايرة للاوضاع التي حكم فيها الرسول « صلعم » وأبو بكر وبالاضافـــة الى ذلك فقد ظهر خطر جديد ، ألا وهو هذا الاتجـــاه الذي أبداه البعض نحو اعتبار أن الثورة قد انتهت حينما قضت على أعدائها ·· وبالتالي فمن حقهم أن ينعموا بخيراتها ·· ونحن نعلم أنه في كل ثورة يظهر تيار أو جماعات تعتقد أن نضالها ومهماتها تنتهي بالنجاح بمجرد الوصول الى السلطة وقهر الاعداء ·

وهؤلاء لا تمتد رؤيتهم لابعد من كراسي الحكم · ولهذا فهم يتحولون الى حكام جدد بدلا من الحكام السابقين ويعمدون الى التمتع بالامتيازات التي تتيحها لهم الاوضاع الجديدة · وتمنحهم اياها السلطة التي في أيديهم ·

٠٠٠٠ وبعكس هؤلاء ٠٠ فهناك من يرون أن الاستيلاء على السلطة وقهر الاعداء مرحلة سهلة ٠ بل أسهل مرحلة في حياة الثورة ٠ وان النضال الحقيقي والصعب يبدأ بوصول الثورة للسلطة ، لانه نضال ضد النفس وضد محاولات الانحراف بالثورة من قبل بعض الذين قاموا بها ولذا فهم يدعون لاستمرار الثورة واستمرار التضحيات حتى تتحول مبادىء الثورة الى واقع عملي ٠٠ وهذه ظاهرة نلمسها دائما في الثورات ذات الطابع الاجتماعي التي تستهدف بناء نظام جديدة٠ وليس استبدال حكام بآخرين غيرهم ٠

ولقد تعرضت الثورة الاسلامية لهذه المشكلة ، أي ظهور تيار انتهازي يرى أصحابه أن من حقهم أن ينعموا ، ويتمتعوا بالخيرات المتوافرة ٠ وبأن جهادهم السابق يخول لهم هذه المتعة ٠٠ وهذا الفريق كان ينظر الى الاسلام على أنه مجموعة من الفرائض والعبادات أكثر مما يرى فيه نظام اجتماعيا تتحقق في ظله العدالة الاجتماعية وقد تألف هذا الفريق من كبار التجار والاثرياء وعدد من الصحابة وكبار العسكريين٠٠ بينما برز تيار آخر يرىبأن الاسلام ثورة اجتماعية جاءت أساسا للفقراء لتحقق العدالة الاجتماعية ، ولهذا فان العمل يجب أن يتركز على ضرورة سيادة العدالة والوقوف أمام أي محاولات لاستغلال الثورة واستغلال الانتصارات المدوية ليحقق البعض من ورائها مكاسب ومغـــانم شخصية ٠٠ ان الاتجاه الاول هو ما نسمية بيمين الثورة ، وأما الاتجاه الثاني فهو ما نسميـــه بيسار الثورة ٠

ان التحديات التي واجهت عمر لم تكن بسيطة وانما كانت تحديات في غاية الصعوبة وكان عليه أن يحدد له موقفا أو اختيارا ٠٠ هل يكون ممثلا لليمين ؟

هل يكون ممثلا لليسار ؟

وقد اختار عمر أن ينحاز كلية نحو اليسار وبالتالي فقد أصبح زعيمـــا وقائدا لهذا اليسار لان الثورة الاسلامية لم تكن في حقيقتها وفي جوهرها الحقيقي الا ثورة يسارية ، أي ثورة فقراء ومعدمين تهدف الى محاربة الاستغلال وسيادة مبدأ العدالة الاقتصادية والاجتماعية بين البشر ، لان اليسار يعني دائما التقـدم ومحاربة أي أوضاع تمس بحقوق الاغلبية ٠ اقتصادية أو اجتماعية ٠٠٠

واختيار عمر الانحياز لليسار أو للفهم الحقيقي للاسلام القى عليه تبعات ومهام لا أول لها ولا آخر ، فقد أصبح عليه الآنبعد أن اصبح قائدا لثورة ذات

مضمون اجتماعي أن يكون نموذجا ثوريا كاملا ، وأن يوحد الثورة ومبادئها في شخصه وفي تصرفاته وسلوكه ·· وهكذا رأينا عمر برغم أنه أصبح حاكم العالم الاوحد والحقيقي الذي يحكم أمبراطورية مذهلة الاتساع ·· مذهلة الغنى ·· ويتمتع بسلطات لا تحدها أية قيود أو ضوابط قانونية ·· رأيناه في حياته الخاصة يعيش فقيرا بسيط الثياب ·· بسيط المأكل والمسكن ·· لا يتمتع بأية امتيازات تتيحها له السلطة ·· ومكانته كحاكم ·· ورأيناه في علاقاته بالناس أكثر ديمقراطية وأكثر تواضعا ، لم يتعال ولم يذهب بعقله أو تخل بتوازنه السلطات المطلقة التي يتمتع بها ·· وفي المقابل فقد رأيناه يتصرف بقسوة وحزم مع كبار القوم وكبار القادة وينزل بهم أشد العقاب من العزل والتشهير ومصادرة الاموال اذا ما أحس أو علم بأنهم ظلموا أحدا أو حاولوا استغلال نفوذهم للاثراء أو لخدمة أقاربهم وكان هذا السلوك من عمر راجعاً الى ادراكه لحقيقة أنه وهو رأس النظام ان تهاون في أمر من الامور وان جامل كبار المسؤولين وان اخذ لنفسه شيئا فان الثورة ستنتهي ·· وسوف تسرقها جماعات معينة ·· ووقتها لن تكون ثورة على الاطلاق ، وانما نظام آخر لا يختلف عن النظام السابق مع اختلاف الدين والعبادة فقط ، ولهذا فقد جعل من نفسه نموذجا يحتذى ·· وتوحد في شخصه المبدأ بالعمل حتى فني في الثورة وذاب فيها كلية وصارت عدالة عمر ونزاهته واستقامته وتواضعه مضرب الامثال ·· وعنوانا للثورة الجديدة ·· وهذا ما يفسر لنا الاسباب والدوافع التي جعلته يتصرف بهذه الطريقة المذهلة التي أثارت الجميع وحتى المستشرقين الذين لم يخفوا دهشتهم من سلوك هذا الحاكم الغريب ·· وتعددت وتنوعت الاجتهادات والاراء والتحليلات ·· بعضهم قال بأن شدته وعنفه مع الحكام والولاة والقادة وخضوعهم المطلق له انما يكمن في مميزاته الشخصية والجسمانية ·· فلقد كان عمر حاد المزاج عنيف الطبع ضخم الجسم قوي الصوت وهذا ما كان يؤدي الى القاء الرعب في قلب أي انسان وبعضهم قال بأن الدرة التي كان يمسكها في يده يضرب بها الحكام والولاة كانت سببا ·· وآخرون قالوا بأن المثالية الدينية التي كانت سائدة هي التي جعلت الجميع ينصاع لعمر دون أي تمرد منهم ·

وكل هذه التعليلات قد تكون من الاسباب التي مكنت لعمر أن يقبض بيد من حديد على زمام الامور ومن أن يفعل ما فعل دون أي معارضة ··· ولكننا نرى أنها لا يمكن بحال من الاحوال أن تشكل مبررا معقولا بالمرة ··

فكيف يمكن أن يفرض عمر على الصحابة أن يبقوا في المدينة لا يغادرونها ـ ضد رغباتهم الشخصية ـ ويقبلوا مرغمين ؟ وكيف يمكن له أن يعزل قادته الذين أحرزوا انتصارات هائلة وكانت لهم شعبية ضخمة وتحت أيديهم جيوش جرارة وامكانيات ضخمة . كيف يمكن أن يرسل لهم رسولا أعزل مع أمر بالعزل وبمصادرة أموالهم ومع ذلك يقبلون فورا تنفيذ الامر دون أن يفكروا بالتمرد أو بالقيام « بانقلاب عسكري » بلغة العصر ؟ وكيف يمكن لعمر أن يحضر قائدا من هؤلاء القادة وهو عمرو بن العاص ويأمر أحد المصريين بضرب ابنه علنا . بل ويطلب من المصري أن يضرب عمرو ذاته لولا أن المصري رفض ومع ذلك لم يجرؤ عمرو على أن يعترض ؟

... أي قوة خارقة وغير منظورة تلك التي تمكن عمر من أن يفعل ذلك ؟ ومن أن لا تجرؤ هذه الشخصيات التي اقتتلت فيما بعد على الحكم على أن تعترض ؟ من السذاجة أن نقول أنه بالعصى أو بحدة المزاج أو بضخامة الجسم أو بالصوت الجهوري أو بالمثالية الدينية ، من السذاجة أن نقول أن عمر بكل هذه الاسباب سيطر على الموقف وفرض الطاعة الكاملة .. وانما نرى أن القوة الاسطورية والساحقة التي كان عمر يمتلكها والتي مكنته من أن يفعل كل ما فعل هي أنه كان زعيما للتيار الذي يمثل الاغلبية الساحقة للمسلمين .. لتيار اليسار الاسلامي ، وكان نموذجا للثورة ورمزا لها ، حتى توحدت فيه الثورة ، ولقد كان بسلوكه المتعفف على كل مظهر من مظاهر الترف ومقاومته لان يستغل أحد من أقاربه السلطة أو قرابته له لان يثري ويحقق مكاسب شخصية .. كان ذلك السلوك ادانة مسبقة لاي انحراف من جانب اليمين .. ولو كان في سلوك عمر نقطة ضعف لنفذ منها اليمين وسيطر ولاحتوى عمر .. ولو أبدى عمر أي تهاون لما تجرأ على أن يفعل ما فعل ولكن لان سلوكه كان منسجما مع مبادئه فقد جعل الكل يرضخ ويقبل حتى لا يدين نفسه علنا ويكشف عن أهدافه ومصالحه الخاصة .. وهذه الطاعة من قيادات اليمين لم تكن وليدة اعجاب وايمان وانما كانت وليدة خوف ولهذا فقد كانوا يكنون لعمر كراهية مكبوتة بينما كان عمر «معبود الفقراء» ورجلهم والذي كانوا يرون فيه رمزا لثورتهم بكل مثالياتها ونبلها وسموها ، وكانوا يطمئنون اليه ويثقون في قيادته .. وهذا ما يسر لنا سر التحول الدرامي الذي حدث بعد وفاة عمر وفي عهد عثمان ... فقد قاد اليمين حركة ردة كاملة وقاسية عكست الكبت الذي كان يعانيه أيام حكم عمر .. وهو ما يفسر لنا كذلك سر المواجهة العنيفة التي واجه بها الناس عثمان ، فقد أحسوا

بمظاهر الردة وكان دليلهم ومنطقهم أن الحكام قد خرجوا عن خط عمر وعن سياسته مما يعتبر خروجا على ما نادى به الاسلام ، وصحيح أن هناك قيادات كثيرة من الصحابة حرضت الجماهير على الثورة وكان قسم من هذه القيادات يمثل اليمين وهم لم يحرضوا الناس الا ليستأثروا هم بالسلطة ٠٠٠ ولكن الشيء الذي يهمنا توضيحه أنه حتى العناصر اليمينية التي حرضت الجماهير على الثورة كانت تستغل مسألة الانحراف الذي حدث في الحكم عن الخط الذي كان يسير فيه الخليفة السابق وهذا هو الذي عبأ الناس للثورة وأثار القلق بين صفوفهم وهو أمر ان دل على شيء فهو يدل على مدى ما يمثله عمر بالنسبة للغالبية الساحقة من المسلمين ٠

وفي النهاية نلخص رأينا في الآتي :

٠٠٠ لقد كان النبي العظيم هو الذي فجر الثورة وقادها الى السلطة ، وكان أبو بكر هو الذي حمى الثورة من السقوط وتمكن من تصفية الثورات المضادة ٠ وبدأ العمل لمقاومة الاخطار الخارجية ٠٠ أما عمر فهو الذي قدر له أن يبني الثورة ويحولها من مجرد مبادىء الى تطبيق ٠٠ ولهذا فعمر يعتبر القائد الذي قاد مرحلة البناء ، واذا جاز لنا أن نستخدم تعبيرات عصرنا وحاولنا قياسا عليها الحكم على الاسلام فهو يعتبر يسارا حتى النهاية لان اليسار في أبسط مفاهيمه هو الدعوة الى تحقيق العدالة الاجتماعية والتقدم الاجتماعي للقاعدة العريضة من الناس ٠

ونحن لا نفهم الاسلام الا بأنه ضد الاستغلال الطبقي وضد سيطرة القلة من الاغنياء على الاقتصاد وعلى السلطة ٠ ولم يهاجم الاسلام فئة اجتماعية كما هاجم الاغنياء ولم يطالب بالحرية والمساواة الاجتماعية قدر مطالبته بهما بالنسبة للفقراء والمستضعفين ولهذا فلا يمكن أن تكون الثورة الاسلامية في جوهرها ثورة يسار ولا تكون قيادة هذه الثورة غير يسارية ٠ وانما من المنطقي أن تكون قيادتها التي أشرفت على بنائها ممثلة للاتجاه اليساري ٠

الوسط والانحياز نحو اليسار

يعتبر تفسير أحمد عباس صالح الذي حاول فيه توضيح الصراع بين اليمين واليسار الاسلامي من أهم التفسيرات التي ظهرت حتى الآن ٠٠ وأكثرها اثارة

وجدية ، وقد ضمن تفسيره فيكتاب « اليمين واليسار(١) في الاسلام » ٠٠ ونحن لن نتعرض هنا للكتاب ولمحتواه ٠ وانما يعنينا رأي الكاتب في عمر وتصنيفه له ٠٠ فقد ذكر الكاتب أن أبا بكر وعمر كانا ممثلي الوسط بينما كان علي بن أبي طالب زعيما للاتجاه اليساري ٠٠ وانتهى الكاتب الى رأي يوضح فيه أن عمر في أخريات أيامه بدأ يميل الى اليسار أي الى علي وحزبه ٠ وهذا الاتجاه نحو اليسار قد يكون السبب الذي دفع اليمين الى تدبير مقتل عمر ٠٠٠

يقول الكاتب ص ٥٩ عن تولية أبي بكر « وترحيب اليمين بهذه الخلافة والاسراع بتأييدها ليس له الا معنى واحد هو أن غالبية المسلمين كانوا مع الاتجاه اليساري الذي يمثله علي وأصحابه أعني أن جماهير المسلمين العريضة كانت مع هذا الاتجاه لان النبي نفسه كان زعيمه وواضع مبادئه الاساسية وأي اتجاه مضاد كان سيقابل بالعنف وكان سيقضى عليه في المهد ولذلك جاءت خلافة أبي بكر فرصة ليستجمع فيها اليمين قواه ويرتب للوثوب على الحكم بعد أن قضى النبي الذي لم يجرؤ أحد في حياته أن ينحرف بالدعوة الى اتجاه غير اتجاهها ولهذا وافق اليمين على البيعة لابي بكر بل رحب بها وعمل على نجاحها بينما عارض اليسار وعلى رأسه علي بن أبي طالب معارضة صريحة وجاءت الحوادث بعد ذلك لتؤجل هذا الصراع الى حين اذ سرعان ما ارتدت القبائل خارج مكة والمدينة عن الاسلام وكان على المسلمين بمختلف اتجاهاتهم أن يتجمعوا للقضاء على الفتنة وقمعها وهكذا استفاد الوسط الذي يمثله أبو بكر وعمر بن الخطاب من الظروف التاريخية المواتية التي جعلت أيلولة الحكم اليه ضرورة لا مفر منها»٠

ويقول في ص ٦٠ :

« وكما أن اليمين كان يخشى هذا اليسار فان الوسط كان يخشاه أيضا ولذلك حين حضرت الوفاة أبا بكر الصديق كان أهم ما حرص عليه هو أن تتم البيعة لعمر بن الخطاب وكانت وصايته للجميع وخاصة مجلس الشورى وهو أمر لم يفعله النبي عن عمد ليرسخ في الاذهان كمبدأ ٠ أن يكون للمسلمين وحدهم حق اختيار الرجل الذي يحكمهم ٠ »

٠٠٠ وفي ص ٦٢ يقول :

---

(١) اليمين واليسار في الاسلام – بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٠

« فهناك واقعة هامة لها دلالتها وهي أن سلمان الفارسي ـ من أنصار علي ـ كان عاملا على الكوفة في عهد عمر وأراد أن يسير في العراق سيرة تتفق واتجاهه الفكري اليساري فكون نقابات للصناع تحولت بعد ذلك في عهد الشيعة المتأخرين الى ماسونية سرية ليس هناك دليل على أن سلمان نفسه قد أرادها أو فكر فيها مجرد تفكير ، فالذي حدث والمصادر هنا غامضة أيضا ـ أنالتجار والاغنياء حاولوا استمالته اليهم فلم يوفقوا • ثم بدأوا يحاربونه حربا صريحة لا يعقل أن تحدث الا اذا كان هو من جانبه قد اتخذ من الاجراءات الادارية ما هدد مصالحهم فعلا ويبدو أنه لم يكن من السهل اسقاطه محليا وليس لهذا تفسير الا أنه كان يتمتع بشعبية واسعة في ولايته ، اذ أنهم ذهبوا الى مقر الخلافة في المدينة فقابلوا عمر ابن الخطاب ورفعوا اليه شكواهم وسردوا عليه الاجراءات التي اتخذوها والتي كان فيها اضرارا بمصالحهم وعلى الفور عزل عمر بن الخطاب سلمان من الكوفة ولم يوله منصبا رسميا بعد ذلك ، ومن المؤكد أن هذا العزل أثار جدلا عنيفا بين حزب اليسار وعمر بن الخطاب ، ولكن عمر لم يغير موقفه ولم يتخذ اليسار أي خطوة عنيفة ليلغي هذا العزل لانه ما كان يمكن أن يعتبر عزل عامل من العمال سببا في قيام ثورة تهدد الدولة الحديثة مهما تكن دلالة هذا العزل » ••• ونحن هنا سوف نناقش رأي الكاتب الذي ساقه ليدلل على وسطية عمر بن الخطاب ونحب أن نوضح أننا لسنا في مجال المفاضلة بين عمر وعلي •• وانما نحن نرى أن عمر لم يكن ممثلا للوسط كما قال الكاتب وانما كان زعيما للتيار اليساري وقد انتقلت زعامة اليسار الى علي بعد مقتل عمر •• وسوف نركز اعتراضاتنا على رأي المؤلف في عدة نقاط :

١ ـ رأي بدون أدلة :

حينما يقرر المؤلف أن عمر كان ممثلا للوسط • بينما كان علي ممثلا لليسار • فانه لم يدعم رأيه بالادلة الواقعية ••• وكان من الضروري أن يوضح القضايا والمواقف الاجتماعية التي اختلف فيها الاثنان والتي توضح أن عليا يقف على يسار عمر • وان عمر وقف فيها ضد اليسار لصالح الوسط واليمين • ان أي موقف لا يمكن الا أن يكون تعبيرا عن مصالح اقتصادية بشكل أساسي • ولا يذكر التاريخ على الاطلاق أن عمر قد اتخذ أي موقف فيه مصلحة لكبار التجار والاثرياء ، ولا يذكر التاريخ كذلك أي واقعة توضح أن عمر قد وقف ضد

مصلحة الفقراء والمعسين وهم القاعدة الجماهيرية لليسار ، على العكس من ذلك لقد كانت مواقفه الاساسية معادية لليمين • أي لكبار التجار والاغنياء • وتمثلت في عمليات المصادرة التي كان يقوم بها لاموالهم اذا ما أحس بشبهة استغلال نفوذ؛ كذلك فان عمر كان يقوم بعملية « تقليم أظافر » اليمين باستمرار خاصة من الناحية الاجتماعية • ولم يسمح لممثلي اليمين بأن تكون لهم أية امتيازات خاصة يتمتعون بها • ولم يكن غنى اليمين • وحتى المكانة القيادية لبعض أفراده مبررا لان يكونوا فوق الناس •• وانما رضخوا للقانون قبل غيرهم • وكان العقاب يوقع عليهم بشكل أكثر قسوة وعنفا •• ولم يستثنوا من العقاب ، ونحن نعلم أن من يملك القوة الاقتصادية يملك القانون أيضا • وأصحاب الجاه والسلطان يتمتعون باستمرار بأوضاع مميزة اجتماعيا • ان القانون ليس الا تعبيرا عن الاوضاع الاقتصادية ويعكس علاقات القوى في المجتمع ••• ولو كان لليميـــين أو للوسط السيطرة على السلطة لكان القانون مسخرا لخدمتهم • ولطبق على الفقــراء وحدهم •• أما هم فلهم قانونهم الخاص •• ولكن أن يعامل أغنى الاغنياء بمنتهى القسوة والعنف ان تجاوز أحدهم أو اعتدى على أفقر الفقراء فهــذا يعني أن السلطة السياسية في المجتمع ليست مسخرة لخدمتهم •• والحوادث كثيرة لا يمكن لنا أن نحصرها ونعددها كلها ••• ولعل أبرزها حادثة عمرو بن العاص وابنه مع الرجل المصري •• وحادثة جبلة بن الايهم •• والوسط كما هو معروف أقرب في تكوينه الاجتماعي والفكري الى اليمين • ولهذا فهو لا يعادي اليمين ولا يتعامل معه بحذر بعكس موقفه من اليسار ، فالملاحظ أن الوسط باستمرار يكون أكثر كراهية لليسار •• وهو ان ضرب اليمين ، أو تصدى له في بعض الاحيان أو حمل شعارات اجتماعية - فهو لا يفعل ذلك عن ايمان وانطلاقا من مواقف مبدئية وانما يفعل ذلك ليجهض أي حركة لليسار وحتى لا تتجمع عناصر السخط وتطيـــح باليمـــين •

ريثما يستطيع الالتفاف حول اليسار وتفتيته ثم لا يلبث أن يظهر عداءه الكامل نحو اليسار • أما تظاهر الوسط بمعاداة اليمين فليست الا حيلة للمحافظة على مواقع اليمين •• والوسط بذلك يكون أكثر عناصر اليمين ذكاء واعتدالا •• ان الوسط ليس الا تعبيرا عن الانتهازية ، ونحن لا نستطيع مطلقا أن نجد دليـــلا واحدا يعبر عن موقف انتهازي لعمر ولا عن أي موقف يمالىء فيه اليمين والوسط على حساب الفقراء ، ورفض أن ينفصل عنهم برغم كل المغريات • لا في حياته ـ ولا في سلوكه ولعل الحادثة الآتية تعطينا دلالات هامة ••

يروى أن عمر قام بتوزيع قماش على الناس وكان نصيبه مثل نصيب أي فرد عادي • وذات مرة كان يخطب في المسجد يدعو الناس الى الجهاد وهو يرتدي قميصا من القماش الذي وزعه على الناس • فقام رجل من الموجودين وقال له :

« لا سمعا لك ولا طاعة •• » •

فسأله عمر مستفسرا :

« ولما ذلك ؟ » •

فكان اعتراض الرجل في غاية الغرابة •• لقد لاحظ أن عمر طويل القامة ونصيبه من القماش لا يكفي لصنع قميص له • واذا ••• فانه قد أخذ أكثر مما أخذه باقي الناس •• أوضح له عمر أنه قد أخذ نصيب ابنه عبد الله وأكمل وصنع قميصا له •• هنا سحب الرجل اعتراضه •• ان حادثة كهذه تحمل دلالات عميقة •• واذا كان البعض لم ير فيها الا أنها دليل على الديمقراطية التي كانت سائدة وقتئذ •• فاننا نرى فيها دلالة أخرى غير الديمقراطية وهي أن هـذا الرجل الفقير لم يكن ليعترض على الخليفة لمجرد انه قد شك في أن يكون الخليفة قد أخذ لنفسه مترا أو مترين من القماش أكثر مما أخذ غيره • الا اذا كان قد اعتقد أن الخليفة ارتكب شيئا غير مألوف وخرج عن خط معين •• ولقد اعتقـد الرجل أن الخليفة بدأ ينفصل عن الفقراء ولهذا فهو لن يسمع له ولن يطيع •• ولقد كان عمر حريصا بدوره على أن يوضح أنه لم يخص نفسه بمتر أو بمترين من القماش أي لم ينفصل عن خطه الاجتماعي ولم ينسلخ عن القوى الاجتماعية التي يمثلها •••• ولم يكره اليمين انسانا قدر كراهيته لعمر ، ولم يخش انسانا قدر خشيته له • ولقد كان الود مفقودا بين الاثنين حتى قبل تولي عمر للخلافة • فمن المعروف أن عمر كان الرجل الثاني بعد أبي بكر أثناء حكم الاخير بل هناك من يرون أن الحاكم الفعلي لم يكن أبا بكر وانما كان عمر ، ولقد تدهـورت العلاقات بين عمر وبين الغالبية العظمى من قيادات اليمين • خاصة على اثـر حادثة معارضة عمر لحصول بعض كبار الصحابة والاثرياء على أراض كان أبو بكر قد أقطعها لهم وتمكن عمر من الغاء هذا الامر •

فقد أقطع أبو بكر بعض الاراضي الى الزبير ومجاعة ابن مراءة وطلحة بن عبيد الله وعيينه بن حصن الفزاري ولكن عمر عارض في ذلك • وقد تراجع أبو

بكر بناء على معارضة عمر ·· » وروى أبو عبيد « بأن أبا بكر(١) أقطع طلحة ابن عبيد الله أرضا · وكتب له كتابا وأشهد له ناسا فيهم عمر · قال فأتى طلحة عمر بالكتاب فقال أختم على هذا · فقال لا أختم · أهذا كله لك دون الناس · قال فرجع طلحة مغضبا الى أبي بكر فقال : والله ما أدري أنت الخليفة أم عمر · فقال : بل عمر · ولكنه أبى » ·

··· وقد استمر العداء بين عمر وبين الغالبية الساحقة من قيادات اليمين وحين مرض أبو بكر وأحس باقتراب أجله بدأ يستعد لاخذ البيعة لعمر ·· وبدأ يتشاور على نطاق محدود في ذلك ·· وما ان علم قادة اليمين بما يفعله أبو بكر حتى أصيبوا بالذعر الشديد لانهم لا يريدون عمر ، وبدأ اليمين يتحرك لاثناء أبي بكر عن أن يوصي لعمر بالخلافة ·· « وسمع بعض أصحاب(٢) النبي بمشاورات أبي بكر في استخلاف عمر فاشفقوا من غلظة ابن الخطاب وشدته أن يفرق ذلك كلمة المسلمين فاجتمع رأيهم على أن يهيبوا بالخليفة ليرجع عن عزمه · واستأذنوا فدخلوا عليه · فقال طلحة بن عبيد الله « ما أنت قائل لربك اذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه فكيف به اذا خلا بهم بعد لقائك ربك ؟ » وغضب أبو بكر لما سمع من ذلك وصاح بأهله : أجلسوني · فلما أجلسوه قال ولا يزال الغضب آخذا منه مأخذه :« بالله تخوفوني ؟؟ خاب من أمركم بظلم ! أقول : اللهم استخلفت على أهلك خير أهلك ! ثم اتجه لى طلحة فقال له : « أبلغ عني ما قلت لك من وراءك » ·

·· ولم يكن أمام اليمين فرصة للمقاومة واضطر للرضوخ على مضض ·· ولقد حاول اليمين مرة ثانية أن يغير من سلوك عمر بعد أن صار خليفة ·· « فقد اجتمع(٣) كل من علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وكان عبد الرحمن أجرأهم على عمر فقال لاخوانه : يا عبد الرحمن لو كلمت أمير المؤمنين للناس فانه يأتي الرجل طالبا الحاجة فتمنعه هيبته أن يكلمه حتى يرجع ولم يقض حاجته · ودخل عبد الرحمن على عمر فقال له : يا أمير المؤمنين لن للناس فانه يقدم القادم فتمنعه هيبتك أن يكلمك في حاجته حتى يرجع

---

(١) محمود المظفر ـ احياء الاراضي الموات ص ٣١١ ·

(٢) محمد حسين هيكل ـ الفاروق عمر ـ الجزء الاول ص ٨٩ ـ دار المعارف ـ الطبعة الخامسة ·

(٣) محمد حسين هيكل ـ الفاروق عمر ـ الجزء الثاني ص ٢١٨ ·

ولم يكلمك » قال عمر « يا عبد الرحمن أنشدك الله · أعلي وعثمان وطلحة والزبير وسعد أمروك بهذا قال ابن عوف : اللهم نعم ! فأردف عمر : « يا عبد الرحمن لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين ، ثم اشددت عليهم حتى خشيت الله في الشدة ، فأين المخرج · فخرج عبد الرحمن يبكي ويقول : أف لهم من بعدك! أف لهم من بعدك ! » ··· ولو نحن استثنينا عليا لكانت المجموعة التي طلبت بواسطة عبد الرحمن بن عوف من عمر أن يخفف من شدته ، ممثلة لليمين ·

·· قبل أن نترك هذه النقطة نحب أن نوضح ردا على المؤلف ، أن اليمين الذي رحب بخلافة أبي بكر باعتباره ممثلا للوسط ريثما يسترد أنفاسه كان من الاولى به أن يرحب كذلك بحكم عمر لانه استمرار لسياسة الوسط التي رحب بها اليمين ، ولكن أن يحاول اليمين منع تولي عمر للخلافة فليس لذلك الا تفسير وحيد هو احساس اليمين ـ وهو احساس صادق دائما ـ بأن الحاكم القادم يمثل شيئا آخر غير ما يمثلون ·· ولقد حدث بالفعل ما توقعه اليمين من عمر ····

٢ ـ الترويكا الاسلامية :

ـ ذكر المؤلف أن الرسول « صلعم » كان زعيم الاتجاه اليساري وواضع أسسه وهذا القول يدعم يسارية عمر ·· وليس وسطيته ·· لقد كانت العلاقة التي تربط عمر بالرسول من شأنها أن تجعل عمر تلميـــذا نجيبا ومخلصا أشد الاخلاص لنبيه · خصوصا وان عمر كان يتمتع بمنزلة هائلة لذكرى الرسول ·· ونحن لا ننسى دعوة الرسول الى الله أن يعز الاسلام بأحد العمرين عمر بن هشام وعمر بن الخطاب ·· ولا ننسى كذلك مدى فرحة الرسول يوم اسلام عمر ··· والحديث الشريف الذي يقول فيه النبي « جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه » يوضح لنا الى أي مدى كان الرسول يقدر عمر ومكانته وموقفه بالنسبة له ·· كذلك فنحن نعلم أن الوحي قد نزل مؤيدا لرأي عمر في عدد من المسائل ··· وبالنسبة لعمر ·· فلقد كان متعلقا بالرسول تعلقا غير عادي وميالا للتشبه به·· ولقد بلغ من حبه للرسول أن رفض في البداية أن يصدق بأن الرسول قد مات · وأخذ يصرخ في الناس مكذبا النبأ مهددا ومتوعدا كل من يقول به حتى أصبح يهذي ·· وهو حين تولى الخلافة نزل درجتين على المنبر ·· فحين مات الرسول وتولى أبو بكر الخلافة لم يجلس مكان الرسول على المنبر وانما نزل درجة تقديرا للراحل العظيم·· وأما عمر فقد نزل درجتين حتى لا يجلس مكان أبي بكر تقديرا للنبي وللخليفة الاول ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مدى احترام عمر للرسول وتقديسه له ·· وحتى حين أيقن عمر أنه ميت لا محالة بعد أن أصيب

بطعنات خنجر أبي لؤلؤة • كانت آخر وأعز أمانيه أن يدفن بجوار الرسول وأبي بكر • وقد تهلل بشرا حينما عرف أن السيدة عائشة قد وافقت على أن يدفن معهما •

اضافة لكل ذلك •• فلقد كان من المعروف للجميع أن أبا بكر وعمر هما من أقرب المستشارين الى النبي وكان من الواضح أن القيادة الفعلية ، وسلطة تكوين واتخاذ القرارات كانت منحصرة بينهم • حتي يمكن القول بأنه كانت هناك « قيادة ثلاثية » تتألف من الرسول « صلعم » وصاحبيه ، كانت هناك « ترويكا » تحكم •• ولا نعلم ان كان القدر وحده هو الذي أراد أن يضم في قبر واحد أفراد « الترويكا الاسلامية » صدفة أم أنها دليل ولو أنه دليل رومانسي على أن القيادة كانت فعلا محصورة بينهم •••

••• ان الذي نريد أن نخرج به من كل ذلك، هو أن عمر لا يمكن أن يكون منتميا أو معبرا عن تيار غير التيار الذي كان الرسول يمثله ، ولا نعلم ما هي الادلة التي جعلت المؤلف يقرر بأن الرسول يمثل اليسار بينما كان عمر ممثلا للوسط بل نحن لا نكتفي بأن نقول بأن عمر عبر عن نفس التيار اليساري الذي عبر عنه الرسول وانما وقف على يسار الرسول في بعض المواقف كما حدث مع المؤلفة قلوبهم وهم جماعة من العرب أظهروا الاسلام ، وكانوا سادةفي قومهم(١) فجعل الله لهم سهما في الصدقات وأمر النبي أن يعطيهم سهمهم تأليفا لقلوبهم وتثبيتا لايمانهم ، هؤلاء المؤلفة قلوبهم وقد نص القرآن على عطائهم في قوله تعالى : (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم) وكان الرسول يعطيهم من الفيء ومن الزكاة وأعطى أبا سفيان والاقرع بن حابس وعباس بن مرداس وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن • وكان يعطي الواحد منهم مائة من الابل ، فلما ولي أبو بكر الخلافة أعطاهم كما كان يعطيهم رسول الله ثم جاءه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس يطلبان أرضا فكتب لهما بها ، فلما ستخلف عمر ذهبا اليه يستوفيانما في كتاب أبي بكر • ولكن عمر مزق الكتاب وقال : ان الله أعز الاسلام وأغنى عنكم فان تبتم اليه والا فبيننا وبينكم السيف » ثم منع هذه الطائفة كلها ما كان لها من نصيب في الزكاة وجعلها كغيرها من المسلمين » •

---

(١) محمد حسين هيكل ــ الفاروق محمد ــ الجزء الثاني ص ٢٨٢ــ٢٨٣ •

ولا يستطيع أحد أن يزعم أن المؤلفة قلوبهم من الفقراء أي من اليسار ٠ وانما الثابت أنهم كانوا من اليمين ٠٠ ولقد اتخذ الرسول هذه الخطوة كتكتيك سياسي وجاء عمر ليمنع عنهم امتيازات يحصلون عليها حتى ان كان الرسول نفسه هو الذي أعطاهم اياها ٠ ولو كان عمر ممثلا للوسط لكان باستمرار يقف على يمين الرسول لا أن يقف على يساره ٠٠٠

٣ ـ عزل سلمان :

مرة ثالثة لا نعلم ما الذي جعل المؤلف يتخذ من حادثة عزل سلمان دليلا على أنها عمل معادي لليسار من جانب عمر ٠ ولقد حاول المؤلف أن يؤكد هذا الاستنتاج عن طريق ابراز تناقضات الموقف ٠

فهناك صراع بين التجار وبين سلمان والتجار ياتون الى عمر ٠ وعمر يعزل سلمان ٠٠ وهذه معناه أن عمر ينحاز الى جانب التجار ضد واحد من ممثلي اليسار ٠ وفي حقيقة الامر فنحن لا نعلم لماذا أسقط المؤلف كثيرا من الادلة التي لا تنسجم مع النتيجة التي انتهى اليها ٠ فأولا ـ عمر هو الذي عين سلمان الفارسي ٠٠ ولو كان عمر لا يحب اليسار ولا يقرب قيادته منه ولا يرغب في تقليدهم مناصب لكان من الاولى أن لا يعينه منذ البداية ٠

وثانيا ـ أن عمر عين فيما بعد عمار بن ياسر وهو من أبرز وأشهر رجال علي بن أبي طالب في منصب بالعراق ثم عاد فعزله ٠

ثالثا ـ أن عمر حينما ذهب الى الشام ليوقع صلح استلام القدس فانه اختار عليا ليحل محله في المدينة طول فترة غيابه ٠٠

واذا ٠٠ فعزل سلمان لا يمكن اتخاذه دليلا على وسطية عمر ونفوره من اليسار والا لما عين بعد ذلك عمار بن ياسر ٠ ولما اختار عليا ـ زعيم اليسار كما يقول المؤلف ـ ليحل محله ٠٠

والامر الثاني الذي أسقطه المؤلف هو أن عزل المغيرة بن شعبة وأبو موسى وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وهؤلاء لا يمكن القول بأنهم كانوا يمثلون اليسار ٠٠٠ وانما الثابت أنهم كانوا من أهل اليمين ٠

ان مسألة تعيين حاكم ـ أو عزل حاكم لا يمكن تفسيرها بمعزل عن السياسة العامة التي كان يتبعها عمر مع ولاته وهي سياسة كانت قائمة على اعتبارات محددة منها كفاءة الحاكم وعدله وعدم استغلاله لنفوذه - وعدم اتاحة الفرصة أمامه ليكون مركز قوة ، وغير ذلك من الاعتبارات الموضوعية ٠٠

كذلك فان عزل حاكم يساري لا يعني معاداة اليسار فهذا الحاكم قد لا يكون كفؤا ويساريته لا يمكن أن تكون حصانة له ضد العزل ٠ أو أن يكون عزله دليلا على وسطية أو يمينية الذي عزله ٠٠ والا لكان لينين يمثل الوسط أو اليمين أو متهما بمعاداة اليسار حينما هاجم طفولة اليسار ، ولا يمكن أن نقول أن ستالين كان يمثل الوسط أو كان معاديا لليسار حينمـــا اختلف مع تروتسكي ٠ ان وقوع خلافات بين اليساريين بل وحدوث عمليات وتصفيات فيما بينهم ليست دليلا كافيا على يمينية أو وسطية الذين قاموا بالعزل ، ودليلا على يسارية الذين تعرضوا للعزل ٠ لان العبرة بالنتيجة وبالتطبيق ٠٠ وعمر كما سبق لنا وأوضحنـــا لم يورد المؤلف حادثة واحدة تؤكد وسطيته أو أنه كان يقف على يمين علي وجماعته ٠٠ ونحن نلمس اصرارا من المؤلف منذ البداية عـــلى أن يضع عمر في الوسط بشكل قسري دونما أدلة ويخيل الي أنه افترض منذ البداية أنه ما دام علي ممثلا لليسار ، وما دام هناك يمين ، فمن الضروري أن يكون بين الاثنين وسط ٠ ولهذا فقد افترض أن عمر من أهل الوسط ، وأخذ يبحث عن أدلة ليبرر بها وضعه عمر في الوسط فلم يعثر على أدلة مقنعة ٠٠ ونعتقد أنه لو لم يفترض نظريا ، من البداية وسطية عمر لما اختلفنا معه ولكان قد وضع عمر من البداية زعيما لليسار الاسلامي ٠٠ لا أن يضعه في اليسار في نهاية حياته ٠٠٠٠

عمر والشــعر

بقلم الدكتور جوده عبد الله مصطفى

المذهبية والفن :

ان ظهورمذهب ما وسيطرته على مجتمع من المجتمعات أو أمة من الامم ، وأن الحكم مستندا الى نظرية شاملة تمتد بفروعها الى كل مناحي الحيـــاة ، ليصبغ الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والادبية ، بصبغة ذلك المذهب أو تلك النظرية المسيطرة الشاملة ، وذلك لانه ينظر الى كل شؤون الحياة من خلال منظار تلك النظرية وذلك المذهب ويحكم على أي نشاط بمدى التزامـــه بالمبادىء والاسس التي ينادي بها المذهب وتوضحها النظرية ٠

وقد تضيق النظرية فلا تتسع لالوان قد لا يظهر نفعها ، وقد تتسع دائرتها فتضم ما فيه كل الضرر أو بعضه ، وقد يضيق القائمون على أمر تنفيذها ، على أنفسهم وعلى الناس وعلى المبادىء نتيجة سوء الفهم ، أو ضيق الافق أو سوء النية ، أو رغبة في المغالاة أو تقيد بالحرفية ٠

وقد خضع الفن والادب أحيانا لحـــكم هذه النظريات ، وخضع كذلـــك لتقاليدها ومبادئها ، في حال انفساحها ، وفي حال ضيقها ، وكذلك في حال اتزان القوامين عليها ، وفي حال أنحرافهم ٠ فأصبح الفنان مسؤولا ومحاسبا ، وأصبـــح الفن ملتزما بقيم ومبادىء ، وبنظرة خاصة الى الحياة والى المجتمع ، وقد يتفق ويكون الفنان مؤمنا بتلك القيم ، ملتزما بتلك المبادىء ، وينظر الى الحياة تلك النظرة ، فيخرج فنه صادقا انعكاسا لما يؤمن ويعتقد ٠

وأحيانا يحدث العكس ، فيكون الفنان ضائقا بتلك القيم غير متمثل لهـا فيحاول أن يساير الظروف ويتظاهر بالايمان والحماس للمبادىء والقيم التـي تبعد عن قلبه في الواقع بعدا كبيرا ، ومن هنا يخرج فنه مصطنعا ، يصرخ ادعـاء وكذبا ، أو يكون صادقا مع نفسه فيصمت أو يحتال في التعبير ..

وفي أحيان أخرى يفرض نظام على أمة من الامم لا يستند الى نظرية تخدم الانسان ، وترعى مصلحته وتسدد مسيرته ، ولكنـه يستند الى القوة الغاشمـة ، والحكم الفردي ، والتسلط البغيض وفي هذه الحالة ، الفن الصادق يناهضـه ، ويدخل معه في صراع قد يكون سافرا ، وقد يتخذ طرقا ملتوية للتعبير ، ويلجـأ الى الرمز ، بينما يسير معه في ركبه المزيفون ، وأدعياء الفن والمتجرون به .

واذا كانت هناك نظرية أو عقيدة ــ ان شئنا الدقة ــ أمسكت بزمام أمـة لتقودها ، وفق مبادئها وقيمها ، مطبقة أحكامها على أفراد تلـك الامة نتيجـة الايمان الصادق بتلك المبادىء والقيم والاخلاص لها ، اذا كانت هناك عقيـدة جمعت بين الدنيا والدين وحكمت نتيجة الايمان والاخلاص ، ووجدت في هـذا الوجود حقا فلن تكون سوى الاسلام ، على ما أعتقد . فماذا كان موقف الاسلام من الشعر ، أوما هي نظرته اليه باعتباره صورة الفن التي كانت متمثلة حينما تمكن الاسلام من القلب والحكم .



الاسلام والشعر :

الاسلام دين ودولة ، وهو دين الفطرة السليمة السوية ، يقوم على أسس ومبادىء ، هدفها خير الانسان وهو بمبادئه القويمة الهادية وفضائـــله يساعد الانسان على أن يعيش في مجتمع فاضل متكافل حر كريم ، تسوده العزة والرفاهية والكرامة والحب والخير ، وهو يحبذ كل ما يساعد على تحقيق هذا الهـــدف ، ويحارب كل ما يهدد هذا البناء الاجتماعي الانساني الفاضل ، ولا يمكن أن يقف الاسلام ــ وهو دين الفطرة ــ في وجه الشعر ، ومقدرة التعبير الجميـــل لدى الانسان ، اذ الشعر لون من التعبير الفني الذي لازم الانسان في مراحل تطوره ، فهو نشاط انساني ، لا يوأد ويقتل أو يجهض أو يكبت ولكن يقوم ويسدد ويوجه، ولما كان الانسان مزودا بمجموعة من الغرائز والدوافع التي تساعد على حفظ

النوع الانساني ، ولما كانت هذه الغرائز وتلك الدوافع معرضـــة للانحراف ، وبالتالي انحراف الانسان عن طبعه السوي ، وانحراف ما يصدر عنه من سلوك او تعبير ، لا يقف أثره عنده ، بل يتعداه الى غيره ـ كان لا بد للاسلام من أن يوجه ويهدي ويسدد الخطأ ٠

ولما كان الشعر فنا تعبيريا جميلا مؤثرا ، له دوره في الاقناع وفي الاقبـال على الشيء عن طريق التصوير المؤثر ، ولما كان له دوره الذي لا ينكر في تعبئة المشاعر وتحميس النفوس ، واثارة العواطف وبالتالي تحريك الافراد والمجتمعات، ما كان للاسلام أن يتجاهله أو أن يغفل دوره ، بـل يوجهـه ويرسم لـه الطريق السليم ، القويم الواضح ، مع التسليم بحاجة الانسان الى التعبير عما في نفسه والتسليم بطبيعة الانسان الذي يحاول أن يوازن بين حقه ، باعتباره فردا حرا ، وبين واجبه ، باعتباره جزءا من جماعة لها أعباؤها ومسؤولياتها ٠

ومن هنا وجدنا الاســـلام يحارب الشعر المنحرف ، والذي يساعد عـلى الانحراف ويشيع الفساد ، ويعبر عن الطبائع غير السوية ، ويدغدغ الشهوات ، والشعر الذي يصد عن الحق والخير والشرف ، وكذلك الذي يقطع الاوصـــال والارحام ، ويفتت المجتمع المتماسك المؤمن ويريد للشعر بجانب ذلك أو قبل ذلك، أن يكون فنا كريما ملتزما بقضايا الانسان النبيل ، فنا بناء في خدمة الحق والخير والعدل والمبادىء السامية ، الشريفة والصادقة ، لا ممتهنا ولا وسيلة كسب أو متاجرة ، ويريد له أيضا أن يكون سلاحا في يد المؤمنين وأصحاب العقائد السامية ، ويدافعون به ، ويتقون كيد ألسنة الاعداء وطعان فصاحتهم ، ويريد للشاعر أن يكون حرا مسؤولا ، شريفا ومناضلا ، عضوا في مجتمع الفضلاء والكرماء ، ويريد له كذلك أن يكون مؤمنا صادقا يعيش ويفعل ما يقول ، بحيث تكون مسؤوليته نابعة من قلبه ومن ضميره ، وليست محض مجاراة باللسان والقلم ، والاسلام بجانب هذا الذي أراده للشعر وللشاعر ، من الالتزام بقضايا الحق والعـــدل والخير ، لم ينس العواطف الذاتية الخالصة ، والمشاعر الفردية الخاصة ، وضرورة التعبير عنها ، فالانسان كما هو ابن الجماعة يعبر عن مشاعرها ، ويدافع عـن كيانها وعقائدها هو ـ أيضا ـ ابن ذاته يعبر عن عواطفه ، ويتغنى بمشاعره ، بأفراحه وأحزانه بشرط ألا تكون تلك العواطف منحرفة تشيع الفساد والانحراف في المجتمع ، بل لا بد من أن تكون تعبيرا عن عواطف نبيلة ، في صورة جميـلة في غير خروج أو اسفاف ٠



عمر والشعر :

لقد تخرج عمر رضي الله عنه ، في مدرسة الاسلام ، وتتلمذ على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحاول أن يطبق عقيدة الاسلام ونظرية القرآن الكريم ، على الحياة أو يتابع التطبيق الذي بدأه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتابعه فيه الخليفة الاول أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ولقد عرفنا اجمالا نظرة الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم الى الشعر(١) ، فماذا كان من عمر وما هو دوره بالنسبة الى الشعر ؟ ذلك الفن الذي كان يمثل بالنسبة الى العرب ، الفن الوحيد ، أو الفن الذي يغني عن جميع الفنون ، فمنه ينحتون ، وبه يصورون وعلى أنغامه يرقصون ، وبها يطربون

ان عمر رضي الله عنه ، رغم تشربه مبادىء الاسلام الحنيف وبرغم تمسكه المتشدد بتعاليمه أو نقول : أنه بسبب كل ذلك كان يطبع كل شيء بطابعه ، ويترك عليه من شخصيته ، ولذلك تجد بصماته على كل شيء ، فهو مجتهد في داخل الاطار العام الذي رسمه الاسلام وحددته مبادئه ومع ما يتفق وروح الاسلام ، ويحقق غايته ، ولا يختلف مع شعائره وشرائعه ، ولقد كانت شخصيته واضحة ، واجتهاداته مستمرة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ومع وجود الوحي ، وكذلك في حياة أبي بكر رضي الله عنه ولقد كان عمر وزيره الاول ومستشاره المقرب ، فكيف تصرف عمر في حدود الاطار العام ؟؟ وماذا كان منه بالنسبة الى الشعر ؟

هل قال عمر الشعر :

من النادر أن نجد عربيا ـ قبل أن يختلط العرب بالاعاجم ويمتزجوا بهم ـ لم يقل الشعر أو لم يرد عنه أنه قاله ، مع التحقيق أو مع الظن والشك والاختلاف في الرواية ، وذلك لان الشعر كان حياتهم ، ومحك مقدرتهم وثقافتهم، ووعاء علمهم وأنسابهم ، وأخبارهم يقول عمر رضي الله عنه : « الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه »(٢) ·

---

(١) من أراد المزيد فعليه بكتاب (محمد : نظرية عصرية جديدة) بحث محمد والشعر للكاتب ·

(٢) العمدة : ١/١٤ ·

ولقد اسند الى أبي بكر رضي الله عنه قول الشعر ، فقد قالوا : أنـه القـائل(١) :

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث	أرقت أوامر في العشيرة حـادث
ترى من لؤي فرقـة لا يصدهـا	عن الكفر تذكير ولا بعث بـاعث
رسول أتاهم صـادق فتكذبـوا	عليه وقـالوا لست فينـا بماكث
فكم قـد متتنا فيهـم بقرابـة	وترك التقى شيء لهـم غير كارث
فان يرجعوا عن كفرهم وعقوقهـم	فما طيبات الحـل مثل الخبائث
وأن يركبوا طغيانهم وضلالهـم	فليس عـذاب الله عنهـم بلابـث
ونحن أناس من ذؤابـة غـالب	لنا العز منها في الفـروع الاثائث

وتسير القصيدة على هذا المنوال . وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر أن تكون هذه القصيدة لابي بكر رضي الله عنه ، كما يقول ابن هشام (السيرة النبوية : ٢/٢٤٢) .

وكما أسند الى أبي بكر قول الشعر أسند أيضا الى عمر ، فقد روي عن أبي خالد الغساني قال : حدثني مشيخة من أهل الشام أدركوا عمر قالوا : لما استخلف عمر صعد المنبر ، فلما رأى الناس أسفل منه حمد الله ، ثم كان أول كلام تكلم به ، بعد الثناء على الله ورسوله :

هـون عليـك فـان الامـور	بكـف الالـه مقاديرهـا
فليس بآتيـك منهيهـا	ولا قـاصر عنـك مأمورها(٢)

وقد روى هذان البيتان للاعور الشني(٣) أيضا وقد يكونان له حقيقـة وتمثل بهما عمر رضي الله عنه .

ومن شعره أيضا ـ وقد روي لورقة بن نوفل ـ أبيات قالها وقد لبس بردا جديدا فنظر الناس اليه(٤) :

---

(١) العمدة : ١/١٩ .
(٢) اخبار عمر ص ٣١٠ .
(٣) العمـدة ١/٢٠ .
(٤) المصدر نفسه .

لا شيء ممـــا ترى تبقى بشاشته ... يبقى الالـه ويفنى المـال والولد
لم تغن عن هرمز يومـا خزائنـه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمـان اذ تجري الريـاح له ... والجن والانس فيمـا بينها تـرد
حوض هنالك مورود بلا كـذب ... لا بـد من وروده يومـا كما وردوا

وقد نسبت ثلاثة الابيات الاولى الى ورقة ابن نوفل ضمن سبعة أبيـات وذلك في الاغاني (٣/١٢١) ويحتمل أيضا أن عمر رضي الله عنه تمثل بأبيـات ورقة واختار منها ما يتناسب مع المناسبة ٠

وروى ـ أيضا ـ قوله رضي رضي الله عنه ، لما توعده كعب الاحبار بالموت بعـد ثلاثة أيام(١) :

توعدني كعب ثلاثـا يعدهـا ... ولا شك أن القول ما قال لي كعب
وما بي خـوف الموت ؟ اني لميـت ... ولكن خوف الذنب يتبعه الذنب

وما يروى أن عمر سار معه الزبير بن العوام ، فلما مر بمحسر ضرب فيه راحلته حتى قطعه وهو يرتجز(٢) :

اليك تعـدو قلقـا وضينهـا ... مخالفا دين النصـارى دينهـا
معترضـا في بطنهـا جنينهـا ... قد ذهب الشحـم الذي يزينهـا

وليس هناك ما يمنع من أن يكون عمر قد قال هذا الشعر أو بعضه فهـو كثير الاستشهاد بالشعر والتمثل به ، ممـا يدل على سعة معرفته به ، وكثرة محفوظه منه ، وهو ـ أيضا ـ من كبار مثقفي العرب في عصره ، وكان الشعر أداة الثقافة ووسيلة المعرفة ، فهو من رواته ، ومن نقاده البصيرين به ، فمن الجائـز والمعتاد والطبعي أن يجري على لسانه ، في بعض المواقف ، البيتان او الابيـات من غير أن يتفرغ لذلك ، ولا أن يهتم له أو يحاوله عن طريق المعاناة أو النصب٠ والابيات التي جرت على لسانه من الطبعي أن تجري لانها تتفق وما يعتقد ، ولا تخالف طبيعته أو عقيدته ، وليس فيها ما يجرح أو يخدش أو ينتقص ، فهي جميعها ـ في مجملها ـ تتحدث عن أن الامر بيد الله ، وأن الدنيا فانية ، ولن يخلد فيها احد

---

(١) العمدة : ١/٢٠ ٠

(٢) اخبار عمر ص. ٣١٠ ٠

كما تتحدث عن خوفه بن الله ومن الذنوب ، ثم أنها لا تدل على شاعرية قوية ، بل هي تدل على أنه في محفوظه وروايته ونقده أشعر منه في شعره ٠

ولو كان الشعر أصبح طبيعة له ، وصدر عن موهبة تمكنت منه وتمكن منها ، لما طلب من حسان بن ثابت رضي الله عنه أن يرد على هند ، حينما ارتجزت تحرض المشركين وتذكر ما صنعت بحمزة ٠

أما ما روي عن عمران أو أحمد بن عمار العبدي ، من قوله : صليت مع عمر بن الخطاب الصبح ، فلما انفتل من صلاته ، اذا هو برجل قصير أعور متنكبا قوسا ، وبيده هراوة ، فقال : من هذا ؟ فقال : متمم بن نويرة ، فاستنشده قوله في أخيه فأنشده :

لعمري وما دهري بتأبين مالك ... ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفن المنهال تحت ثيابه ... فتى غير مبطان العشيات أروعا

حتى بلغ الى قوله :

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا.

فقال عمر : هذا والله التأبين ، رحم الله زيد بن الخطاب (وهو أخو عمر ، كان أسن منه ، وقد أسلم قبله ، واستشهد في حروب الردة باليمامة) ـ اني لأحسب أني لو كنت اقدر على أن أقول الشعر لبكيته كما بكيت أخاك ٠٠٠ قال ابن جعفر فقلت لابن أبي‌عون : أما كان عمر يقول الشعر ؟ فقال : لا ولا بيتا واحدا(١) ٠ وفي هذه الحالة تكون الابيات التي أسندت اليه في بعض الروايات اما كان يتمثل بها ، بدليل أنها رويت لغيره كما رأينا أو لم تتحقق نسبتها اليه ٠

وهذا الخبر نفسه في الاغاني ما عدا سؤال ابن جعفر لابن أبي عون ومع التغيير في العبارة الاخيرة ، اذ هي كما في الاغاني « هذا والله التأبين ، ولوددت أني أحسن الشعر فأرثي زيدا بمثل ما رثيت به أخاك(٢) ٠٠ » ـ نقول : أما هذا الذي روي ، وفيه دلالة صريحة على عدم قول عمر الشعر ، فهو خبر ، والخبر

---

(١) اخبار عمر ص ٤٧٨ نقلا عن الاصابة ٠

(٢) الاغاني : ١٥/٣٠٨ ٠

جاءنا مرة بلفظ أقدر كما في الاصابة ، ومرة أخرى بلفظ أحسن كما في الاغاني وسواء بهذا اللفظ أم بذاك فهو لا يقدر ولا يحسن أن يرثي أخاه بمثل ما رثى متمم أخاه به ، فهذا لا ينفي عنه أن يقول البيتين أو الابيات في حالة خاصة ، وهي لا تدخله في عداد الشعراء حتى لو صحت نسبتها اليه فلا نستطيع أن نقول ، بعد اثباتها له ، أنه شاعر • ولقد كان له ابن شاعر هو عاصم ، وبنت شاعرة هي حفصة وما أظن الا أنهما ورثا موهبة الشعر هذه منه ••



تقديره الشعر :

ان عمر رضي الله عنه ، يعرف للشعر قدره وقيمته ودوره وتأثيره في النفوس وترقيقه العواطف وشحذه الهمم ، ولهذا حث على رواية الشعر وحفظه ، يتضح ذلك في وصيته لابنه عبد الرحمن : « يا بني أنسب نفسك تصل رحمك ، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك ، فان من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه ، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقا ، ولم يقترف أدبا(١) » فهو هنا يقرن بين معرفة الانساب وحفظ محاسن الشعر ، وينبه الى الغاية من ذلك وهي صلة الرحم ، مترتبة على معرفة النسب ، وحسن الادب ، وتأدية الحقوق ، مترتبين على حفظ محاسن الشعر ، وهو في حثه على حفظ الشعر ، لم يطلقه ، وانما قيده بمحاسن الشعر ••

ويقرن مرة أخرى بين معرفة النسب ورواية الشعر فيقول : أرووا من الشعر أعفه ومن الحديث أحسنه ، ومن النسب ما تواصلون عليه وتعرفون به ، فرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت ، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الاخلاق ، وتنهي عن مساويها (٢) » •

وكتب الى أهل الشام : « علموا أولادكم الكتابة والسباحة والرمى والفروسية ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا ، وروّوهم ما سار من المثل وحسن من الشعر(٣) » وعمر رضي الله عنه هنا يقرن بين الكتابة أداة الثقافة والسباحة

---

(١) اخبار عمر ص ٣٠٨ •
(٢) اخبار عمر ص ٣٠٩ •
(٣) المصدر نفسه والكامل : ١/١٥٥ مع اختلاف في الرواية •

والرمي والفروسية وسائل القوة والخبرة بفنون القتال • والمثل والشعر وعاء الثقافة وطريق الوصول الى التهذيب وحسن الخلق ، ومن الواضح أنه يريد من الشاب أن يكون كامل الرجولية ، فارسا يجيد فنون القتال قادرا عليه خبيرا بوسائله مثقفا وعلى خلق كريم ، والملاحظ أنه لم يتحدث عن القرآن الكريم أو ما تأمر به العقيدة لان القرآن هو الاصل والاساس بدون حاجة الى تنبيه •

ويوضح رضي الله عنه ما يفيده الانسان من تعلم الشعر ، مما يعود على أخلاقه وعقله ومجتمعه ورحمه ، وذلك فيما كتبه الى أبي موسى الاشعري : « مر من قبلك بتعلم الشعر ، فانه يدل على معالي الاخلاق ، وصواب الراي ، ومعرفة الانساب »(١) •

ولكن ما هو نوع الشعر الذي حث على روايته وحفظه ؟ ما أظنــه شعر الشهوة المتحدث عن الغرائز ، أو شعر المديح الكاذب ، أو شعر الفجور والهجاء ، وذلك لانه نبه الى أن الشعر المقصود هو محاسن الشعر أو ما حسن من الشعر •• وقد يقول قائل : قد يراد بالحسن حسن التعبير ولكن الذي يحدد المراد الغاية التي نبه اليها أمير المؤمنين عمر ، والتي حث من أجلها ، وهي حسن الادب ومعالي الاخلاق ومكارمها ، مع النهي عن مساويها وكذلك تأدية الحقوق وبالتالي معرفة الواجب • ثم أنه يحدد نوع الشعر في احدى الاخبار التي سبقت فيقول « ارووا من الشعر أعفه » والعفة هنا تقتضي عدم الخروج على الادب وعدم الاتيان بما يخدش الحياء ، وتقتضي بالتالي البعد عن ألوان السب والذم وتناول الاعراض ، وكذلك البعد عن تجميل السيئات وتصوير الفواحش في صورة مثيرة بحيث تشيع الفساد ، وكل ما يخرج على العفــة من ألوان الشعر • ثم أن الشعر يدل على صواب الرأي لانه يثقف العقول ويوسع المدارك ، ويدل على معرفة الانساب بما يحويه من أخبار ، فهو اذن له دوره التهذيبي والتعليمي والاجتماعي ، فبمعرفة الانساب تكون الصـــلات ، وان يكتسب الانسان ذلك من شعر الغزل المكشوف الفاضح ، أو شعر الهجاء المقذع، وانما من شعر المفاخرة والمنافرة تعرف الانساب، بحيث يخلو من التعرض للاعراض • ومن شعر التجارب والوصف توسع المدارك وتهذب النفوس ومن كل ذلك يكتسب العلم ومن عرض الآراء ومن المحاجة يعرف صواب الرأي ، ومن حسن التصوير وتأثيره في النفوس يكتسب التهذيب والرقة

(١) المصدر نفسه والعمدة : ١/١٥ •

ومعرفة الواجب ، فالشعر يقوم بدور تهذيبي نفسي عملي ، عن طريق ترقيق العواطف ، والوقوف على الخبرات والحكم المبثوثة وبدور تعليمي عن طريق المعرفة وبدرر تثقيف العقول عن طريق الاحتكاك بالآراء وعقول الآخرين ٠

وما أظنه كذلك يقصد شعر الحكمة المجردة ، وشعر التهذيب القائم على الوعظ من غير رواء وتجارب تؤكده ، وذلك لسبب بسيط ، هو أن شعر الحكمة والتهذيب لم يكن يقصد لذاته ، في ذلك الوقت بل كانت الحكمة تأتي عفوا في ثنايا القصيدة وكذلك التهذيب ولذلك فهو يقصد التربية وليس تعليم التهذيب ، لترقيقه القلوب، وتطهيره النفوس ، ولسموه بالعواطف ، والا فان مبادىء الاسلام وتعاليمه خير معلم للتهذيب ومرشد للتربية السليمة ٠ ومما يدل على أن عمر رضي الله عنه لم يقصد شعر التهذيب والحكمة المجردة ، انه في استشهاده وتمثلـه كان يتمثل بأبيات بعيدة عن شعر الحكمة والتهذيب المعروفين ٠ ومن ذلك أنه ذكر له قول امرأة حكيمة من الاوس ، وقد سئلت : أي منظر أحسن ؟ فقالت : قصور بيض في حدائق خضر فأنشد رضي الله عنه عند ذلك بيت عدي بن زيد :

كدمى العاج في المحاريب أو كالبيض في الروض زهره مستنير(١) ٠

وكذلك رواه الاصمعي : بينا عمر في بعض أسفاره على ناقـة صعبـة قد أتعبته اذ جاءه رجل بناقة قد ريضت وذللت فركبها فمشت به مشيا حسنا فأنشد هذا البيت (٢) :

كأن راكبها غصن بمروحة ... اذا استمرت به أو شارب ثمل

ومثل هذا كثير ٠

نوع الشعر الذي يريده :

ان عمر رضي الله عنه كانت تتنازعه في الحكم على الشعر وفي الاعجاب به ، طبيعتان تتملكانه ، وهما طبيعة الفقيه صاحب العقل الكبير المتحكم والمنطقي ، وطبيعة العاطفي صاحب القلب الكبير والرقيق ، وصاحب الاحساس الزائـد

---

(١) الكامل : ٢/٤٨ ٠

(٢) اخبار عمر ص ٣٠٩ والاغاني ٩ : ٢٥٠ ٠

والمرهف-، وصاحب الذوق الفني المدرب ، ويحكمه من قبل ذلك ومع ذلك العقيدة التي اعتقدها ، وما تمليه عليه من تبعاتها ، وما تشده بمبادئها ويحكمه الايمان العميق الذي يحكم جميع تصرفاته ، ويتحكم في جميع نوازعه ولهذا نراه يصرف المديح عندما يسمعه الى الرسول صلى الله عليه وسلم وكأنه يرى أن الذي يستحق المديح ، والحقيق بصفات المدح لن يكون غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحينما سمع رجلا ينشد :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

قال رضي الله عنه : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) : وأنشد يوما قول زهير في هرم بن سنان يمدحه : ــ

دع ذا وعد القول في هرم خير الكهول وسيد الحضر
لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة البدر
ولأنت أوصل من سمعت به لشوابك الارحام والصهر
ولنعم حشو الدرع أنت اذا دعيت نزال ولج في الذعر
وأراك تفري ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفري
أثني عليك بما علمت وما أسلفت في النجدات من ذكر
والستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

فقال رضي الله عنه : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) وهو في موقف يكذب الحطيئة الشاعر في قوله :

وان جياد الخيل لا تستعزنا ولا جاعلات العاج فوق المعاصم

لان قوله هذا ــ رغم أنه شخصي ولا يعني الا نفسه ــ يناقض فعل الرسول الكريم ، ولهذا قال : لو ترك هذا أحد لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ يعني لو ترك أحد السباق بالخيل(٣) ٠

وفي رواية أخرى : سبق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على

---

(١) اخبار عمر ص ٣١٠
(٢) الاغاني : ١٠/٣٠٤ ٠
(٣) اخبار عمر ص ٣١٧ ٠

فرس فجثا على ركبتيه وقال : انه لبحر (أي واسع الجري) قال عمر : كذب الحطيئة حيث يقول :

وان جياد الخيل لا تستفزنـا ولا جاعلات الربط فوق المعاصم

لو ترك هذا أحد لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم (الاغاني ١٧٧/٢)
ولقد كان يخالف طبعه حبا في الرسول صلى الله عليه وسلم فقد سمع ينشد مغنيا·

وما حملت ناقة فوق رحلهـا أبر وأوفى ذمـة من محمـد(١)

وحينما أنشد سحيم عمر قوله :

عميرة ودع أن تجهزت غاديا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال عمر : لو قلت شعرك كله مثل هذا لاعطيتك ·· وفي رواية لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك(٢) ، وهو هنا يوضح الطريق الذي يجب أن يسير فيه الشعر ·

واذا اسمع بيتا يحث على الاباحية والتمتع بالدنيا واشباع الشهوة يقلب المعنى والمراد الى ما يتفق مع عقيدته ، وما تأمر به ، وكأنه يرد على ما يقال برفق ويدل على الطريق السوي في الشعر ، ونوع الشعر الذي يحتذى ، وما هو النوع الذي يرفض ؟ وذلك حينما أنشده رجل قول طرفة :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي

فقال عمر : « لولا أن أسير في سبيل الله ، واضع جبهتي لله وأجالس اقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب الثمر ، لم أبال أن أكون قد مت(٣)»
وبالطبع كان عمر يحفظ تلك القصيدة التي منها هذا البيت ، أو يعرفها ويعرف مراد طرفة الواضح في قوله :

---

(١) اخبار عمر ص ٢٣٩ ·

(٢) الاغاني ٣/٢٠ ·

(٣) اخبار عمر ص ٣٢٩ ·

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهم سبقي العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تُزبدِ
وكري اذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الخباء المعمد ٠

فالثلاث المقصودة عند طرفة هي : شرب الخمر ، وركوب الخيل ، واللهو مع امرأة جميلة ، فلفت عمر رضي الله عنه الرجل المستشهد ، الى ما نقلهم اليه الدين الجديد ، وغير الثلاث الى الجهاد ، والعمل من أجل الله ، والخضوع له ، ومجالسة الاتقياء الصالحين المثمرة ٠

ويتضح غلبة الجانب العقلي والمنطقي في استحسانه الشعر الذي يبدو فيه حسن التقسيم المنطقي من مثل قول زهير :

فان الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

فقد أخذ يتعجب حين سمعه ـ من علمه بالحقوق ، وتفصيله اياها ، ويقول: لا يخرج الحق من احدى ثلاث : اما يمين أو محاكمة أو حجة ، لو أدركت زهيرا لوليته القضاء لمعرفته بما تثبت به الحقوق(١) ٠

وكذلك أعجب بقول عبدة الطبيب :

والمرء ساع لامر ليس يدركه والعيش شح واشفاق وتأميل

وذلك للسبب نفسه ، فقد قال رضي الله عنه متعجبا : والعيش شح واشفاق وتأميل ، ما أحسن ما قسم(٢) ٠

وينشدونه قصيدة أبي قيس بن الاسلت التي على العين ، وهو ساكت فلما انتهى المنشد الى قوله :

الكيس والقوة خير من الاشفاق والفهة والهاع ٠

جعل عمر يردد البيت ويتعجب منه(٣) ٠ فعمر القاضي والحكيم والمنطقي

---

(١) اخبار عمر ص ٢١٩ ٠

(٢) البيان والتبيين ١/٢٠٤ واخبار عمر ص ٣٢٨ ٠

(٣) اخبار عمر ص ٣٢٨ ٠

يعجبه حسن التقسيم القائم على التجربـــة والمنبيء عن التفكير وقوة المنطـــق والاقنـــــاع ٠

★ ★ ★

ويتضح الجانب العاطفي والفني في استشهاده وتمثله رضي الله عنه فقـد استشهد ببيت عدي بن زيد العبادي :

كدمى العـــاج في المحاريب أو كالبيض في الروض زهره مستنير

وذلك حينما ذكر له أن أحسن منظر هو القصور البيض في الحدائق الخضر وأنشد حينما مشت به الناقة مشيا حسنا :

كأن راكبها غصن بمروحـــة اذا استمرت به أو شارب ثـــمل

كما سبق أن ذكرنا والبيتان فيهما حسن تصوير ، وجمال فني وحفظهمـا والاستشهاد بهما ينبيء عن الاعجاب بهما ، وعن حاسة فنية وذوق أدبي ٠

وتخبرنا الروايات أن عبد الرحمن بن عوف قال أتيت عمر بن الخطـاب رحمه الله فسمعته يغني الركبانية (أي يغني على طريقة الركبان وحداة القوافل):

وكيف ثوائي بالمدينة بعدما قضى وطرا منها جميل بن معمر

فلما استأذنت عليه قال لي : أسمعت ما قلت ؟ قلت نعم ، فقـــال انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس في بيوتهم(١) ٠ وهذا البيت يمثل احساسا نفسيا وفنيا ويدل على اتجاه نفسي وعاطفي خاص تزيده البساطة والفطرة جمالا ٠

ويتمثل بأبيات أخرى تجمع بين العقل والعاطفة أو بين الفكر والفـــن في اتزان ٠ وذلك كتمثله بهذا البيت :

كأنك لم تؤثر من الدهر مرة اذا أنت أدركت الذي أنت طالبه(٢)

---

(١) الكامل : ١/٢٦٧ ٠

(٢) اخبار عمر ص ٣١١ ٠

أو بذاك :

لا يغـــرنك عشـــاء ساكـــن ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ قـــد يوافي بالمنيات السحر(١)

وكذلك ما تمثل به :

لا تأخذوا عقلا من القوم انني ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ أرى الجرح يبقى والمعاقل تذهب(٢)

وهذه الابيات تجمع بينها الحكمة التي تربطها ، فهي أبيات سائرة تضم بين حواشيها حكمة مكثفة ، الا أنها حكمة نابعة من تجربة ، أخذت هيأتها في صـورة انية . وليست كالحكم الفكرية المجردة الثقيلة .

وهناك خبر يدل على كثرة محفوظه من الشعر ، وعلى حاسته الفنية المدربة وعلى دقة فهمه الادبي للشعر ، وحسن تذوقه وتمثله ، فقد أتى عمر بحلل من اليمن فأتاه محمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد ابن طلحة ومحمد بن حاطب ، فدخل عليه زيد بن ثابت فقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء المحمدون بالباب يطلبون الكسوة ، فقال : أئذن لهم يا غلام فدعا بحلـل فأخذ زيد أجودها وقال : هذه لمحمد بن حاطب وكانت أمه عنده ، وهو من بني لؤي فقال عمر : أيهات أيهات وتمثل بشعر عمارة بن الوليد :

أسرك لما صرع القـــوم نشوة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ خروجي منهـــا سالما غير غارم

بريئا كأني قبل لم أك منهـــم ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وليس الخداع مرتضى في التنادم

ردها ثم قال : ائتني بثوب فالقه على هذه الحلل وقال : أدخل يدك فخذ حلة وأنت لا تراها فاعطهم (٣) .

والبيتان قالهما في الاصل عمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقد خطب امـرأة من قومه فقالت : لا أتزوجك أو تترك الشراب فأبى ، ثم اشتد وجده بها ، فحلف لها ألا يشرب ، ثم مر بخمار عنده جماعة يشربون ، فدعوه فدخل عليهم ، وقد انفذوا ما عندهم فنحر لهم ناقته ، وسقاهم ببرديه ومكثوا أياما ، ثم خرج فأتى أهله فلما رأته امرأته قالت : ألم تحلف ألا تشرب ؟(٤) فقـال لها أبياتا منهـا

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٩ و ١٠ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه .

البيتان السابقان اللذان تمثل بهما أمير المؤمنين عمر ، والبيتان في الخمر وما تفعله من نشوة تصرع شاربها ، ثم خرج أحد الشاربين من تلك النشوة ، ومن القوم سالما ، من غير غرم ولا ظلم ، بريئا كأنه لم يك منهم . والخداع ليس مرتضى في التنادم بحيث يخرج أحدهم غانما . وعمر هنا يتمثل بالبيتين وهو يريد خروجه من الدنيا ، ومن الحكم ومسؤوليته سالما غير غارم ولا غانم ولا ظالم، من غير أن يخدع ولا يخدع ، والامارة كالنشوة تصرع صاحبها .

وحينما نراه يفضل أحد الشعراء كتفضيله النابغة الذبياني وزهيرا ، فلكون شعرهما فيه ما يرضي عقيدته أو عقله ومنطقه وما يرضي ذوقه وملكته الادبية وحاسة الجمال الفني عنده ، فهو مثلا يقول : يا معشر غطفان من الذي يقول :

الا سليمان اذ قال الاله له   قم في البرية فاحددها عن الفند
وخبر الجن أني قد أذنت لهم   يبنون تدمر بالصفاح والعمد

فيقولون : النابغة يا أمير المؤمنين(١) . ونتساءل : ما سر اعجابه بهذين البيتين ؟ ونجد السبب واضحا هو ــ والله أعلم ــ ذكر سليمان عليه السلام وتكليف الله بابلاغ الرسالة ومنع الناس عن الوقوع في الخطأ ، وتسخير الجن له ، ومثل هذا من شاعر جاهلي لا بد من أن يعجب ذلك الخليفة صاحب العقل الكبير والايمان العميق .

وأما الابيات التي أعجب بها وجعل النابغة من أجلها أشعر العرب فهي :ــ

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة   لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولست بمستبق أخا لا تلمه   على شعث أي الرجال المهذب؟(٢)

ويبدو أن سبب الاعجاب هنا ، قوله في البيت الاول : وليس وراء الله للمرء

---

(١) اخبار عمر ص ٣١٨ والاغاني ٤/١١ وما بعدها مع ملاحظة التفاوت في ذكر الابيات عددهما .

(٢) المصدر السابق .

مذهب .. ثم الحكمة في البيت الثالث ، التي تعجب منطقه ، وفي الوقت نفسه تعجب ذوقه الادبي وملكة تخيله . ويفضله مرة أخرى لحسن التصوير ، وذلك في قوله : ـ

خطاطيف حجن في حبال متينة ... تمد بها أيد اليك نوازع
فانك كالليل الذي هو مدركي ... وان خلت أن المنتأي عنك واسع(١)

واما اعجابه بقوله :

الى ابن محرق أعلمت نفسي ... وراحلتي وقد هـمدت العيون
فألفيت الامانة لم يخنها ... كذلك كان نوح لا يخون
أتيتك عاريا خلقا ثيابي ... على خوف تظن بي الظنون(٢)

فالسبب قد يكون ذكر نوح عليه السلام ، واشادته بالامانة وبمن لم يخنها لا أن اعجابه بالبيت الاخير تبدى بنوع خاص في خبر منفرد(٣) ، وهذا البيت بلا شك يمتاز بحسن التصوير وبتجسيم الحالة النفسية وابرازها بمقدرة بيانية رائعة .

ويعجبه أيضا قول زهير :

ولو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا ... ولكن حمد الناس ليس بمخلد(٤)

وذلك لانه يقرر أن حمد الناس ليس بمخلد ، وهو بهذا ينفي الخلود في الدنيا ويبين عدم جدوى العمل من أجل الناس ، فيجب أن يكون العمل من أجل الله .



واذن فعمر رضي الله عنه ، يريد الشعر أن يكون في خدمة العقيدة والاهداف النبيلة ، وأن يكون في خدمة الحق وخير المجتمع ويريد للشاعر أن يكون شريفا

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الاغاني ١١/٤ .
(٤) الاغاني ١٠/٢٨٩ .

كريما عزيزا مقدرا للمسؤولية ، ولهذا وقف في حزم ضد غرضين يحطان من قدر الشعر والشاعر وهما غرضا المديح والهجاء ..

فاما المديح فيعتبر حطا من قدر الشعر والشاعر اذا كان استجداء وأداة مسألة وذلك لان الاسلام الذي اعتنقه عمر ويدعو اليه ، يدعو بالفعل وبالقول الى كرامة الانسان وتكريمه بالعمل الشريف وبالترفع عن الدنايا . ولهذا حينما مدحه شيخ كبير في حاجة الى العطاء نبهه الى أن له حقا في الغنيمة فليطلبه ويترك المديح ، فقد اذن عمر يوما للناس فدخل شيخ كبير يعرج ، وهو يقود ناقة رجيعا مزيلة يجاذبها حتى وقف بين ظهراني الناس ثم قال :

وانك مسترع وانا رعيـــة   وانك مدعو بسيماك يا عمـر
لـذي يوم شرٍّ شره لشراره   وخـير لمن كانت مؤانسه الخير

فقال عمر : لا حول ولا قوة الا بالله ! من أنت ؟ قال : عمرو بن براقة . قال رضي الله عنه : ويحك ! فما منعك من أن تقول : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ... » ثم قرأها الى آخرها . وأمر ناقته فقبضت وحمله على غيرها وكساه وزوده(۱) ، وهو هنا قد أعطى ، لانه وجده في حاجة حقيقية الى العطاء ، لا لشعره ولذلك وضح له الطريق الى حقه في العطاء ، وهو حق واجب وعلى أولي الامر أن يؤدوه .

ويتضح موقفه من العطاء على الشعر أعظم الوضوح في الخبر التالي :« قدم رجل من الاعراب على عمر ، ومعه صبية له وأهله ، فقال يخاطبه :

يا عمر الخير جزيت الجنـــة   أكس بنيـــاتي وأمهنـــــه
أقسمت بالله لتفعلنـــه

فقال عمر : فان لم أفعل يكون ماذا ؟ قال :

اذن أبا حفص لاذهبنـــه

قال : فاذا ذهبت يكون ماذا ؟ قال :

يكون عن حـالتي لتسألنـه

---

(۱) اخبار عمر ٤٩٤ .

قال عمر : متى ؟ قال :

يـــوم الاعطيـــات جنـــه والواقف المسؤول بينهنـــه
اما الى نار واما الى جنه

فقال لغلامه : يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره(١) ٠

وكان رضي الله عنه يرى أن الذي يستحق المديح بحق ، هوَ الرسول صلى الله عليه وسلم فهو الجدير به ، وهو الذي يتصف بصفات المديح حقيقة ، وهو الذي لا يعثر اذا نوه به وبصفاته السامية بخلاف غيره ، ولذلك رأيناه يصرف مدح زهير هرم بن سنان الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما سبق أن ذكرنا ، منبها الى أن الذي يتصف بمثل تلك الصفات هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس غيره ، لان الشعر يقتضي المبالغة ، لاعتماده على الخيال ٠ والذي يتصف بصفات المديح حقيقة مهما بولغ فيها هو الرسول الكريم ٠ ثم أن عمر رضي الله عنه وجد زهيرا يصفه بأنه خير الكهول وسيد الحضر ، وبأنه المنور ليلة البدر ومثل هذا يجب ألا يوصف به الا الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

وكان عمر أيضا يرى أن الشاعر يستحق العطاء اذا قال شعرا يشيد فيه بالاسلام وبالعقيدة ، لانه بهذا لن يتزلف لاحد ولن يكون الشعر أداة مسألة ، ووسيلة كسب ، ولكن الشعر سيكون سلاحا من أسلحة الجهاد ، والشاعر في هذه الحالة يجاهد بلسانه وبقلمه فهو يقوم باثارة النفس والعاطفة ، وتعبئة المشاعر ، كما أن الاشادة بالعقيدة دليل الاخلاص لها والارتباط بها ، ولهذا حينما أنشده سحيم قوله :

عميرة ودع أن تجهزت غاديا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا .

قال لـه ابن الخطاب رضي الله عنـه : لو قلت شعرك كله مثل هـذا لاعطيتك(٢) ، وعمر بهذا يرسم له الطريق السديد لقول الشعر ويحاول أن ينقله من عالمه اللاهي ، الى عالم العقيدة والاخلاص والتفاني في سبيلها والانشغال التام بها ، والاشادة بما ترسيه من قواعد يقوم عليها المجتمع الفاضل ، ولذلك

---

(١) اخبار عمر ٤٤٥ ٠

(٢) اخبار عمر ص ٣٣٠ والاغاني : ٣/٢٠ ٠

جعل الفاروق جائزة العطاء ، أن يجعل شعره كله على هذا النمط ، أي شعرا ملتزما بالدين وبالخير وبالفضيلة ، تاركا عالم الانثى والشهوة ، وقول عمر رضي الله عنه : شعرك كله » يرشدنا الى أنه في باقي شعره خارج عن هذا الاطار. وسنذكر فيما بعد أبياتا مما تلي هذا البيت تنبىء عن اتجاهه في الشعر ...

وهنا يعرض سؤال : كيف تقول : أن عمر رضي الله عنه يأبى أن يكون الشعر وسيلة تكسب وأداة استعطاف واستجداء ، وقد قال : « من خير صناعات العرب الابيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته ، يستنزل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم »(١) وفي رواية الكامل « من أفضل ما أعطيته العرب الابيات يقدمها الرجل أمام حاجته ، فيستعطف بها اللئيم ويستنزل بها الكريم »؟(٢) ونجيب فنقول : أن عمر هذا لا يتعارض مع ما قررناه من نظرته الى المديح ، وموقفه منه ، وما تحقق من أنه لا يريد أن يكون الشعر وسيلة للوصول الى الحاجة ، لانه هنا يبين واقعا كان العرب عليه ، ثم بدله الاسلام ، وقد يكون المراد أن العرب ، وهبهم الله المقدرة على البيان ، وموهبة الشعر ، وهم يستغلون تلك الموهبة في عرض حاجتهم ..



واما الهجاء ، ذلك الشعر الذي يعري الانسان من فضائله ويفضح العيوب ويفتش عن القبائح ، فيذيعها وينشرها ، فقد وقف الفاروق منه موقفا واضحا وسليما . وذلك لان الهجاء قد يكون ردا لعدوان المعتدين ، وكشفا لفضائح المشركين ، وفلا لاسلحة الاعداء ، وتثبيطا لهممهم ، ودفاعا عن أعراض المسلمين، وحماية للمجتمع الاسلامي . وفي هذه الحالة يدعى اليه ، ويجب على الشاعر أن يلبي النداء ، ولذلك رأينا عمر رضي الله عنه يسعى الى حسان بن ثابت ويطلب منه أن يرد على هند بنت عتبة ، لانها كانت تهجو المسلمين ، وتحرض عليهم المشركين ، في غزوة أحد ، واستجاب حسان فرد عليها وأقذع . (السيرة النبوية: ٩٨/٣) ..

---

(١) اخبار عمر ص ٣٠٨ .

(٢) الكامل : ٤٦/١ والعمدة : ٦٥/١ مع الاختلاف في العبارة .

واذا كان الهجاء نوعا من فضح العيوب وكشفها لينتهي المهجو عنها ، فان عمر أباحه ولم يعاقب عليه ، وذلك لان المقصود منه مهاجمة النقيصة ، ومهاجمة الشخص المتصف بها ، من أجلها حتى يخلو المجتمع من هذه النقيصة ، فالهجاء هنا لون من النقد الاجتماعي الكاشف للعيوب ، من أجل الاصلاح • وهذا النوع يخالف الهجاء المعروف ، اذ أن الهجاء المعروف المقصود به النيل من الشخص وذلك عن طريق الصاق العيوب والنواقص به ، سواء اتصف بها في واقع الامر أم لم يتصف •

ويتضح رأي عمر في ذلك الهجاء الاجتماعي والاصلاحي ، في قصة عبد الله ابن أبي ربيعة والزبرقان بن بدر ، فعندما قدم عبد الله بن أبي ربيعة من البحرين نزل على الزبرقان بن بدر بمائه ، وهو الماء الذي يقال له بنيان ، فحلاه أي منعه • فنزل على بني أنف الناقة بمائهم (وهو الذي يقال له وشيع) فأكرموه وذبحوا له شاة وقالوا : لو كانت ابلنا منا قريبة لنحرنا لك ، فراح من عندهم يتغنى فيهم بقوله :

وما الزبرقان يوم يمنع ماءه	بمحتسب التقوى ولا متوكل
مقيم على بنيان يمنع ماءه	وماء وشيع ماء ظمآن مرمل

قال : فركب الزبرقان الى عمر رضي الله عنه ، فاستعداه على عبد الله وقال : انه هجاني يا أمير المؤمنين ، فسأل عمر عن ذلك عبد الله ، فقال له : يا أمير المؤمنين اني نزلت على مائه فحلأني عنه فقال عمر رضوان الله عليه : يا زبرقان أتمنع ماءك من ابن السبيل قال : يا أمير المؤمنين ألا أمنع ماء حفر آبائي مجاريه ومستقره وحفرته أنا بيدي ؟! فقال عمر : والذي نفسي بيده لئن بلغني انك منعت ماءك عن أبناء السبيل لا ساكنتني بنجد أبدا ! (الاغاني : ٢/١٩٤)•

واذا كان الهجاء ليس الغرض منه الاصلاح ، بل التشنيع ومحاولة الحط من قدر المهجو ، فردا كان أم مجتمعا ، شخصا كان أم عقيدة ، فان أمير المؤمنين عمر وقف في وجه هذا اللون بشدة ، وعمل على منعه ، وذلك لانه يثير الاحقاد والضغائن ، ويقطع الصلات ويفرق كلمة الجماعة ، ولهذا نهى عن أن ينشد الناس شيئا من مناقضة الانصار ومشركي قريش ، وقال : « في ذلك شتم الحي بالميت ، وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء في الاسلام ••• » (الاغاني : ٤/١٤٠) •

وكذلك منع الهجاء الشخصي الذي يتخذ وسيلة لابتزاز الاموال تحت ضغط التهديد بسلاح الهجاء ، أو الهجاء لشخص أو لقبيلة ومحاولة النيل منها والحط من شأنه أو شأنها ، تعبيرا عن غضب الهاجي ، فقد منع الفاروق رضي الله عنه الحطيئة من الهجاء وحبسه ، وهدده بقطع لسانه • وفي رواية أنه اشترى منــه أعراض المسلمين ، وذلك حينما ذاع أمره ، واشتكاه الزبرقان بن بدر الى الخليفة عمر ، فقال رضي الله عنه : ما قال لك ؟ قال الزبرقان : قال لي :

دع المكارم لا ترحل لبغيتهــا ‏ ‏ ‏ ‏ واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر : ما أسمع هجاء ، ولكن أسمع معاتبة ، قال الزبرقان : أولا تبلغ مروءتي الا أن آكل وألبس ؟ فقال عمر : علي بحسان ، فجيء به ، فسأله فقال : لم يهجه ولكن سلح عليه ، فأمر به عمر فجعل في حفرة وحبس ، فأخذ الحطيئة يستعطفه وأرسل اليه أبياتا منها :

أعــوذ بجـدك اني امــرؤ ‏ ‏ ‏ ‏ سقتني الاعــادي اليك السجالا
فانــك خير من الزبرقــان ‏ ‏ ‏ ‏ أشــد نكالا وأرجى نــوالا
تحنن عــلي هــداك المليك ‏ ‏ ‏ ‏ فــان لكــل مقــام مقــالا
ولا تأخذني بقــول الوشــاة ‏ ‏ ‏ ‏ فــان لكــل زمــان رجــالا

فلم يلتفت اليه عمر حتى قال الابيات :

ماذا تقول لافراخ بذي مــرخ ‏ ‏ ‏ ‏ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهــم في قعـر مظلمة ‏ ‏ ‏ ‏ فاغفر عليك سلام الله يا عمــر
أنت الامام الذي من بعد صاحبه ‏ ‏ ‏ ‏ القى اليك مقاليد النهي البشر
لم يؤثروك بها اذا قدمــوك لها ‏ ‏ ‏ ‏ لكن لانفسهم كانـت بك الاثـر

فأخرجه وقال له : اياك وهجاء الناس وهدده بقطع لسانه (الاغــاني : ١٨٦/٢) •

ويقال أن عمر رضي الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة ، فاشترى منه أعراض المسلمين جميعا بثلاثة آلاف درهم فقال الحطيئة في ذلــك (الاغاني : ١٨٩/٢) :

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع ‏ ‏ ‏ ‏ شتما يضر ولا مديحــا ينفــع
وحميتني عرض اللئيم فلم يخف ‏ ‏ ‏ ‏ ذمي وأصبــح آمنــا لا يفــزع

وتصرف عمر هذا ـ لو صح ـ لا يتناقض مع ما قلنا من كونه أبى أن يتخذ الشعر سلاح تهديد وابتزاز ، لانه تصرف باعتباره حاكما مصلحا ، رأى أن يصلح أمر هذا الذي يقول له ، حينما حذره من الهجاء : « اذن يموت عيالي جوعا ، هذا مكسبي ، ومنه معاشي »(١) • فهو لم يعطه تحت تهديد الهجاء ، ولكن أعطاه ـ بعد أن هدده وخوفه ـ من المال العام ، اصلاحا له حتى ينصرف الى ما يفيد •

وكان عمر رضي الله عنه اذا وجد مندوحة ، بحيث يصح حمل الهجاء على معنى آخر صرفه اليه • فاذا كان الشاعر يعرض بصفة كانت في نظر بعض القيم والتقاليد الاجتماعية البالية ذما ، أو في نظر المجتمع الجاهلي وما تبقى منه من أثر في النفوس • وهي في الحقيقة ، وفي نظره ، وبالنسبة الى القيم الجديدة الفاضلة يجب ألا تحسب كذلك ، لم يحاسب الشاعر عليها ، ولم يؤاخذه بها ، ولهذا لم يؤاخذ عمر رضي الله عنه النجاشي الشاعر ، حينما شكاه بنو العجلان ، وأنشدوا عمر قول النجاشي :

اذا الله عادى أهل لؤم ورقة ... فعادى بني عجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر : انه دعا عليكم ، ولعله لا يجاب : فقالوا : انه قال :

قبيلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر رضي الله عنه : ليتني من هؤلاء ، قالوا فانه قال :

ولا يردون الماء الا عشية ... اذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر : ذلك أقل للسكاك ، يعني الزحام ، قالوا : فانه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ... وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه ، قالوا : فانه قال :

وما سمي العجلان الا لقولهم ... خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : كلنا عبد وخير القوم خادمهم : (العمدة ١/٢٨) •

وفي رواية أخرى قال ذلك تميم بن مقبل نفسه ، ثم قال لامير المؤمنين . فسله عن قوله :

---

(١) الاغاني : ٢/١٨٧ •

أولئك أولاد الهجين وأسرة اللئيم ورهط العاجز المتذلـل

فقال عمر : أما هذا فلا أعذرك عليه ، فحبسه وضربه(١) وذلك لانه صرح بالذم ووصفه بصفات ، يقر المجتمع الجديد ، وكل مجتمع فاضل بانها تعتبر من الـذم ·

★ ★ ★

واذا كان الشعر يقال تنفيسا عن عاطفة نبيلة ، ولن يصيب الشاعر أو المجتمع منه ضرر رحب به عمر رضي الله عنه ، وتأثر به ، بحسب صدق العاطفة الصادر عنها ونبلها ، ولقد اتضح ذلك عندما سمع أبياتا من أعرابي يرثي فيها ابنه ويقول :

يا غائبا ما يثوب من سفـره	عاجله موتـه على صغـره
يا قرة العـين كنت لي أنسا	في طول ليلي نعم وفي قصره
ما تقع العـين حيثما وقعت	في الحي منه الا على أثـره
شربت كأسا أبـوك شاربها	لا بد منها له على كبـره
يشربها والانام كلهـم	من كان في بدوه وفي حضره
فالحمد لله لا شريك لـه	في حكمه كان ذا وفي قدره
قدر موتا على العباد فما	يقدر خلق يزيد في عمـره

اذ بكى رضي الله عنه حتى بل لحيته ، ثم قال : صدقت يا أعرابي(٢) ، ويبدو أن عوامل تأثره كانت متعددة في تلك الابيات فبجانب صدق العاطفة ونبلها ، مس الشاعر جوانب تثير دموع أمير المؤمنين منها التذكير بالموت وبفناء الدنيا ، والتذكير بالآخرة وبقدرة الله وعجز الانسان ، ومـا يستتبع ذلك من حساب وعقاب ·

وكذلك تأثره بأشعار متمم بن نويره في رثاء أخيه مالك ، وقد سبق الحديث عن ذلك · ويطلب رضي الله عنه من الخنساء أن تنشده ما قالت في أخويها — وكانت قد مرت بالمدينة وهي في طريقها الى الحج فتقول : أما اني لا أنشدك ما قلت قبل اليوم ، ولكني أنشدك ما قلت الساعة :

---

(١) اخبار عمر ص ٣١٤ ·
(٢) اخبار عمر ص ٤٥٦ ·

سقى جدثا أعراق غمرة دونه ... ربيئة ديمات الربيع ووابله
وكنت أعير الدمع قبلك من بكى ... فأنت على من مات قبلك شاغله
وأرعيهم سمعي اذا اذكر الاسى ... وفي الصدر مني زفرة لا تزايله(١)

فيحترم حزنها ، ويقول لقومها الذين طلبوا منه أن يعظها حتى تتخلى عن حزنها الذي طال : دعوها فانها حزينة أبدا (٢) ·

وأما التغزل فقد حرم الفاروق رضي الله عنه التغزل الذي ينشر الفاحشة ويجرىء على الشهوة ويثير الغريزة · ويبدو أنه أباح التغزل العفيف ، فقد ترك الشعراء يتحدثون عما يعتمل في نفوسهم وما تضطرم به أفئدتهم ، وما تحمله قلوبهم من جمرات الحب ، وعن مدى تأثرهم به ، وما يعتريهم من حالات الوصل والهجر والقرب والبعد ، بعيدا عن الحديث عما يثير الشهوة ويحرك الغريزة ، ففي بعض الاخبار أن عمر أنشد قصيدة عبدة الطيب حتى وصل الى قوله :

والمرء ساع لامر ليس يدركه ... والعيش شح واشفاق وتأميل

فتعجب من حسن التقسيم الذي في البيت كما سبق أن ذكرنا ، وبالرجوع الى القصيدة نجد أنه قد بدأها بالغزل ، ثم ثنى بوصف الناقة ومشاق الرحلة الى أن وصل الى البيت السابق · ومن الممكن أن نعيش مع بعض أبياتها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول ... أم أنت عنها بعيد الدار مشغول
حلت خويلة في دار مجاورة ... أهل المدائن فيها الديك والفيل
يقارعون رؤوس العجم ضاحية ... منهم فوارس لا عزل ولا ميل
فخامر القلب من ترجيع ذكرتها ... رس لطيف ورهن منك مكبول
رس كرس أخي الحمى اذا غبرت ... يوما تأوبه منها عقابيل
وللاحبة أيام تذكرها ... وللنوى قبل يوم البين تأويل
ان التي ضربت بيتا مهاجرة ... بكوفة الجند غالت ودها غول
فعد عنها ولا تشغلك عن عمل ... أن الصبابة بعد الشيب تضليل
بجسرة كعلاة القين دوسرة ... فيها على الابن ارقال وتبغيل(٣)

ولم يرد أن عمر رضي الله عنه أنكر هذه الابيات ، وما أظنه ينكرها .

---

(١) اخبار عمر ص ٣٢٤ ·
(٢) المصدر السابق ·
(٣) المفضليات ص ٢٦٨ ·

فالشاعر لم يشوه صورة الحب ، ولم يمزق عنه أستار الحياء فهو يتحدث عما اعتراه بسبب هجر حبيبته له ، وبعدها عنه ، وصموده أمام تيار هذا الحب وتسلية نفسه عنها بالرحلة في قلب الصحراء على ناقة قوية صلبة . ولهذا نرى أنه ـ حينما حرم رضي الله عنه التغزل وأنذر الشعراء بالجلد اذا هم شببوا بالنساء حتى اضطر حميد بن ثور أن يحتال على التغزل ويكني عن المرأة بالسرحة أي الشجرة في قوله :

تراني أن عللت نفسي بسرحة ... من السرح موجود على طريق
أبى الله الا أن سرحة مالك ... على كل سرحات العضاة تروق(١)

كان يقصد التغزل الفاحش ، الذي يتعرض للعورات ، وكذلك تشبب الشعراء بالنساء وملاحقتهن بألوان التغزل ، واشاعة ذلك بين الشباب ، مما يشغل عن الاشتغال بأمور الدين ، ويشجع على التحلل من قيوده وتعاليمه .

وقد يقال : انه كما سمع قول عبدة بن الطيب ، سمع قول سحيم :

عميرة ودع ان تجهزت غاديا ... كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا
جنونا بها فيما اعتشرنا غلالة ... علاقة حب مستسرا وباديا
ليالي تصطاد القلوب بفاحم ... تراه أثيثا ناعم النبت عافيا
وجيد كجيد الرئم ليس بعاطل ... من الدر والياقوت والشذر حاليا

الى أن قال :

وبتنا وسادانا الى علجانة ... وحقف تهاداه الرياح تهاديا
توسدني كفا وتثني بمعصم ... علي وتحوي رجلها من ورائيا
وهبت لنا ريح الشمال بقرة ... ولا ثوب الا بردها وردائيا
فما زال بردي طيبا من ثيابها ... الى الحول حتى أنهج البرد باليا
سقتني على لوح من الماء شربة ... سقاها بها الله الذهاب الغواديا
وأشهد عند الله أن قد رأيتها ... وعشرين منها أصبعا من ورائيا
أقبلها للجانبين وأتقي ... بها الريح والشفان عن شماليا(٢)

---

(١) اخبار عمر ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(٢) ديوان سحيم ص ١٦ .

وواضح من تلك الابيات التغزل الفاحش ، فالشاعر ـ كما يظهر بجلاء في بعض الابيات ـ يترسم خطا امرىء القيس ، في التعبير عن مغامراته النسائية ، وتصوير بعض تجاربه الفاحشة ، فهل سمعها عمر رضي الله عنه ؟؟ واذا كان قد سمعها فهل أنكرها ؟ ان الخبر يقول : أنه أنشده البيت الاول ، ولم يقل : أنشده(١) القصيدة ، وفي خبر آخر أن سحيما أنشده قوله :

توسدني كفا وتثني بمعصم علي وتحوي رجلها من ورائيا

فقال له عمر : انك ويلك مقتول(٢) ٠٠ ولا ندري هل كان تنبؤا أم تهديدا ؟

وعلى كل فعمر المؤمن الحريص على مصلحة الامة ، والذي يشعر أكثر من غيره بالمسؤولية والذي سمع امرأة تعبر عن رغبتها في زوجها قائلة :

تطاول هذا الليل واخضل جانبه وأرقني ألا خليل الاعبه
الاعبه طورا وطورا كانما بدا قمر في ظلمة الليل حاجبه
يسر به من كان يلهو بقربه لطيف الحشا لا تجتويه أقاربه
فوالله لولا الله لا رب غيره لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يصدني وأكرم بعلي أن تنال مراكبه
ولكنني أخشى رقيبا موكلا بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

فاهتم واغتم وانشغل حتى أرجع زوجها ، وأمر ألا يغيب الرجل عن بيته أكثر من أربعة أشهر ، بعد أن سأل بنته حفصة عن المدة التي تطيق فيها المرأة فراق زوجها(٣) ٠ عمر رضي الله عنه الذي سمع امرأة أخرى تتمنى نصر ابن أبي حجاج قائلة :

هل من سبيل الى خمر فاشربها أو من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل سهل المحيا كريم غير ملجاج
تمنته أعراق صدق حين تنسبه أخي حفاظ عن المكروب خراج

فنفاه من المدينة ، بعد أن رآه ووجد أنه سيكون مصدر فتنة(٤) عمر رضي

---

(١) اخبار عمر ص ٣٣٠ ٠
(٢) الاغاني ٣/٢٠ ٠
(٣) اخبار عمر ص ٤٥٠ ٠
(٤) اخبار عمر ص ٤٢٩ ٠

الله عنه هذا ما كان ليسكت على مثل هذا اللون الفاضح من التغزل الذي يذيع الفاحشة ويوقظ الشهوات ·

ولكن ألم يقل سحيم تلك القصيدة ، وفي زمن عمر ؟ ربما ولكنها لم تصله وما كان ليجرؤ سحيم على انشاده اياها ، ولكن أنشده البيت الاول ، الا أن أمير المؤمنين كان يعرف اتجاهه العام في الشعر ولذلك قال له : لو قلت شعرك كله على هذا لاجزتك(١) ·

★ ★ ★

نقده وبصره بالشعر :

يتضح من كل ما عرضنا بصفة عامة، ومن الشعر الذي تمثل به ومن الابيات التي أعجبته ، ومن تفضيله لبعض الشعراء ، وحكمه عليهم بصفة خاصة· يتضح من كل ذلك ، أن عمر رضي الله عنه كان على بصر وبصيرة بالشعر وانه من نقدته ·

ومما يدل ـ أيضا ـ على حسن فهمه وتذوقه للشعر وبصره به ، أنه كان اذا سمع أبياتا ، فهم المراد منها ، ولو لم يكن واضحا ، فقد سمع امرأة في الطواف تقول

فمنهن من تسقى بماء مبرد　　نقاخ فتلكم عند ذلك قرت
ومنهم من تسقى بأخضر آجن　　أجاج ولولا خشية الله فرت

ففهم رضي الله عنه شكواها فبعث الى زوجها ، فوجده متغير الفم فعرض عليه خمسمائة من الدراهم ويطلقها فطلقها(٢) ·

وكان العرب يفهمون منه هذا الجانب ، فكانوا يرسلون اليه شكواهم بالشعر · أو تلك هي موهبتهم وعادتهم · ومن ذلك أبيات بقيلة الاكبر الذي يعرض فيها على عمر خبر رجل من بني سليم يقال له جعدة ، كان غزلا صاحب نساء ، وكان يأخذهن فيعقلهن ويأمرهن أن يمشين فكتب الى الخليفة يقول :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا　　فدى لك من أخي ثقة ازاري
قلائصنا هداك الله انا　　شغلنا عنكم زمن الحصار

(١) الاغاني ٣/٢٠ ·
(٢) اخبار عمر ص ٣٤١ ·

فلمـــا قلص وجـدن معقـلات ... ففا سلع بمختلف البحـــــار
قلائص من بني سعـــد بن مكر ... واسلم أو جهينـة أو غفـــار
يعقلهـن جعـــدة من سليـــم ... معيدا يبتغي سقط العـذار(١)

ويخرج من كلاب بن أمية الكناني غازيا تاركا أبويه الشيخين ، رغم تعلقهما به ولما برح الشوق بأبيه ، وكان قد أضر ، ذهب الى عمر فأنشده وهو في المسجد:

أعاذل قد عذلت بغـير علـم ... وما تدرين عاذل ما الاقـــي
فأمـا كنت عاذلني فـــردي ... كلابـــا اذ توجه للعـــراق
ولم أقض اللبانة من كـــلاب ... غداة غـد وآذن بالفــــراق
فتى الفتيـــان في عسر ويسر ... شديد الركن في يــوم التلاق
فلا وأبيك ما باليـت وجـدي ... ولا شفقي عليك ولا اشتياقـي
وايقادي عليـك اذا شتونـــا ... وضمك تحت نحري واعتناقـي
فلو فلق الفـؤاد شديـــد وجد ... لهـــم سواد قلبي بانفـــلاق
سأستعدي على الفـــاروق ربا ... له دفـــع الحجيـــج الى بساق
وأدعوا الله مجتهـــدا عليـه ... ببطـن الاخشبيـــن الى دفـاق
أن الفاروق لـم يردد كلابـــا ... على شيخـين هامهمـــا زواق

فرد عمر كلابا الى أبيه (٢).

واذا كنا نقول أن عمر رضي الله عنه كان من النقاد البصيريـن بالشعر ، فاننا نعني ذلك بمقياس عصره ، اذ لم يتعد النقد في هذا العصر ، بل والعصر اللاحق له ، النقدات الجزئية المبنية على الذوق والتذوق ، ثم التفضيل العـــام من قولهم ، أشعر العرب أو أفخر بيت أو أرثى بيت ، من غير تعليل في الغالب ، الا أن عمر رضي الله عنه كان رائدا وسباقا بالنسبة الى عصره ، فقد علل لنقده بعلل غاية في الفطنة والذوق والبصر بالادب والشعر والسبب في ذلك أنه بنى نقده على دعامتين هامتين :

الدعامة الاولى : وهي التي تتصل بالمضمون ، مستمدة من ايمانه وعقيدته ومن مبادىء الاسلام وشريعة القرآن ، فالشعر الذي لا يخالف مضمونه حـــدود

---

(١) اخبـار عمر ص ٣٧٢ .
(٢) اخبار عمر ص ٤٤٥ وما بعدها القصة والابيات .

الاسلام ومبادئه ، التي هي حدود الخير العام للانسان حبذه وحث عليه ورحب به ويزداد حثا عليه وتحمسا له كلما اقترب من تلك الدائرة ، وحث على تلك المبادىء أو رغب في الايمان وفي فعل الخير وفي الثواب ، وحذر من فعل الشر ومن ارتكاب الموبقات ولو كان جاهليا ، ويتصل ذلك الشعر الذي يدل على حسن المنطق وعظمة العقل ، ويكثف تجربة في حكمة عامة ، مع عدم الخروج على حدود الدين ، واذا رجعنا الى الابيات التي فضلها ، وفضل من أجلها أصحابها ، كشعر النابغة وزهير ، وكذلك الابيات التي تمثل بها ، أو التي أعجبته ، وجدنا أنها لا تخرج من حيث مضمونها عن ذلك •

وأما الدعامة الثانية : فهي حسن التصوير وسلامة التركيب وتماسكه ، واذا كان الشعر من حيث المضمون أقرب الى العقيدة غلب المضمون على الشكل وصار هذا النوع من الشعر مفضلا ، ولو قل فيه حسن التصوير •

ولقد ورد في الاخبار التي رويت عنه ، تعليل لتفضيله زهيرا على غيره من الشعراء فقد ورد عن ابن عباس قال : خرجت مع عمر في أول غزوة غزاها ، فقال لي ذات ليلة ، يا ابن عباس انشدني لشاعر الشعراء ، قلت : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابن أبي سلمى قلت : وبم صار ذلك ؟ قال : لانه لا يتبع حوشي الكلام ، ولا يعاظل من المنطق ولا يقول الا ما يعرف ولا يمتدح الرجل الا بما يكون فيه أليس الذي يقول :

اذا ابتدرت قيس من عيلان غاية ... من المجد من يسبق اليها يسود
سبقت اليها كل طلق مبرز ... سبوق الى الغايات غير مزند
كفعل جواد يسبق الخيل عفوها الـ ... سراع وان يجهد ويجهدن يبعد
ولو كان حمد يخلد الناس لم تمت ... ولكن حمد الناس ليس بمخلد

أنشدني له ، فأنشدته حتى برق الفجر (١) :

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أيضا ، قال عمر : هل تروي لشاعر الشعراء ؟ قلت ومن هو ؟ قال الذي يقول :

ولو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا ... ولكن حمد الناس ليس بمخلد

---

(١) (الاغاني : ١٠/٣٩٠) •

قلت : ذاك زهير : قال : فذاك شاعر الشعراء قلت وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال : لانه كان لا يعاظل في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر ، ولم يمدح أحدا الا بما فيه ، قال الاصمعي : يعاظل بين الكلام : يداخل فيه(١) • والمراد يعقد ويخلط بين الكلام • وهذا التعليل يشير الى الدعامتين اللتين يقيم عليهما عمر نقده ، ولا يخرجان عما سبق أن قررنا ، فهو قد فضل زهيرا لسببين :

الاول : صدقه في مديحه وفي قوله • وهذا يرجع الى المضمون وقضية الصدق فضلا عن أنها تتفق مع مبادىء الاسلام ، وقيمه التي يؤمن بها ، فهي قضية يتفق معه فيها النقاد ، رغم اختلافهم فيما بينهم : هل المقصود هو صدق الواقع أو الصدق الفني • ثم عدم المعاظلة في الكلام وفي المنطق ، وتجنب حوشي الكلام ، ووحشي الشعر ، وهو يقصد منه حسن النسج وسلامة التركيب وبراعة التصوير ، والقدرة على البيان مع حسن التعبير واختيار الالفاظ وهذا يرجع الى الشكل وما أظن أن النقد في مجمله ـ أيا كان ـ يخرج عن ذلك : صدق المضمون وجمال الشكل بحيث يؤدي المضمون أكمل الاداء •

وهناك خبر آخر يوقفنا على بصر عمر رضي الله عنه بالشعر ومعرفته أسراره وأخباره وأخبار شعرائه ، وعلى مدى اشتغاله به • وربما كان ذلك قبل الاسلام ، لانه كان أكثر بصرا بالشعر الجاهلي • هذا الخبر يتصل بامرىء القيس ؛ فقد روي أنه رضي الله عنه قال ، وقد سأله العباس بن عبد المطلب عن الشعراء : (امرؤ القيس سابقهم : خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور ، أصح بصر(٢) » أي أن امرأ القيس حفر لهم عن عين الشعر حتى ظهرت وأخرجت ما فيها من ماء وأنه فتح أصح بصر عن معان عور • والمقصود أنه سابق الشعراء ورائدهم والذي مهد لهم الطريق وفتح لهم مجال القول وهو ـ رغم أنه ـ أصلا ـ من اليمن التي هي أدنى فصاحة ـ الا انه أتى من لغته هذه بأفصح بيان واستطاع أن يضيف الى الشعر معاني جديدة •

وعمر هنا يوقفنا على مدى فهمه ودراسته للشعر وللشعراء بل أن سؤال العباس نفسه له ، دليل على شهرته بذلك ، أما استشهاده بحسان بن ثابت في

---

(١) الاغاني : ١٠/٣٨٩ والعمدة : ١/٨٠ •
(٢) العمدة : ١/٧٦ ، ٧٧ •

حكمه على الحطيئة أو على النجاشي في بعض الروايات(١) فان ذلك لا يدل على عدم فهم عمر رضي الله عنه ما يرمي اليه الشاعر لاننا قد رأينا مما مر بنا أنه متمرس بالشعر ، دقيق الفهم لما غمض عنه ، ولمراميه البعيدة ، غير أنه أراد الشهادة من أهل الخبرة وأراد التثبت حتى يصدر الحكم مطمئنا ٠ وأراد أيضا أن يجعل المتهم يطمئن الى عدالة الحكم والحاكم ، وأراد كذلك أن يضرب المثل وأن يطمئن الشعب ، فابى أن يكون حاكما وشاهدا في الوقت نفسه وبالتالي حاكما مستبدا برأيه ٠



وبعد فهذه الاخبار التي قدمناها واقمنا على أساسها استنتاجاتنا قد يشك في صحتها ، أو صحة بعضها ، وقد يسلم من يسلم بها ٠ ونقول : ان هذه الاخبار في مجملها سواء أصحت كلها أم بعضها تدلنا على نتيجة ليست محل شك ٠ وهي معرفة عمر رضي الله عنه وبصره وخبرته بالشعر ، وتمرسه به الى درجة تؤهله للحكم وابداء الرأي والنقد ٠ وانه كان شاغله الاول قبل الاسلام ، بدليل حفظه وحكمه ومعرفته الكبيرة به ، اذ لا يعقل أن يهتم به بعد الاسلام ولكن المعقول أن اهتمامه به يقل ، وينشغل عنه بالقرآن الكريم ، وبالدعوة وبالامة التي حمل أمانة المسؤولية عنها على عاتقه ٠

وعمر رضي الله عنه مهما حث على رواية الشعر والاشتغال به ومهما حبذ واعجب ببعض الابيات ، ومهما طلب من انشاد لبعض الشعراء أو اظهر الرغبة في سماعه ، مهما حدث كل ذلك منه ، الا انه باعتباره عبدا مؤمنا من عباد الله ، وجنديا في معسكر الدعوة الاسلامية ، ومن أقرب المقربين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يفضل الاشتغال بالقرآن الكريم، فالقرآن في المقدمة ، وله الاولوية، أما الشعر فيأتي في مرتبة تالية ، وهذا ترتيب طبعي بالنسبة لانسان مؤمن مخلص ، يريد أن يعمق الايمان في النفوس وينتشر ٠ فالاشتغال بما هو أساسي وبما به قوام المجتمع أولى واسبق ودليل ذلك موقفه من لبيد الشاعر فقد كتب رضي الله عنه الى

---

(١) العمدة : ١/٣٨ ٠

المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة أن استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الاسلام فأرسل الى الاغلب الراجز العجلي فقال له أنشدني فقال :

أرجزا تريد أم قصيـــدا   لقد طلبت هينـــا موجـودا

ثم أرسل الى لبيد فقال : أنشدني فقال : ان شئت ما عفى عنـــه ـ يعني الجاهلية ـ فقال : لا ، أنشدني ما قلت في الاسلام فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال : أبدلني الله هذه في الاسلام مكان الشعر فكتب بذلـك المغيرة الى عمر ، فنقص من عطاء الاغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لبيد ، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة • فكتب الاغلب : يا أمير المؤمنين أتنقص عطـــائي ان أطعتك ؟ فرد عليه خمسمائة وأقر عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة(١) •

وهذا الذي فعله عمر رضي الله عنه ، يفسر لنا لماذا انتهر حسان بن ثابت حينما مر عليه وهو ينشد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) اذ من يسمع خبر حسان هذا يظن أن عمر يهاجم الشعر والشعراء ، ويبدو كأن هناك تناقضا بين دعوته الى رواية الشعر وسماعه وانشاده ، وبين انكاره هذا على حسان ، ولكن الموقف يتضح ، وشبهة التناقض تزول في ضوء ما قدمنا وذلك لان عمر رضي الله عنه كان يرى ويرى معه الصحابة والمؤمنون الصادقون أن المقام الاول للقرآن الكريم •• ويرى كذلك أن المسجد يرتبط بالدعوة وبالقرآن أو يجب أن يرتبط بذلك • ومن هنا أنكر على حسان انشاده • والدليل على ذلك أن حسان بن ثابت في رده على عمر قال :

« قد أنشدت فيه من هو خير منك »(٣) • فالانكار على حسان اذن كان بسبب انشاده في المسجد وسكوت عمر عن حسان وانصرافه عنه بعد رده عليـــه ليس دليلا على تغيير رأيه ، لانه يؤمن أن هذا الانشاد كان له داع أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، بسبب الصراع بين المسلمـــين والمشركين وبين شعــــراء الجبهتين ، وقد ذهب هذا الداعي الا أنه تركه كرامة لرسول الله صلى الله عليــه وسلم •

---

(١) الاغاني : ١٥/٣٦٩ و ٣٧٠ •
(٢) الاغاني : ٢/١٤٣ والعمدة : ١/١٥ •
(٣) المصـــدر السابق •

وهكذا فان عمر رضي الله عنه كان ابن الدعوة الاسلامية المخلص والحريص على تنفيذ مبادئها وتطبيق أحكامها وكان ابن العربية الامين المحب للغتها وأدبها وشعرها .

رضي الله عن الجميع وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم ..

د. جودة عبد الله مصطفى

عمر والفنون

بقلم : عبد المجيد وافي

ليس هناك فارق زمني بعيد بين خلافة عمر رضي الله تعالى عنه ، وبين عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يختلف اطلاق كلمة الفنون على الكلمات الفنية التي كانت معايشة لعصر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وعصر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ٠

وما زلت أقول ان كلمة فن باصطلاحنا المعاصر لم تكن معروفة بنفس الاطلاق والمضمون في ذلك العهد الرائد في تاريخ الحضارة الاسلامية ٠

ولكن يمكن أن نقول ان مما يدخل في مضمون كلمة « فن » باصطلاحنا العصري مما كان للقوم يومئذ من ملكات ، أو كان حولهم من موجودات أمور أظهرها :

تلك الصور المجسمة التي كانت في الجزيرة العربية تعرف بالاصنام ، والتي كانت تعبد بين القبائل وتقدم اليها القرابين على أن لها شفاعة أو زلفى عند رب الارباب ٠

« ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » آية /٣ من سورة الزمر ٠ وهي اذا عدت في مضمون كلمة « فن » فباعتبار أصلها كصنعة واردة من حضارة فارسية أو رومية ، ثم قلدت أو نقلت ، أو مما أخذ عن حضارة عربية قديمة كحضارة عاد في جنوب شرقي الجزيرة ، أو حضارة ثمود في شمال الحجاز بوادي القرى بين المدينة وجنوبي الاردن ٠

وانما تحسب ـ ان عدت ـ على أنها لون من ألوان الفنون التشكيلية بالمفهوم المعروف لثقافتنا المعاصرة ، لانها خضعت بشكل ما للقواعد المشهورة في تاريخ الفنون البشرية ٠

كما يدخل في ذلك المفهوم ما وجد أو دخل في صناعة الاقمشة بأنواعها المختلفة من رسوم نباتية أو حيوانية أو أشكال مجردة ، لا هي من هذه ولا من تلك ٠

والرسوم الجدارية ونقوش العملات المعدنية المعروفة يومئذ كالدينار والدرهم ويدخل أيضا في نطاق ما نطلق عليه في عرفنا الحاضر « الفنون السمعية » فنون الانشاد في السفر وهو ما سمي يومئذ بالحداء ، وارتجاز المتفاخرين لدى القتال بصوت طرب وقصائد القوم في التفاخر تتغنى بها القيان المغنيات بمناسبة أو غير مناسبة ثم أغاني الاعراس والختان وما الى ذلك ٠



ولم يكن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه موقف مباشر لاي من هذه الفنون السابقة يحرمها أو يحللها على أنها فن محرم أو فن مباح ، وانما كان لعمر رضي الله تعالى عنه ، مواقف قد يظن أنها تحرم بعضا من ذلك لانها محسوبة على هذا النوع من الفنون أو ذاك ، ولكن مثل ذلك الظن خاطىء لانها حينما حرمها عمر رضي الله تعالى عنه ، انما حرمها لان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله قد حرمها من قبله ، وما حرمها الا لانها على النقيض مما جاءت به الشريعة الاسلامية ،

ومن ذلك ما تحدثت عنه سابقا من صور المعبودات وتماثيلها ، واذا كان الله سبحانه وتعالى قد نزه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وعصمه قبل البعثة ومن عبادة مثل هذه المعبودات الزائفة ، وكانت دعوته بعد بعثته صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله تهدف الى بيان زيف مثل هذه المعبودات ثم تمت نعمة الله وأكمل دينه وحيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يترك لهذه المعبودات ـ فرصة البقاء بل هدم ما هدم منها بيده صلى الله عليه وآله يوم الفتح وأرسل البعوث لهدم ما وجد منها في مضارب القبائل بطول شبه الجزيرة وعرضها حتى يخلص الدين لله ٠

الا أن عمر بن الخطاب رضي اللـــه تعالى عنه ليذكـــر نفسه موقفا في جاهليته ، لم يحمده لنفسه بعد أن أعز الله به الاسلام ـ استجابة لدعاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله • اذ كانت دعوته « اللهم أعز الاسلام بأحب العمرين اليك ، عمرو بن الحكم ، أو عمر بن الخطاب ، والاول هو من عرفـــه المسلمون باسم أبي جهل •

يذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج يوما في سفر ، وتذكر صنمه ومعبوده وقد نسيه ، وتذكر بعضا من تمر رطب في جرابه ، فصنع بيده ما يشبه أن يكون صنما ، وتقضي حاجته من صلاة الى هذا المعبود الذي صنعته يداه •

ويمسي المساء ويقرص الجوع أحشاه ، فيبحث عن طعامه وزاد سفره ، فلا يجد الا ذلك التمر الرطب الذي صاغه معبودا ، وينسى عمر عبادته أول النهار أو ينسيه الجوع ما التزم به ، فيعمد الى الشكل الذي صاغه معبودا ليسله تمرة تمرة تمضغه أسنانه في استطابة واستمتاع ، ويلقيها بعد نوى في التراب •

يذكر عمر رضي الله تعالى عنه ذلك بعد أن أسلم وآمن ، وبعقل المؤمن يدرك أن تلك المعبودات « ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » آية / ٢٣ من سورة النجم •

ويضحك عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من فعلته تلك ، ويضحك من عقل قومه اذا اعتقدوا مثل ما كان يعتقد ، لولا حرب رسول الله صلى اللـه عليه وآله وسلم لهـــذه الاوثان وعبدتها ، ويتشدد عمر حتى يقف أمام الحجر الاسود حاجا وملتمسا ثم مقبلا ، وما يلبث أن يقول : اللهم اني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » •

وموقف عمر من الاصنام بعد اسلامه ، موقف نابع من فهم للعقيدة التـي التزم بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما أنزل عليه من وحي •

« فاجتنبوا الرحمن من الاوثان » آية / ٣٠ من سورة الحج •

« انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون أفكا ، ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا ، فابتغوا عند الله الرزق ، واعبدوه واشكروا له » آية / ١٧ من سورة العنكبوت •

الخ ما ذكرنا من آيات في موقف محمد « صلى الله عليه واله وسلم » من الفنون . «١»

وهو ليس موقفا موجها الى نوع معين من الفنون التشكيلية لحسبان أن تلك المعبودات نوعا منها ، وانما هو موقف موجه الى أمر تنص العقيدة السمحة على رفضه ، لانه في جملته وتفصيله يتضمن سخرية من عقل فاعله والعقل البشري قد كرمه الله تعالى باستخلافه في الارض .

ولقد عبد قوم موسى عجلا مصنوعا من جوهر وحلي فقال لهم عليه السلام « ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ، أفطال عليكم العهد ، أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم » ٨٦ / سورة طه .

والاسلام لا يفرق في مثل هذا بين الفن وما ليس بالفن ، فلتكن الاصنام فنا ولكنها معبود من دون الله ، فهو بهتان وهو مرفوض ولو كان قمة من قمم الفنون .

والدولة الاسلامية في عصر عمر رضي الله عنه في مراحل التطبيق الاولى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبعد صاحبه وخليفته أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه ، ومراحل التطبيق تحتاج الى تأكيد القيم الاساسية للعقيدة بحيث لا يكمل سلوك الحاكم أو أهل مشورته من الصحابة أي صورة من التأكيد أو الاباحة لامر حزمه الدين وحاربه .

كما أن الدولة يومئذ كانت تخطو خطواتها الاولى في بناء صرح حضاري ذي جوانب اجتماعية واقتصادية وسياسية ، أرسى أسسها القرآن الكريم وحي الله الى نبيه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ونهج السنة النبوية كما راقبها جبريل عليه السلام وأدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

والتطور الفني والثقافي في تكوين حضارة الدولة يأتي دائما بعد هذه المراحل التأسيسية الاولى لان هدف مثل الدعوة الاسلامية هو تحقيق العدالة

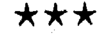
---

(١) ص ١١١ من كتاب (محمد) صلى الله عليه وآله وسلم ـ نظرة عصرية ، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

العامة في الجوانب الثلاثة المذكورة أولا ، قبل أن يؤتى ارساء مثل هذه الدعامات ثماره من الاكتفاء والرخاء ثم الاتراف ، والفن نوع من ذلك الترف الاجتماعي كتعبير عن ــ الاشباع والمتعة ــ مما أحلى الله تعالى ــ.

والحق أننا سندرك بعد قليل أن لاسلام وفهمه ان تركا للانسان المسلم الحق في ذلك فانما يحل منها ما لا يقدح في عقيدة أو يعطل فريضة أو شريعة ، وفي مثل ذلك يفهم قول الله جل وعلا « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » وهذه الاباحة محكومة بقاعدة سبقت في آية أخرى « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » الآيتان ٣١ ، ٣٢ من سورة الاعراف •

والفن نوع مما احل الله دون اسراف ، وعبادة ما دون الله تعالى على هيئة من الهيئات الفنية ، ليس سرفا ، وانما خروج عن الفطرة ، وشذوذ عن مقتضى العقل والكرامة الانسانية ، ومن يفعل ذلك فقد افترى اثما وبهتانا عظيما ، ذلك لان الله تعالى « لا يغفر أن يشرك به ويغفر ــ ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما »
الاية ٤٨ / من سورة النساء •



وعمر بن الخطاب ــ رضي الله تعالى عنه ، كان من المهاجرين الاولين ، لما آذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالهجرة الى المدينة ، الى أخوة لهم في الدين عاهدوا رسول الله يوم بيعة العقبة ، أن يمنعوه ــ يحموه ــ وأصحابه مما يمنعون منه أبناءهم وأهليهم •

فلما أذن الله تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، بالهجرة كان عمر ممن استقبل الرسول الكريم لدى وصوله الى المدينة مع صاحبه الصديق رضي الله تعالى عنه •

ثم كان رضي الله عنه ممن حضر بناء المسجد النبوي ، وبناء المسجد يعني وضع اللبنة الاولى في الصرح الحضاري الاسلامي ، حيث أصبح المسجد مركز

الجماعة فيه يلتقون للعبادة كل يوم خمسا ، وكل أسبوع في الجمعة ثم هم يلتقون فيه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليسمعوا منه أو يأخذوا عنه وعندما يدعو أمر الى اجتماع لصالح الامة والجماعة ٠

وبناء ذلك المسجد يومئذ بسيط المواد ، ولكنه صريح التخطيط مواده اللبن المضروب ، جدرانا ، وقبلته من الحجارة المنضودة ـ المصفوفة ـ وعضادات أبوابه من حجارة أيضا ، وعمده التي تحمل السقف من جذوع النخل ، وسقفه جريد ممدد عليه السعف والخصف ـ ورق الشجر ٠

كان فيما يظهر أول الامر جدرانا بلا سقف ، فلما اشتكى الناس الحـــر والبرد ، سقف ،

وكان تخطيطه ، قبلة تتجه الى بيت المقدس وسقيفة تعلو الجزء الامامي من المسجد ، وهو الذي اشتهر بين علماء الفنون والعمارة الاسلامية بعد ذلـــك باسم بيت الصلاة ـ ويحمل هذه السقيفة أعمدة كونت ما يعـــرف بالاروقة أو بوائك بيت الصلاة ٠

ولم يلبث الامر الالهي أن صدر بتحويل القبلة الى الكعبة بعد أن صلى النبي بالمسلمين الى بيت المقدس ستة أو سبعة عشر شهرا في ما هو مشهور مـــن الخبر ، وقد حضر رضي الله عنه ذلك التحويل وبناء السقيفة الثانية متجهة الى الكعبة كما قلنا على نمط السقيفة الاولى ، فأصبحت القبلة الثانية جدارهـــا جنوبا والسقيفة الاولى شمالا ٠

وتكامل من ذلك الحين تخطيط المسجد وزادت وظائفه وظيفة غير القيادة والعبادة والريادة ، اذ أصبحت السقيفة القديمة مقام أهل الصدقة من فقـــراء المسلمين ممن أحب أن يجاور في المسجد ، ايواء ، وليتلقفوا دروس الاســـلام في مدرسته الاولى أولا بأول من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وحضر عمر بن الخطاب رضي الله عنه توسعة المسجد الاولى أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان هو ـ أي عمر رضي الله عنه ـ أول من غير في مواد البناء بعد أن ناءت المواد الاولى بالحمل مع الزمن فقام بأول عمارة بعد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ٠

ولم تكن عملية البناء والتخطيط على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، مجرد صف للحجارة او اللبن ، رغم بداوة المواد ، وانما كانت هندسة وأسلوبا معماريا حسب ما يعرف الخبراء في ذلك الامر ٠

فقد ذكر السمهودي(١) صاحب كتاب «وفاء الوفي بأخبار دار المصطفى » : انهم بنوا الجدران أول الامر بالسميط « أي لبنة على لبنة » الواحدة بعد الاخرى والواحدة فوق الاخرى ، ثم بنوها بالسعيدة ، لبنة ونصف اخرى « أي اللبنتان متجاورتان وفوقهما لبنتان أخريان تخالفهما في الاتجاه ، لبنتان طولا ولبنتان عرضا ، ثم لما زيد المسجد بني بالذكر والانثى » ٠

وهي أساليب معمارية فنية في توزيع مداميك الجدران يعرفها أهل الخبرة تزيد من قدرة الجدران على التماسك مما يدل على أن العملية التي شارك النبي صلى الله وآله وسلم فيها وأصحابه لم تكن مجرد رصف وانما كانت رغم بداوة موادها عملية مما يدخل في دائرة الفن المعماري بأسلوبه الخاص ٠

كما أن الجدران لم تقم على سطح الارض بل مهدت أسس من الحجارة حفرت لها الأرض ووضعت حسب تخطيط الجدران والقبلة ٠

أما عمارة عمر رضي الله تعالى عنه ، فقد التزمت بالتخطيط النبوي الكريم فلم يغير من مواضع العمد ولا القبلة وأن توسع في الجدران لزيادة العمران في المدينة ٠

وغير المواد البدائية الاولى فاستعمل الحجارة بدلا من اللبن ، وجعل السقف خشبا وعمده الحاملة خشبا أيضا ٠٠

الا أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، قد ألزم البناء عند تجميص الجدران ، « ألا يصفر ولا يحمر حتى لا يفتن الناس عن الخشوع في الصلاة «٢»

---

(١) ص ٢٣٩ ج ١ ٠

(٢) مسالك الابصار للعمري ج ١ ص ١٢٥ ، اعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ص ٣٣٧ ٠

وهذا الالتزام نابع من أن ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، قد حرص على ألا تتغير البساطة الظاهرة في مسجد المسلمين الاول ، وان تغيرت الخامات بعد أن وسع الله على المسلمين في الفتوح وأمكن تغطية النفقات واستجلاب المواد ٠

أو يمكن أن نقول أن المواد كانت موجودة من قبل ولكن رغبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ضغط النفقة صرفه ذلك التصريف ، فلما وسع الله على المسلمين وسع ابن الخطاب على المسجد النبوي الشريف في العمارة والمتانة ٠

ثم أن هذا الالتزام يدل على معرفة عمر رضي الله عنه بان الناس عندما يوسع الله عليهم يغالون في زينة دور العبادة ، وهو هنا لا يحب ذلك التزيد خوف أن يشغل الناس عن الخشوع في صلواتهم والافتتان بالزينة والالوان من صبغة الجدران ٠

وقد عد بعض الفقهاء ذلك الفعل من عمر بابا من التوجيه فكرهوا زخرفة المساجد وتكوين جدرانها وسقوفها «١»

بينما اعتبر البعض الاخر أن النهي عن سبيل التنزيه ، وخاصة حينما لا يكون النقش والتزيين محكما فقد نقل الزركشي في كتابه أعلام المساجد باحكام المساجد عن البغوي فقال :

قال البغوي في شرح السنة : لا يجوز تنقيش المسجد بما لا أحكام فيه ٠

وقال في الفتاوى ، فان كان فيه أحكام فلا بأس فان عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه بنى المسجد بالقصة والحجارة المنقوشة ٠

ثم قال البغوي ومن زوق مسجدا ــ أي تبرعا ــ لا يعد من المناكير التي يبالغ فيها كسائر المنكرات ، لانه يفعله تعظيما لشعائر الاسلام(٢) ٠

والعمارة التي أشار اليها البغوي قام بها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه سنة ٢٩ هـ ومهندسه الذي قام بالاشراف على ذلك البناء هو زيد بن ثابت

---

(١) اعلام الساجد ص ٣٦٦ ٠
(٢) أعلام الساجد ص ٣٦٦ ٠

رضي الله عنه، كاتب من كتاب الوحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجامع كتابات المصحف على عهد ابي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه، ثم هو جامع القرآن في مصحف واحد، ومراجع كتاباته ونسخه في عدة نسخ ارسلت الى الامصار والولايات أيام عثمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

كان عمر لا يرى لنفسه الحق في ان يزيد في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد علل فعله، وذلك شأنه دائما، كشأنه يوم قبل الحجر الاسود وقال قولته المشهورة يومئذ -

كما أنه في طور البناء الاساسي للدولة فالاولى ان لا يلتفت الى مثل ذلك التزين ولعل كاتبا يقول: كيف يفعل ذلك عمر، وهو لم يعاتب سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه ، يوم صلى بالمسلمين صلاة الفتح في ايوان كسرى ، وبه ما به من روائع الفنون المصورة وغير المصورة.

ولا شيء في ذلك لان المجوس كانوا عباد نار لا عباد وثن ، فشبهة العبادة غير قائم كما ان ايمان الجند الفاتح وقائدهم جعلهم في موقف الممتن لرب العالمين اد فتح عليهم وأفاء، وجند المسلمين يومئذ على فطرتهم الاولى، لا تهزهم الدنيا ولكن تقودهم القصيدة وبذلك انتصر الحق البسيط على الباطل مهما حفلت حضارة أهله بالتنميق والتزويق.

ولعل دولة تبنى وأسس حضارتها ترسى ، كما قلنا من قبل ، أولى أن تلتفت الى الخصائص المشيدة البيانية المؤثثة، منها الى عناصر تأتي وحدها بعد عندما يستقر الامر وتقر نفوس الناس فيولد التفنن في أجوائهم ومحافلهم.

وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، خطا خطوة جريئة في تنظيم الدولة، عندما سك عملة من الدراهم والدنانير وذلك امر طبيعي يقتضيه استقلال الدولة اقتصاديا لكن الجرأة العمرية تتأكد عندما يكتب على السكة شعارات اسلامية تؤكد الايمان بالله الواحد وان محمدا رسول الله.

وليس هذا بغريب اذ اقتضته الاسباب، ودعت اليه الحاجة، خاصة وان التعامل النقدي يومئذ ــ قبل فعلة عمر تلك ــ كان يتم بالعملتين البيزنطية

والكسروية باعتبار ان هذه العملات كانت تمثل اكبر ثقلين اقتصاديين في ذلك العصر ، فضلا عن أنهما يكتنفان شبه الجزيرة ، ثم عمق التغلغل الاستهلاكي لبضائع الدولتين في بقاع شبه الجزيرة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا·

لكن الغريب ــ وفي موضوعنا بالذات ــ ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ــ حينما زاد ما زاده من عبارات على السكة المذكورة ، كانت الصور الكسروية والبيزنطية ما تزال على وجهي العملة ذهبية كانت او فضية·

ذلك خبر ساقه المقريزي صاحب السلوك، في رسالة النقود حيث يقول:

ان عمر بن الخطاب سك عملة من الدراهم والدنانير وعليها الصور الكسروية والبيزنطية ولم يغير في رسم العملة شيئا، وان كان قد اضاف الى بعضها « لا اله الا الله وحده » · الله أحد · محمد رسول الله(١) ·

واذا عرفنا ان هذا أول تعديل في شكل العملة المتداولة بين ايدي المسلمين منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي استعمل تلك العملات المصورة ومن بعده صاحبه الصديق عليه رضوان الله، يكون التعديل العمري يومئذ انما قصد به رفع شعار الدولة الاسلامية على السكة، دون ان يلتفت الى الصورة على وجهي العملة، وهو ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما تعامل بهذه السكة·

فعمر رضي الله عنه قد استشعر الاجازة والحل بل عدم الحرج في وجود مثل هذه العملات بمظهرها وعليها الصورة وان لم تسغ نفسه، الأبية باسلامها ترك العملة دون ان يسجل عليها شعار الاسلام·

وبالرجوع الى ما ذكرنا من رأي الامام النووي ، من فقهاء الشافعية، وشارح

---

(١) رسالة النقود للمقريزي-نشر الاب أنستاس الكرملي ص٣١ ، ٣٢ والدكتور عبد الرحمن فهمي محمد في موسوعة النقود العربية ــ فجر السكة ص ٣٦ ، ٣٧ طبع دار الكتب بالقاهرة ·

صحيح مسلم «١» نرى انه يعتبر الصورة الحيوانية محرمة ـ «سواء ما كان من ذلك في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو اناء أو حائط أو غيرها»«٢»

والدنانير والدراهم تحمل صورة كسرى أو قيصر، وهم فيمن يعتبر من المحرم صورهم فهل يا ترى كان الامام النووي رحمه الله يعلم أن النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله قد تعامل هو وأصحابه في عصره ومن بعده بمثل هده الدراهم والدنانير المصورة ، وان كان يعلم فهل كان يحرم ويفتي بالحرمة رغم معرفته بفعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه؟؟.

أغلب الظن ان علم ذلك لم يكن في متناول دراساته الفقهية ولا كان قد راجع نفسه رحمه الله قبل أن يفتي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وصحابته رضوان الله عليهم.

وبعد فهذه مواقف ثلاث لعمر بن الخطاب في انواع ثلاثة مما نصطلح في عصرنا على تسميته فنا تشكيليا.

أما الأول فمما يحسب على فن النحت وصناعة التماثيل وقد كفينا الحكم في موقفه منها، بانها آلهة زور تعبد من دون الله تعالى، وليس أبغض الى الله تعالى، والى عباده المؤمنين من الشرك.

وأما الثاني فمما يحسب على فنون العمارة وتجميلها بالالوان والاصباغ والنقوش، وقد تحرز عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، من أن ينسب اليه الاذن في ذلك، فأعلن صراحة رأيه، واقتدى رأيه من اقتدى بعده من الفقهاء، ورأى غيرهم رأيا غير رأي عمر رضوان الله عليه، وتلمسوا الاباحة في فعل عثمان وزيد بن ثابت رضي الله عنهما.

وأما الثالث فمما يحسب على الفنون الدقيقة، وعمر رضي الله استجازه دون التفات الى ما يحمل، دون تفكير أو مناقشة لأنه رأى رسول الله صلوات الله

---

(١) ص ١١٢ من كتاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ـ والفنون .

(٢) ص ٨١ ، ٨٢ . جـ ١٤ صحيح مسلم بشرح النووي .

وسلامه عليه وعلى آله بفعله المرة تلو المرة دون أن يلقي بالا الى ما تحمل العملة من صور ، وذلك بالامتناع أن تكون الصورة على العملة بقصد العبادة أو التقديس ٠

وعمر رضي الله تعالى عنه في كل من هذه المواقف قد أخذها سريعة صريحة لا تحتمل لجاجة أو احتجاجا ٠٠



أما الفنون السمعية ، والتي كان لقومه فيها مداخل ، ولمجالسهم منها تنوعات عرفت لهم في جاهليتهم فلما جاء الاسلام وحل حرص على رفض التخنث والميوعة واثارة الاهواء والشهوات وما أصيبت الشعوب في مقتل قدر اصابتها من الارتماء في أحضان التهتك وسيطرة الملذات المهلكة ٠

ولقد سبق لنا أن قلنا أن المباح من كل متعة بما لا يهتك الدين أو يغلبه وليس الدين الا قيادة النفس الى خير الفرد والجماعة وفضل الدنيا وثواب الآخرة والله تعالى يقول في كتابه العزيز : « وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين » ٠

الآية/٧٧ من سورة القصص

وما أنعم الله على عبده من نعمة فوجهها الاول ، الآخرة لانها دار الحساب ، بحيث لا ينسى العبد نفسه في دنياه فهي محياه ولا يجمل بالمرء أن يهملها كلها أو يأكلها كلها ، لانه ان أهملها فقد قصر ، وان أكلها كلها ألهته عن آخرته وحسابه وهو في كل أمر من الامرين مطالب بالاحسان واخلاص الفعل والبحث عن خير وجوهه ، ايفاء بحق الله تعالى وقد أحسن اليه ، وليس من الاحسان والاخلاص الفعل الفساد في الارض ، ممن جعله الله خليفته في عمرانها ٠

فالمباح من متاعهم بالسماع كان في الحداء ــ غناء ، ركبان القوافل يتسلون به على وحشة السفر ــ ودفوف العرس والغناء فيها ، وتفاخر المتبارزين ، والمقاتلين وانشاد القوم تحدثهم بأيامهم في العهود الخوالي ٠

ولقد كان عمر رضي الله عنه يحب السماع في هذه الامور كلها ما لم تشغله صلاة أو مسألة من مسائل المسلمين ..

وقد ظن بعض الناس بعمر رضي الله عنه غير ذلك فقد روى سبط ابن الجوزي عن أسامة بن زيد عن أبيه عن جده قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب للحج، فسمع رجلا يغني ، فقيل يا أمير المؤمنين أن هذا يغني وهو محرم ، فقال عمر دعوه فان الغناء زاد الراكب .

وتعبير عمر أجمل وأروع دلالة على رغبة الراكب أن يستعين على عناء السفر بما يملأ قلبه اطمئنانا كما يفعل الزاد بالمحتاج حين يطلبه لجوع أو نفقة.

ولعل القصة التالية أوضح دلالة لتعدد ألوان السماع فيها ليلة بعد ليلة يأخذ الشباب منها في كل ليلة بلون ولا يأباه عمر الا ساعة الصلاة واستحباب الذكر عند السحر ، فاذا ما أخذ الشباب ليلة فيما لا يحب الله ورسوله نهاهم أشد نهي .

روى نائل مولى عثمان بن عفان : أنه خرج في ركب مع عمر وعثمان وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين ، وكان مع نائل رهط من الشبان فيهم رباح بن المعترف الفهري ـ الذي كان يجيد الغناء والحداء ، فسألوه ذات ليلة أن يحدو لهم فأبى وقال مستنكرا : مع عمر ؟؟

قالوا : أحد ، فان نهاك فانته ، فحدا حتى كان السحر قال له عمر : كف فان هذه ساعة ذكر ، فلما كانت الليلة الثانية فسألوه أن ينصب لهم نصب العرب ـ وهو لون من ألوان الغناء العربي ليس فيه ميوعة فأبى وأعاد استنكاره بالامس قائلا : مع عمر ..؟

قالوا له كما قالوا بالامس : انصب فان نهاك فانته ، فنصب لهم نصب العرب ، حتى اذا كان السحر قال له عمر : كف فان هذه ساعة ذكر ، ثم كانت الليلة الثالثة ، فسألوه أن يغنيهم غناء القيان وهو غناء المغنيات المتخصصات في التخنث والترجيع والتأوه ، فما هو الا أن رفع عقيرته بغنائهن حتى نهاه وقال له : كف فان هذا ينفر القلوب .

وهذه الحادثة صريحة الدلالة في استحباب التسلي على السفر بما لا يحرج الدين وصاحبه ، وعبارته عن غناء الفتيان بأنه ينفر القلوب ، لا شك دالة على أثر ذلك الغناء المتميع على النفس القوية المتماسكة ·

وقريب من ذلك ما روي أنه خرج مرة للحج ومعه خوات بن جبير وأبو عبيدة ابن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، فاقترحوا على خوات أن يغنيهم من شعر ضرار ، وقال عمر : بل دعوا أبا عبد الله فليغن من بنيات فؤاده ـ وهذه العبارة من عمر رضي الله تعالى عنه عامرة برقة الفؤاد وليس العاطفة ـ فما زال يغنيهم حتى كان السحر ، فهتف بن عمر : ارفع لسانك يا خوات فقد أسحرنا ·

أما قوله دعوا أبا عبد الله فليغن ··· الخ ففيها عمق الرغبة في السماع اذ دعاه لكنيته ، وما كانوا يدعون الرجل بكنيته الا تعبيرا عن الود والحب ·

وقد تكون الحادثة التالية أغرب في وجه دلالتها وذلك لان من اتهم بالغناء رجل يؤم الناس في صلاتهم ولكن يقظة ، الحس ورقته في عمر بن الخطاب قطعت على الوشاة طريقهم ·

جاء قوم فذكروا أن امامهم يصلي بهم العصر ثم يتغنى بأبيات من الشعر ، فقام معهم اليه واستخرجه من داره ، وسأله فيما بلغه ، واستنشده الابيات التي يغنيها ··

فأنشده :

وفؤادي كلما نبهته	عاد في اللذات يبغي تعبي
لا أراه الدهر الا لاهيا	في تماديه فقد برح بي
يا قرين السوء ما هذا الصبا	فني العمر كذا باللعب
وشباب بان مني فمضى	قبل أن أقضي منه أربي
نفسي لا كنت ولا كان الهوى	اتقي المولى وخافي وارهبي

فأعاد عمر البيت الاخير ، وقال لمن شكوا اليه : من كان منكم مغنيا فليغن كهذا ·



هكذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه محبا للسماع فيما لا يخدش دينه ولا يقتل قلبه وكان أكثر ما يهتز قلبه حينما يسمع دق الدفوف في الاعراس والختان اذ سمع يوما ضوضاء في دار وهو يعس ، فسأل : ما هذا ؟ قيل له عرس. فقال : هلا حركوا غرابيلهم ، يقصد دفوفهم .

وهذا الذي نراه من عمر لم يخرج عما بثه في نفسه الاسلام ونبي الاسلام صلى الله عليه وسلم من طبع قوي الدين لين العاطفة يخاف الله ويأخذ من حظه السماع بما لا يفقده ورعه وتقواه .

يسمع مع السامعين طوال الليل حتى اذا كان الفجر قال : ايه لقد طلع الفجر اذكروا الله .

وليست الامارة أن يأمر ولو لم يكن ما يأمر به في دائرة غير المستطاع أو أن ينهي حتى ولو كان ما نهى عنه مما لا يحرج الدين ولا يخدش الحياء ، ولا يطعن في خلق ، وهو اذ يفعل ذلك كله انما يفعله فردا من أفراد الناس .

ولقد سمع يوما متمثلا بيتا من الشعر ، ترتفع به عقيدته مغنيا لما أحس أنه وحده وهذه عادة قد تستولي على الفرد حينما يظن بنفسه خلوة عما حوله، متابعة لحديث نفس ، أو تمثلا بمعنى له في نفسه ذكرى أو أثر وما كان ذلك البيت الذي تمثل الا في مدح محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان في سفر وانفرد عن القافلة وظن صوتــــه لن يبلغ الركب فأنشد مغنيــا ...

وما حملت ناقة فوق رحلهـــــا   أبـــر وأوفى ذمـة من محمد

وشد صوته الناس » وكان ذا صوت مصلصل يدوي فيسمع مهمـا خفت « فتجمعوا ، فبدأ يقرأ قرآنا ، فتفرقوا عنه .

فلما أحس وحده عاد الى غنائه وعاد القوم الى التجمع ، فعاود القـراءة وتكرر ذلك منه ومنهم فثار منهم ، فقالوا له فيم ثورتك وما فعلنا الا أن سمعناك فقال اما ثورتي لتجمعكم عند الغناء وافتراقكم عند القراءة . يلومهم اذ تفرقوا عن سماع القرآن ..

من ذلك الذي ذكرنا نرى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان معتدلا غير مفرط اعتدالا منسوبا الى خلقه وفيه قوة وفيه تماسك وما ندر عن ذلك من فعاله الا فعلة الجاهلية تلك ، ومن منهم من لم يفعل في جاهليته مثل ما رأى عليه حال قومه ـ حاشا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك « أدبني ربي فأحسن تاديبي » .

وعمر عندما أسلم استقام له قياد نفسه ، ولا أدل على ذلك من أنه كان في جاهليته يألف الخمر ويشربها وقد يفرط فلما أسلم ، قطع أمرها من شأنه ، وتلك قوة وحدّة في تملك زمام النفس .

وهو في تملك زمام نفسه كان يحتال على القوم ليقودهم على الحجة البيضاء وهم من معرفته في غنى عن التعرض لحرمات الله بما يكره الله ويكره المؤمنون فلم يشق عمر بسياسة الناس وانما شقي بما ألزم به نفسه من الكفاف والتحرز وتحري راحة الناس ، حتى أنه كان يعس ليلا ولا ينام الا اذا اطمأن باله ، مخافة أن يأخذه الله بخطأ منه في حق الناس .

وعمر قبل ذلك انما يسوس الناس ونفسه بالدين للدين والدنيا معا ، وما كان يبالي بعد ذلك ما يصيبه ان أصابه شيء في سبيل الله .

رحم الله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه . وجزله عن جهاده وحفاظه ما يحب الله تعالى أن يفيض على عباده الصالحين .

المـؤامرة ...

من الذي اغتال عمر ؟

بقلم : الدكتور محمد الطيب النجار

في الوقت الذي كان عمر يوجه فيه الجيوش لاعلاء كلمة الله وتوسيع رقعة الدولة الاسلامية كان يتطلع الي تلك الرقعة التي بسط الاسلام عليها رواقه فيصفيها دائما من شوائب الماضي واوزاره ويمسح عنها ما علق بها من ظلم الولاة والحكام وطغيانهم . وينشر في ربوعها مبادىء الاسلام وآدابه ، ويعامل الرعية من عرب وعجم على أساس واحد ومن الكلمات المأثورة عنه أنه كان يقول : « والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة من قصر به عمله لا يسرع به نسبه »(1) ..

تلكم صفحة بيضاء مشرقة من تاريخ الفاروق العادل وكم في تاريخه من صفحات خالدة حافلة بكرائم الفعال وجلائل الاعمال ..

ولقد سادت عدالة عمر وكانت حصنا يلوذ به المحرومون والمظلومون . وقويت شوكة الدولة الاسلامية بعد الفتوحات العظيمة التي تمت في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر .. وكثر عدد الداخلين في الاسلام من أهل البلاد المفتوحة . ولكن

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ ص ٢١٣ ط أوروبية .

لم يكونوا جميعا أصفياء النفوس مخلصين للدين الجديد • بل كان البعض منهم ـ بلا ريب ـ يسلمون ظاهرا ولما يدخل الايمان في قلوبهم وينطوون في حقيقتهم على حقد بالغ وبغض شديد للاسلام وقومه • ولا سيما الطبقات التي كانت قبل الفتح الاسلامي تملك زمام الثروة والجاه والسلطان•• فمثل هذه الطبقات ، لا تستريح في ظل العدالة ولا يؤنسها نور الحق الذي يكشف مطامعهم وأغراضهم • ومن هنا تكمن الاخطار التي يمكن أن يتعرض لها الزعماء المصلحون والحكام المخلصون

ومن هنا وجدنا أولئك الاشرار الذين أزعجتهم عدالة عمر •• وقفت سدا منيعا أمام أهوائهم الخسيسة وشهواتهم الرخيصة يستظلون بهذه العدالة ولكنهم لا يذوقون جمالها ، ولا يحسون بما فيها من بهجة ونعيم بل يرونها كربا وبلاء وشرا وشقاء ، فأخذوا يعملون في الظلام للانتقام من الاسلام ودولته والكيد لرجاله المخلصين • وليس من شأننا الآن أن نتتبعهم في مؤامرتهم التي بدأت منذ ظهر الاسلام ولم تهدأ لها نار على مختلف العصور •• ولكننا نحاول أن نتبين موقفهم من عمر بن الخطاب وهو الخليفة المسلم والحاكم العادل وأن نتعرف الى الاسباب الحقيقية التي أدت الى مقتله وكيف بدأت هذه المؤامرة الغادرة ؟ وكيف تمت ؟ ومن هؤلاء الذين دبروا لهذا الجرم الخطير • وباءوا باثمه الكبير ••؟

•• ولا ريب أننا حينما نبحث بين أرجاء المجتمع الاسلامي في ذلك الحين يتراءى لنا شبح هذه الجريمة المنكرة شائعا بين اليهود والفرس وسائر الكفار الذين لا يدينون بالاسلام • ولا غرو فقد تحالفت القوميات والاديان التي هزمها الاسلام على الانتقام منه في أعز رجالاته ، وتكونت من هؤلاء الجمعيات السرية التي أخذت نفسها بتنظيم الفتن وبثها بين المسلمين • اذ لا شك أن أبناء الامم والاديان التي غلبت على أمرها قد أفزعهم نجاح المسلمين في بناء دولة قوية تتحكم في بلادهم وتذل أديانهم ولهذا فطن عمر رضي الله عنه فحرم دخول هؤلاء الموتورين الى المدينة • ولولا أن المغيرة بن شعبة هو الذي أغراه على دخول فيروز أبي لؤلؤة لما في يده من صناعات ينتفع بها المسلمون لما أذن له بذلك •••

واذا مضينا في بحثنا عن سر هذه الجريمة نرى هذه المؤامرات الغادرة تتجمع خيوطها حتى تتركز في المدينة • وتتمثل في أربعة أشخاص كانوا يقيمون بها في كنف المسلمين ورعايتهم • أحدهما يهودي والثاني نصراني والاخيران فارسيان • فأما اليهودي فهو كعب الاحبار وكان من يهود اليمن • ولما رأى الاسلام يعلو نجمه ويعظم سلطانه أظهر اسلامه ليستفيد من وراء اعتناقه عزا وجاها بين

المسلمين ولما طرد اليهود من جزيرة العرب وتم ذلك في عهد عمر لم يطرد كعب الاحبار بل أقام في المدينة متسترا بالاسلام والاسلام منه براء • وأما النصراني فهو جفينة الانباري من نصارى الانبار والانبار تابعة لبلاد الفرس فهو فارسي الهوى والميل وان لم يكن مجوسيا وقد ارسله سعد بن أبي وقاص الى المدينة ليعلم أهلها القراءة والكتابة وكان يتردد على الهرمزان وأبي لؤلؤة وهما المتآمران اللذان تأخر ذكرهما ولكنهما ـ في واقع الامر ـ هما أساس الداء والبلاء ـ فالهرمزان كان ملك الاهواز في بلاد فارس • وقد أسره المسلمون وعفا عنه عمر بعد نكثه بالعهود ولم يزده هذا العفو الا حقدا وتمردا لانه لم يطق أن ينزل الى مستوى الافراد العاديين وقد كان ملكا له مجده وسلطانه وصولته وصولجانه وكان يحز في نفسه ما يراه من قوة المسلمين وامتداد سلطانهم على بلاد الفرس ومما يحمل الى المدينة من غنائم بلاده •• وفيروز أبو لؤلؤة كان مملوكا للمغيرة بن شعبة وكان من أسرى الفرس الذين أصبحوا أرقاء • وكان يشارك الهرمزان في حقده الشديد على المسلمين وخليفة المسلمين • حتى أنه كان حينما يرى السبايا من الفرس يمسح على رؤوسها وهو يئن ويتوجع ويقول : لقد أكل عمر كبدي••

••• أما كيف تمت المؤامرة على قتله فقد أجمعت كافة المصادر العربية على أن أبا لؤلؤة فيروز مولى المغيرة بن شعبه وكان فارسيا ، من سبي الاهواز وكان يجتمع مع ملكهم السابق « الهرمزان » ـ قد التقى يوما بعمر وهو يطوف بسوق المدينة فشكى اليه سيده المغيرة لانه يفرض عليه ضريبة يومية قدرها درهمان كل يوم أو مائة درهم كل شهر وهو نجار وحداد ونقاش فقال له عمر : ما أرى خراجك كثيرا على ما تصنع من الاعمال : قد بلغني أنك تقول لو أردت أن أعمل رحا تطحن بالريح لفعلت ، فقال : نعم فقال عمر : فاعمل لي رحا ، قال فيروز : لو عشت لاعملن لك رحا يتحدث بها من في المشرق والمغرب ، ثم انصرف فقال عمر : لقد توعدني العبد ، ثم انصرف عمر الى منزله •• وفي صباح اليوم التالي لهذه المقابلة جاء كعب الاحبار وهو اليهودي الذي تحدثنا عنه فقال لعمر : يا أمير المؤمنين اعهد فانك ميت بعد ثلاثة أيام ، قال : وما يدريك ؟ قال : أجد ذلك في التوراة ، فتعجب عمر من قوله وقال : والله انك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال : أجد صفتك وحليتك وانه قد فني أجلك ـ وعمر لا يحس بوجع ـ ثم جاء في اليوم التالي وقال : ذهب يوم وبقي يومان : ثم جاءه في اليوم الثالث فقال : قد بقي يوم وليلة وهي لك الى صبيحتها •• فلما كان اليوم الثالث وخرج عمر الى المسجد ليصلي الفجر أقبل فيروز فطعنه بخنجر ذي حدين نصابه في وسطه ثلاث طعنات احداهن تحت سترته ثم طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة فتقدم

رجل من الحاضرين وطرح برنسا على فيروز فلما أيقن أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فصلى بالناس صلاة خفيفة ثم حمل عمر الى منزله وأمر عبد الله بن عباس أن ينظر من قتله . فجال ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة ، فقال عمر : قاتله الله ، لقد أمرت به معروفا ، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يد رجل سجد لله سجدة واحدة يحاجني بها عند الله·· ثم تقدم عبد الرحمن بن أبي بكر وهو رجل صالح غير متهم فشهد أنه رأى الهرمزان (ثم تقدم عبد الرحمن بن أبي بكر وهو رجل صالح غير متهم فشهد أنه رأي الهرمزان وفيروز وجفينة النصراني ليلة الحادث يتسارون فلما رأوه اضطربوا وسقط بينهم خنجر ذو حدين نصابه في وسطه ·· فعرضوا عليه الخنجر الذي استعمل في الحادث فقرر أنه هو الذي رآه ·· »

هذه هي الرواية التي اجتمعت عليها المصادر . وهي رواية واضحة لا لبس فيها ولا غموض وأصابع الفرس واليهود تسيل منها دماء عمر كما رأينا ، فالهرمزان هو مركز التجمع وروح المؤامرة ، في بيته دبرت الجريمة · وبتدبيره تمت وغايته واضحة وهي القضاء على مجد الاسلام بالتخلص من أكبر رؤوس المسلمين في ذلك الحين · وشفاء صدره بالانتقام من هذا الخليفة العظيم ، وفيروز هو الآلة المسخرة لتدبير تلك الجريمة الشنعاء وهو فارسي حقود وخصم لدود ، وجفينة النصراني من الفرس ــ كذلك وكان دائم الاتصال والتردد على الهرمزان وفيروز وقد رؤي الثلاثة ليلة الحادث المشؤوم بشهادة مسلم من العدول وهم يتسارون فلما أحسوا برجل غريب عنهم فزعوا حتى سقط السلاح من أيديهم ·

وأما كعب الاحبار فهو اليهودي الذي اشترك في تدبير الجريمة وأمعن في غيه وضلاله فعمي على الناس المسالك وغطى مؤامرته بادعاءات كاذبة حيث زعم أن مقتل عمر مكتوب في التوراة وقد كشفت الايام كذبه وافتراءه فظهرت التوراة وليس فيها شيء مما قال وعرف بين الناس بانه كاذب دجال وهو اذن اما أن يكون ضالعا في هذه الجريمة أو عالما بها ومتسترا على ذويها ··

·· ونقف الآن مع الخليفة العظيم في اللحظات الاخيرة من حياته وعقد الطعنات القاتلة التي أصابته من الجاني الاثيم وهي لحظات خالدة تجلى فيها ايمانه العميق واخلاصه وايثاره فلقد ذكر الرواة بعد أن طعن وحمل الى داره وكان مغشيا عليه أفاق من غشيته وقلبه متعلق بالصلاة وقال لمن كانوا حوله :

لصلاة ـ الصلاة لا حظ لامرىء يلقى الله وهو مضيع للصلاة ، ثم توضأ فصلى على ما به من خطر جسيم وألم عظيم ‥ وهكذا يعمق الايمان ويسمو فيغطي على الآلام والاخطار الجسام !!

وذكر الرواة ، انه جيء له بالطبيب فعرف أن جراحه قاتلة وانه لا نجاة له منها فقال له : أعهد يا أمير المؤمنين ، يعني قل للناس عن رأيك فيمن يتولى الخلافة بعدك ‥ وهنا يتجلى الاخلاص والايثار ، فلقد رشح للخلافة ستة رجال ليس ابنه عبد الله ـ وهو الورع التقي ـ واحدا منهم ، حتى يتقي الشبهات ويستبرىء لدينه أمام الله ‥ وهم علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ‥ ولما قال له بعض الحاضرين : وابنك عبدالله يا أمير المؤمنين؟ قال له : أسكت فض الله فاك ‥ انك لم تقلها تبتغي بها وجه الله ان كانت الخلافة خيرا فقد أخذنا منها نصيبا ، واذا كانت غير ذلك فحسبنا ما أصابنا ‥!!

وذكر الرواة أنه في لحظاته الاخيرة كان يتطلع الى صاحبيه وهما رسول الله وأبو بكر ليدفن الى جوارهما وقد عاش في حياتهما فكان لهما خير رفيق وأكرم صديق فلما لحقا بربهما ترسم آثارهما الكريمة شبرا بشبر وذراعا بذراع وكانت أعمالهما الخالدة نبراسا يضيء له الطريق الى الحق والخير ‥ فلما أحس بنهايته تمنى أن تكون له شرف جوارهما في مقرهما الاخير ‥ فأرسل يستأذن عائشة رضي الله عنها فأذنت له بذلك ففرح واستبشر وكأنما يرى بعينيه ما أعده الله له الى جوار صاحبيه من السعادة والنعيم والملك الكبير ‥

‥ وبعد فهذه نهاية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهي نهاية كريمة خالدة ولقد كانت حياته منذ اسلامه خيرا وبركة على المسلمين وجهادا وتضحية في سبيل الله ثم انتهت حياته كما تنتهي حياة الكثير من المجاهدين من المخلصين ، شهيدا في سبيل الحق والعدل والايمان ، فما أجلها من غاية ، وما أكرمها من نهاية ‥!!

‥ رضي الله عنه ونضر وجهه، وجعل لنا من سيرته الكريمة عبرة وتبصرة.

د. محمد الطيب النجار
أستاذ التاريخ الاسلامي
بكلية اللغة العربية (جامعة الازهر)



فهرست









يمثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثاني الخلفاء الراشدين، شخصية إسلامية عربية فذة فقد لعب دوراً مرموقاً في نشر الدعوة الإسلامية وفي تنظيم أسس الدولة الإسلامية وتثبيتها على أسس العدالة (حتى لقب بالفاروق). وفي هذا الكتاب نقدم نظرة عصرية جديدة عن هذه الشخصية العظيمة. ويشترك في هذه الدراسات مجموعة من أكبر المفكرين والعلماء في الوطن العربي وعلى رأسهم الدكتور محمد الفحام (شيخ الجامع الأزهر سابقاً) بالإضافة إلى عدد من أساتذة الجامعات والمختصين في الدراسات الإسلامية والتاريخية. ولنا وطيد الأمل أن تلقي هذه الدراسات أضواء جديدة على بطل من أبطال العروبة والإسلام.

الناشر

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير ـ
ت ٨٠٧٩٠٠/١ برقياً «موكيالي»
بيروت ـ ص.ب: ٥٤٦٠/١١ بيروت
تلكس: LE/DIRKAY ـ ٤٠٠٦٧ :